

لغويات

نظرية الترجمة الحديثة

مدخل إلى مبحث دراسات الترجمة

الدكتور محمد عناني





الشركة المصرية العالمية للنشر - لونجمان



نظرية الترجمة الحديثة

مدخل إلى مبحث

دراسات الترجمة

الدكتور محمد عناني

أستاذ اللغة الإنجليزية وآدابها
كلية الآداب - جامعة القاهرة



الشركة المصرية العالمية للنشر - لونجمان

١٠ (أ) شارع حسين واصف ، ميدان المساحة ، الدقي ، الجيزة - مصر

يطلب من : شركة أبو الهول للنشر

٣ شارع شواربي بالقاهرة ت : ٣٩٣٥٦٠٨ ، ٣٩٢٠٦١٦ (٠٢)

١٢٧ طريق الحرية (فؤاد سابقا) - الشلالات ، الإسكندرية ت: ٣٩٣٠٣٥٦ ، ٣٩٠٥٣٩ - ٤٩٤ (٠٣)

الطبعة الأولى ٢٠٠٣

رقم الإيداع ٢٠١٩٨/٢٠٠٢

الترقيم الدولي ٥ - ٠٦٧٣ - ١٦ - ٩٧٧ ISBN

طبع في دار نوبار للطباعة ، القاهرة

لغويات

نظرية الترجمة الحديثة

مدخل إلى مبحث

دراسات الترجمة

المحتويات

تصدير

هذا كتاب جديد يُقدِّم إلى القارئ العربي عَرْضًا موجَزًا لمبحث جديد من المباحث العِلْمِيَّة ، يُدرس في الكثير من جامعات العالَم شرقه وغربه ، ويحصُل فيه الباحثون على الدَّرجات العِلْمية المتخصِّصة (الدكتوراه والماجستير والدِّبلوم) ويسمّى دراسات التَّرجمة تفريقًا له عن ممارسة الترجمة ، وهو مبحث مُشترَك بين عِدَّة تخصُّصات (أحدها لُغوي) ولذلك فقد تعدَّدت فيه النَّظريّات وتفاوتت ، خصوصًا بعد الازدهار غير المسبوق في العَقْد الأخير من القرن العشرين ؛ إذ صَدَرت عشرات الكتب في شتّى فروعه ، إلى جانب مئات الدِّراسات في المجَلات العِلْمية المتخصِّصة ، وبشتّى اللُّغات (الأجنبية والعربية) ، حتى إن بعض الدارسين يُطلِقون على ذلك العَقْد عَقْد « دراسات الترجمة » . ولم نتخلَّف نحن في الجامعات العربية عن إدراك أهمِّية هذا التَّخصُّص ، وبدأنا البحث فيه فعلاً (كما سأبيِّن في المقدِّمة وفي المتْن) وإن كنا لا نزال بحاجة إلى خريطة عامَّة تبيِّن حدود هذا التخصُّص الجديد وتلقي الضوء على مناهجه ، وتَهدي إلى المسارات المختلفة التي يمكن أن ينتهجَها الباحث في هذا التَّخصُّص وَفْقًا للمَدْخل الذي يختاره . ولما كان العَرْض الذي أعتزمه عرضًا نظريّا قد يصعُب استيعابه دون أمثلة تطبيقيّة عمليّة ، فقد استعنت بنماذج كثيرة من العربية والإنجليزية بُغْية الإيضاح ، متوسّلا في ذلك بما توافر لدي من نصوص كنت ترجمت بعضها وتناثرت في ثنايا كتبي التي

كتبتها بالإنجليزية ما بين عامي ١٩٩٥ و ٢٠٠٠ والتي تتناول الموضوع نفسه وما يتّصل به ، ومتّبعًا المنهج الذي اتّبعه جيريمي منداي Jeremy Mundau في كتابه الذي صَدَر عام ٢٠٠١ وعنوانه « مقدِّمة لدراسات الترجمة : نظريات وتطبيقات » ، فهو منهج تلخيص لأهم المذاهب النَّظرية وتطبيقاته على لغات أوربية ، ويَسلُك فيه مَسْلَكًا شِبْه تاريخي ، وإن كان موضوعيًا أيضًا ، ولكنني أختلف عنه في أن وِجْهة نظري عربية ، ونماذجي عربية ، وإن كنت أرجع إلى مراجِعه نفسها ، فهي عالمية ، إلى جانب مراجعي العربية ، وموسوعة الترجمة الأدبية (٢٠٠٠) من تحرير أوليف كلاس Olive Classe ، وأقتبس منه أقوالاً كثيرة ، بل وأتُرجِم عنه كثيرًا في ثنايا الكتاب .

وسوف أتّبِع المنهج الحديث في الإشارة أو الإحالة إلى المراجع والمصادر ، فأذكر اسم المؤلِّف وعام نشر الكتاب أو الدِّراسة ، مع ذكر رَقْم الصفحة ، إن اقتضى الأمر ، بين أقواس بعد الإشارة أو الإحالة أو اقتطاف شيء من كتاب ما ، وأتوقَّع من القارئ أن يرجع إلى قائمة المراجع حيث يرد اسم المؤلِّف والكتاب وجميع البيانات الببليوغرافية اللازِمة .

ولما كان هذا الكتاب موجَّهًا إلى من يعرف العربية والإنجليزية فقد حرَصت على إيراد المصطلَحات الأجنبية بلغتها الأصلية بين قوسين بعد ترجمتها إلى العربية ، كما ناقشت في غُضون الكتاب ترجمة الكثير من مصطلحات « دراسات الترجمة » - ذلك المبحث الجديد - وما يتّصل به من مصطلَحات عُلوم اللُّغة وغيرها ، فلعل في ذلك بعض فائدة . وأمّا النماذج العربية والإنجليزية فجميعها من ترجمتي ، ما لم يُنَصّ على خلاف ذلك ، والله من وراء القصد .

محمد عناني

القاهرة ، ٢٠٠٢

مقدمة

إذا سألت أي فرد من أبناء الوطن العربي عن الترجمة قال لك دون تردد إنها تعني النقل من لغة إلى لغة ، وإذا سألت المتعلمين لم يترددوا في تأكيد الطابع اللغوي المحض للترجمة ، وقد نجد بينهم من يتحدث عن الترجمة « الحرفية » وترجمة « روح » النص ، أو من ينتقد سوء اللغة عند بعض المترجمين ، فإذا سألت المتخصصين فربما خرجت بآراء مستقاة من العلوم والمعارف الحديثة حقّا ولكنها تدور في ذلك الفلك نفسه ، بل إن حياتنا الأكاديمية لا تزال تضع الترجمة في منزلة ثانوية (بعد البحوث العلمية) حتى إذا قام بها المتخصصون في اللغة ، فإذا سألت أي عربي عن معنى « نظرية الترجمة » أو « دراسات الترجمة » لم تخرج إجابته عن المحاور المذكورة آنفًا ، وله العذر كل العذر في ذلك ، فإن مبحث « دراسات الترجمة » مبحث علمي جديد لم ينشأ في العالم (شرقه وغربه) إلا منذ عهد قريب ، وقد اشتد ساعده في التسعينيات ، ولم نتخلف نحن في جامعاتنا العربية عن دراسة هذا المبحث منذ الثمانينيات ، وخصوصًا في أقسام اللغات ، فأجرى العديد من طلاب الدراسات العليا في جامعة القاهرة وغيرها رسائلهم للماجستير والدكتوراه في هذا التخصص الجديد ، وإن كنا لم ننتج فيه بحوثًا مناظرة للبحوث العالمية الجارية ، لأننا لم نعرف الكثير عنه ، وهدف هذا الكتاب إذن تقديم الخطوط العريضة لهذا المبحث الجديد .

وأما « دراسات الترجمة » translation studies فهي - كما يقول منداي (٢٠٠١ - ص ١) - اسم يطلق على المبحث discipline الأكاديمي الجديد المتعلق بدراسة نظرية الترجمة وظواهرها . ويتسم هذا التخصص (بطبيعته) بأنه متعدد اللغات multilingual ومشترك بين المباحث الأكاديمية أي أنه مبحث بينيّ interdisciplinary يضم علوم اللغات ، وعلم اللغويات (الحديث) ، ودراسات الاتصال ، والفلسفة ، وضروبًا منوعة من الدراسات الثقافية .

وقد أدى هذا التنوع إلى نشوء إحدى المشكلات الكبرى في تعليم دراسات الترجمة والإحاطة بها ، ألا وهي أن نسبة كبيرة منها متناثرة متفرقة في شتى الكتب والمجلات العلمية . ومن ثم وضع الباحثون كتبًا تجمع نصوصًا مختارة من الكتابات الأساسية في الموضوع ، وهي كتب مرجعية تتضمن دراسات في الموضوعات المتعلقة بهذا المبحث الجديد ، وبعضها يتضمن آراء محرريها أنفسهم ، أو مقدمات ضافية ، وهكذا فإن بعض هذه الكتب يغني عن البحث في المجلات العلمية (الدوريات) وغيرها من المصادر، ومن هذه الكتب كتاب وضعه أندرو تشسترمان Andrew Chesterman بعنوان **قراءات في نظرية الترجمة** *Readings In Translation Theory* عام ١٩٨٩ ، وكتاب وضعه أندريه ليفيفير André Lefevere بعنوان **الترجمة / التاريخ / الثقافة : كتاب مصدري** - في عام ١٩٩٢ *Translation / History / Culture : A Source Book*

وكتاب وضعه اثنان هما رينر شولت وجون بيجينيه Rainer Schulte and John Biguenet عام ١٩٩٢ أيضًا بعنوان **نظريات الترجمة : مجموعة مختارة من المقالات من درايدن حتى دريدا**

Theories of Translation : An Anthology of Essays from Dryden to Derrida

وكتاب وضعه دجلاس روبنسون Douglas Robinson عام ١٩٩٧ بعنوان « نظرية الترجمة في الغرب من هيرودوت إلى نيتشه »

Western Translation Theory from Herodotus to Nietzsche

وكتاب وضعه لورانس ڤينوتي Lawrence Venuti عام ٢٠٠٠ بعنوان « **نصوص مختارة في دراسات الترجمة** » *The Translation Studies Reader* كما حاول بعض المؤلفين تجميع المفاهيم الأساسية في هذا المجال و وصفها في كتب أخرى مثل **موسوعة راتلدج لدراسات الترجمة** التي وضعتها منى بيكر Mona Baker عام ١٩٩٧ *The Routledge Encyclopaedia of Translation Studies* ومثل **معجم دراسات الترجمة** *The Dictionary of Translation Studies* الذي وضعه شاتلويرث وكوي Shuttleworth and Cowie عام ١٩٩٧ ، ومثل **موسوعة الترجمة الأدبية إلى الإنجليزية** *Encyclopedia of Literary Translation into English* من تحرير أوليڤ كلاس Olive Classe الصادرة في لندن عام ٢٠٠٠ .

فأما كلمة الترجمة فقد تعني المجال كله ، أو عملية الترجمة ، أو النص المترجم . وأما **عملية الترجمة** process of translation بين لغتين مختلفتين فتعني أن يقوم المترجم بتحويل نص مكتوب أصلي original وهو ما يسمى بالنص المصدر source text في اللغة اللفظية verbal الأصلية إلى نص مكتوب يسمى النص المستهدف target text ، وهذا النوع ينتمي إلى ما يسمى بالترجمة بين لغتين interlingual translation وهي إحدى الفئات الثلاث للترجمة التي وصفها رومان ياكوبسون Roman Jakobson في دراسته الأساسية (ڤينوتي - ٢٠٠٠) . وأما الفئات الثلاث فهي :

١- الترجمة باللغة نفسها intralingual translation أي إعادة الصياغة

rewording أي « تفسير للعلامات اللفظية بعلامات لفظية أخرى من اللغة نفسها » .

٢- الترجمة بين لغتين interlingual translation أو « الترجمة الحقة » ومعناها « تفسير العلامات اللغوية بعلامات لفظية من لغة أخرى » .

٣- الترجمة السيميائية intersemiotic translation أو « التبديلية » transmutation ومعناها « تفسير العلامات اللغوية بعلامات من نظم العلامات غير اللغوية » .

والمعروف أن دراسات الترجمة لم تبدأ في اكتساب صفة المبحث الأكاديمي « شبه المستقل » إلا في السنوات الخمسين الأخيرة ، وقد أصبح هذا المبحث يعرف بين أبناء اللغة الإنجليزية باسم « دراسات الترجمة » وهو العنوان الذي وضعه الباحث الأمريكي جيمز س . هومز James S. Holmes ، وقد بدأت الإشارة إليه في البحث الذي ألقاه عام ١٩٧٢ وإن لم ينشر إلا عام ١٩٨٨ فشاع العلم به (ثم أعيد نشره في كتاب ڤينوتي المشار إليه عام ٢٠٠٠) . وقد وصف هومز المبحث الوليد إذ ذاك قائلاً إنه معني « بمجموعة المشكلات الناشئة من ظاهرة العمل بالترجمة والترجمات » (ڤينوتي ٢٠٠٠ - ص١٧٣) . وبحلول عام ١٩٨٨ كانت ماري سنيل - هورنبي Mary Snell-Hornby قد أصدرت الطبعة الأولى من كتابها « مدخل متكامل إلى دراسات الترجمة »

Translation Studies : An Integrated Approach

وتقول في مقدمتها « إن جهات كثيرة قد بدأت في السنوات الأخيرة تطالب بضرورة اعتبار دراسات الترجمة مبحثًا مستقلا » . وعندما أصدرت الطبعة الثانية والمنقحة من ذلك الكتاب عام ١٩٩٥ وجدناها تتحدث عن « السرعة اللاهثة التي اتسم بها تطور دراسات الترجمة باعتبارها مبحثًا مستقلا »

وعن « غزارة إنتاج المناقشات الدولية حول هذا الموضوع » . وتحدثت منى بيكر في مقدمتها للموسوعة المشار إليها (١٩٩٧) حديثًا مستفيضًا عن ثراء « المبحث الجديد المثير ، وربما كان لنا أن نعتبره مبحث التسعينيات دون غيره » إذ إنه يجمع بين الباحثين في ضروب منوعة من المباحث التي كثيرًا ما تتصف بأنها مباحث تقليدية ، وها نحن نشهد في مطلع القرن الحادي والعشرين مبحث دراسات الترجمة وهو يواصل تطوره ، فيكتسب قوة بعد قوة في شتى أرجاء المعمورة .

وسوف أعرض في هذه المقدمة للفارق بين ممارسة الترجمة ، وهي نشاط قديم راسخ الجذور ، وبين دراسات الترجمة التي تستند إلى عدة مناهج ، أجملها في تعبير نظرية الترجمة ، وهو الذي اخترته عنوانًا لهذا الكتاب وأعني به الأفكار النظرية التي تستند إليها هذه المناهج ، فهذا مبحث جد حديث ، كما سأعرض لأحد أسباب تأخر ظهور هذا المبحث ؛ إذ إنه لم يتأخر إلا لتأخر ظهور العلوم المغذية له ، سواء في مجال الترجمة الأدبية أو الترجمة العامة . والواقع أن الفصل ما زال قائمًا بين الممارسة والنظرية ، وإن كنت أعارض هذا الفصل معارضة شديدة ، وأعتقد مخلصًا أن الممارسة مهمة لتناول النظرية ، كما سأعرض لبداية دراسة الترجمة ، مستندًا إلى المراجع التي أوردتها آنفًا ، ومترجمًا عنها ومن كتاب منداي المشار إليه ، أو ملخصًا لأهم الأفكار والآراء ، ثم أتوقف عند جهود هومز Holmes في إرساء الأسس التي قام عليها هذا المبحث الجديد .

وقد بدأت الكتابة عن الترجمة باعتبارها مبحثًا علميًا كما يقول منداي (٢٠٠١ – ص ٧) منذ ما يزيد على ألفي عام ، فقد كتب في الموضوع شيشرون Cicero وهوراس Horace في القرن الأول قبل الميلاد ، وكتب فيه

القديس جيروم St. Jerome في القرن الرابع الميلادي ، وقد قدر لهذه الكتابات أن يمتد نفوذها حتى القرن العشرين ، وكان منهج القديس جيروم في ترجمة الكتاب المقدس (السبعيني) من اليونانية إلى اللاتينية ذا أثر في جميع الترجمات التالية له ، بل إن ترجمة هذا الكتاب أصبحت مجالاً للصراعات الفكرية في غربي أوربا لمدة تزيد على ألف عام ، وخصوصًا في عصر الإصلاح الديني في القرن السادس عشر للميلاد .

ولكن دراسة هذا المجال لم تصبح مبحثًا أكاديميًا إلا في النصف الثاني من القرن العشرين ، وأما في الفترة السابقة فقد اقتصر الدرس فيها - في العادة - على كونه عنصرًا من عناصر اكتساب المعرفة باللغة في مناهج تدريس اللغات الحديثة . والواقع أن الفترة التي امتدت من أواخر القرن الثامن عشر حتى الستينيات من القرن العشرين قد ساد فيها ما يسمى بمنهج الترجمة النحوية grammar-translation method في تعليم اللغات في المدارس الثانوية (أي تدريس اللغة عن طريق الترجمة والنحو) وهو المنهج الذي كان متبعًا في تعليم اليونانية القديمة واللاتينية ، ثم بدأ تطبيقه في تعليم اللغات الأجنبية الحديثة ، وكان يركز على حفظ القواعد والتراكيب النحوية للغات الأجنبية عن ظهر قلب ، وكان تطبيق هذه القواعد واختبارها يجريان من خلال ترجمة مجموعات من الجمل التي تمثل التراكيب موضع الدرس ، وعادة ما كانت تلك الجمل غير مترابطة وذات أبنية مصطنعة ، وما زال هذا المنهج مطبقًا في بعض البلدان وبعض السياقات ، ومنها ما كان يسمى بمنهج الترجمة الذي أدخله مدرسو اللغة الإنجليزية من البريطانيين إلى مصر في مطلع القرن العشرين ، وكان ذهن كبير المفتشين في إبان الفترة التي سبقت الحرب العالمية الثانية ، وربما ذهن بعض مستشاريه من المصريين - كما قال لي الدكتور

جرجس الرشيدي (رحمه الله) - قد تفتق عن أسلوب لاختصار زمن تعليم اللغة الإنجليزية للمصريين بأن أدرج مع كل كتاب لتعليم اللغة الإنجليزية من السنة الثالثة الابتدائية القديمة حتى الثالثة الثانوية القديمة وهي الكتب التي كانت تسمى readers مرشدًا يتضمن ترجمة أهم الكلمات والتراكيب باللغة العربية ، واسمه *Arabic Companion* ، وارتبط هذا المنهج باسم مايكل وست Michael West بعد ذلك إلى جانب كتاب لتعليم الألفاظ والعبارات المتصلة بالثقافة الإنجليزية اسمه *English Occasions* في السنة قبل الأخيرة من التعليم الثانوي زوده بترجمات عربية لهذه الألفاظ والعبارات . وقد دَرَسْتُ هذه الكتب فيما دَرَسْتُ حتى شهادة الثقافة العامة (١٩٥٤) - وفيها يتجلى مدى ارتباط الترجمة بتعليم اللغة الأجنبية ، وكان كل امتحان في اللغة الأجنبية يتضمن سؤالاً في الترجمة ، عادة ما يقع في آخر ورقة الأسئلة ولا تخصص له إلا درجات معدودة يكاد الطالب أن يضمنها .

وارتباط الترجمة بتعلم اللغة الأجنبية يفسر لنا سر احتلال مبحث الترجمة مكانة ثانوية في الحياة الأكاديمية ، فلقد كانت تدريبات الترجمة تعتبر وسيلة لتعليم اللغة الأجنبية ، حتى إذا تعلمها الطالب لم تعد به حاجة إلى الترجمة ، وكان المجتمع لا يرحب بقراءة الأعمال المترجمة - بصفة عامة - عندما تتوافر للطالب المعرفة اللازمة باللغة الأجنبية (حتى يقرأ ما يريد باللغة الأصلية) .

ولكن منهج الترجمة النحوية - باعتباره وسيلة من وسائل تعليم اللغات الأجنبية - لم يعد منهجًا مقبولاً (في البلدان الناطقة بالإنجليزية على الأقل) عندما نشأ ما يسمى بالمنهج المباشر direct method أو المدخل التوصيلي communicative approach لتعليم وتعلم اللغة الأجنبية في الستينيات والسبعينيات ، فشاع في مصر ما يسمى بكتب ألكسندر Alexander لتعليم

اللغة الإنجليزية ، ثم تبارت دور النشر في استحداث سلاسل كتب من النوع نفسه ، وهي الكتب التي تقيم علاقة مباشرة بين الطالب واللغة الأجنبية « الإنجليزية أو الفرنسية عندنا » دون وساطة اللغة الأم - أي دون الحاجة إلى الترجمة ، والمنهج كما هو معروف يحبذ « التفاعل » interaction المباشر مع اللغة الأجنبية من خلال مواقف أو حالات situations تضع الكلمات والعبارات الأجنبية في سياقاتها الأصلية وتقدم هذه السياقات إلى المتعلم في سن اكتساب اللغة حتى تصبح لغة ثانية موازية للّغة الأم، بمعنى أن يستطيع المتعلم أن يفكر بها جنبًا إلى جنب مع لغته الأم ، ولسنا في مجال الحكم على مدى نجاح المنهج الجديد في بلادنا ، فربما كان نجاحه في غرب أوربا وأمريكا الشمالية يرجع إلى أن طرائق التفكير متقاربة فيما بين اللغات الأوربية ، على عكس العلاقة بين العربية وبين هذه اللغات ، ولكن الذي نريد تبيانه هو أن دراسة الترجمة قد تعرضت للإهمال في مراحل الدراسة الأولى قبل الجامعية ، ولم تعد تدرس إلا باعتبارها مادة أكاد أقول إنها ثانوية ، حتى في أقسام اللغات المتخصصة في الجامعات العربية لا المصرية فقط ، بل إن تدريسها في تلك الأقسام لم يَخْلُ لدينا من آثار النظرة القديمة ، ألا وهي أن نعتبرها من وسائل تعلم اللغات الأجنبية ، وعادة ما كان تعليم الترجمة يعهد به إلى مدرسي اللغات الأجنبية مهما يكن حظهم من معرفة فنون الترجمة العامة أو العلمية أو الأدبية ، ومهما يكن حظهم من ممارستها أو من إجادة اللغة القومية (الفصحى - معاصرة كانت أم تراثية) .

أما في خارج الوطن العربي فلقد بدأ الاهتمام بالترجمة باعتبارها فنًّا أو علمًا مستقلا في الستينيات - كما يقول منداي (٢٠٠١ - ص ٨) من خلال ما يسمى حلقات عمل الترجمة أو ورش الترجمة translation workshops ،

وهو مفهوم يستند إلى منهج كتاب « النقد التطبيقي » *Practical Criticism* الذي وضعه أ. أ. ريتشاردز I. A. Richards في العشرينيات واستمر بعد ذلك فيما يسمى بورش الكتابة الإبداعية . ويعتمد هذا المفهوم على إقامة علاقة مباشرة بين الطالب وبين النص ، وتنمية استجابة الطالب لما يقرؤه مباشرة ، ومن ثم إخراج صورة هذه الاستجابة بلغته الأم ، وهو منهج يركز على الترجمة الأدبية literary translation . وقد بدأ في جامعتي أيوا Iowal وبرنستون Princeton وكان الهدف منه أن يكون تمهيدًا لإعداد جيل جديد من مترجمي الأدب إلى اللغة القومية (الإنجليزية) ، من خلال مناقشة دقائق فن الترجمة ودقائق فهم النص (انظر كتاب E. Gentzler بعنوان *Contemporary Translation Theories* « **نظريات الترجمة المعاصرة** » الصادر عام ١٩٩٣ - ص ٧ - ١٨) .

وبموازاة هذا المنهج « العملي » كان هناك منهج آخر هو منهج الأدب المقارن comparative literature وهو المنهج الذي يعتمد على قراءة الأدب عبر الثقافات المختلفة ، وهو ما كان يتضمن قراءة بعض الأعمال المترجمة وإقامة العلائق بينها من ناحية وبين أصولها الأجنبية ومثيلاتها باللغة القومية من ناحية أخرى ، وقد أدى ذلك آخر الأمر إلى وضع مناهج وأسس الدراسات الثقافية التي سوف نتعرض لها فيما يلي .

ومن المجالات الأخرى التي أصبحت الترجمة فيها موضع البحث العلمي مجال يسمى التحليل التقابلي contrastive analysis أي دراسة لغتين دراسة تقابلية بمعنى مقابلة التراكيب في إحداهما بالتراكيب الموجودة في الأخرى ، وقد تتضمن هذه التراكيب تعبيرًا « أو مصطلحًا لغويًا » مقصورًا على إحداهما دون الأخرى أو مشتركًا فيما بينهما بحيث تنتهي الدراسة إلى إيضاح وتحديد

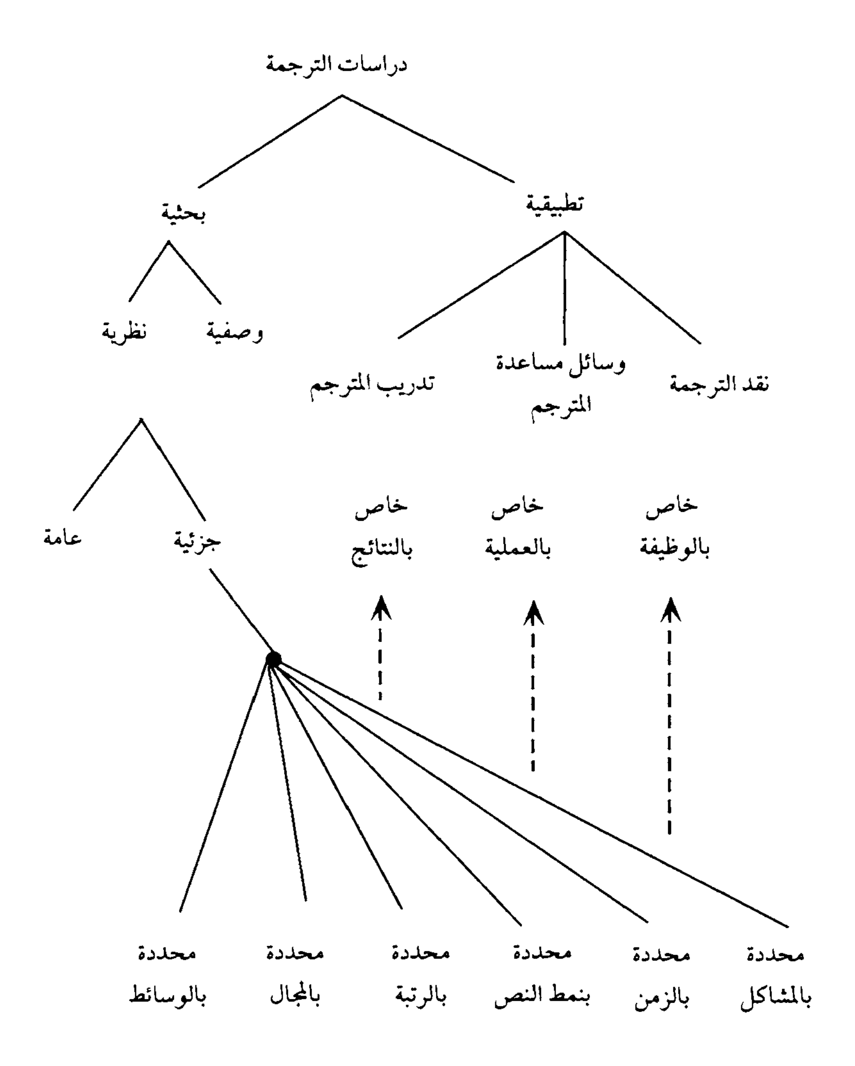
الفروق العامة والخاصة بينهما . وقد بدأت هذه الدراسات في الثلاثينيات في الولايات المتحدة باعتبارها مجالاً للبحث العلمي المنهجي systematic أي الذي يتبع منهجًا علميّا له قواعده وأصوله ، ثم تطورت وأصبحت تشغل موقعًا بارزًا في الستينيات والسبعينيات . ويبين الكتاب الذي وضعه « دي بيترو » R. J. Di Pietro وعنوانه *Language Structures in Contrast* أي (**التقابل بين الأبنية اللغوية**) الصادر عام ١٩٧١ والكتاب الذي وضعه « س. جيمز » C. James بعنوان *Contrastive Analysis* أي (**التحليل التقابلي**) الصادر عام ١٩٨٠ أن الترجمات والأمثلة المترجمة كانت تمثل جانبًا كبيرًا من المادة التي يعتمد عليها الدارسون في استخلاص نتائجهم ، وكان من وراء ذلك كله بروز علم الألسنة الحديث أو « اللغويات » linguistics . وأتصور أن المتخصصين في هذا العلم الجديد كانوا يريدون له الإسهام عمليّا في مباحث الترجمة حتى يعود بفائدة تطبيقية ملموسة على الدارسين ، فالاقتصار على جوانبه النظرية يبعده عن مجال النفع المباشر للدارس ، وهذا هو ما نراه في الكتاب الذي وضعه « كاتفورد » J. C. Catford بعنوان *A Linguistic Theory of Translation* أي (**نظرية لغوية للترجمة**) عام ١٩٦٥ ، وما نراه في كتاب Vinay and Darbelnet (١٩٥٨) (انظر المراجع) إذ يحاول الكتابان إقامة روابط بين العلم النظري بالتحليل التقابلي والممارسة الفعلية للترجمة ، بل إن التحليل التقابلي أثر في مسار الدراسات اللاحقة تأثيرًا كبيرًا ، لكنه – على فائدته الواضحة – لا يتضمن تحليل العوامل الاجتماعية والثقافية ، لا ولا العوامل التداولية pragmatics ولا دور الترجمة بصفتها فعلاً من أفعال التواصل communicative act ، فالاهتمام بالنص اللغوي من حيث هو بنيان قائم برأسه يقتضي التركيز على الأبنية من حيث هي أبنية وتراكيب وضروب من المصطلح اللغوي ، لا مجال لرصد المواقف الحياتية فيه ولا التعامل معه

على ضوء الخلفيات الاجتماعية والثقافية . ومع ذلك فإن الاهتمام باللغة هنا أوضح العلاقة الباطنة بين هذا المبحث وبين الترجمة ، خصوصًا بعد تطبيق نماذج الأبنية اللغوية التي جاء بها النحو التوليدي generative grammar ثم النحو الوظيفي . وما زالت الترجمة تُدرَّس أو يستعان بها في بعض الجامعات في الوحدات modules اللازمة لتدريس مناهج اللغويات التطبيقية applied linguistics courses ولكن العلم الجديد أو مبحث دراسات الترجمة الذي نحن بصدده قد أضاف نماذج جديدة وغدا يركز على أبعاد لم تكن تستلفت النظر في هذه النماذج ، وهكذا ابتعد عن اعتبار الترجمة نشاطًا يختص في المقام الأول بالتعليم والتعلم ، وبات يركز على الدراسات المتعمقة « **لما يحدث في عملية الترجمة وفي النصوص المترجمة وما يحيط بهذه وتلك جميعًا** » ، كما يقول جيريمي منداي (٢٠٠١ - ص ٩).

أما المدخل المنهجي لدراسة الترجمة ، والذي كان ذا توجه لغوي في معظمه ، فقد ظهر في الخمسينيات والستينيات ، والأمثلة عليه قائمة في الكتب التي وضعها ڤيناي ، وداربلنيه ، وجورج مونان Jean - Paul Vinay and Jean Darbelnet and Georges Mounin (وهم جميعًا فرنسيون - انظر المراجع) وأخيرًا يوجين نايدا Eugene Nida عام ١٩٦٤ الذي أدرج بعض عناصر النحو التوليدي الذي جاء به « تشومسكي » Chomsky بصفتها من الأسس النظرية اللازمة لوضع ما يسميه بعلم الترجمة ، وكان القصد المبدئي له هو مساعدة مترجمي الكتاب المقدس . وسرعان ما تولى المدخل المنهجي و « العلمي » تحديد المجال الخاص بالبحث الأكاديمي في الترجمة ، وقد استخدم نايدا كلمة « العلمي » في عنوان كتابه الصادر عام ١٩٦٤ (نحو علم الترجمة - *Toward (a Science of Translating)* وتبعه الألمان بتعبير *Übersetzungswissenschaft* وظهر في الوقت نفسه اسم جديد للمبحث

الجديد (دون أن يقبله الجميع) وهو translatology بالإنجليزية و translatologie بالفرنسية و traductologia بالإسبانية ، ولم يستخدم هذا العنوان بالعربية - فيما أعلم - إلا الأستاذ محمد ديداوي في كتابه الذي يحمل عنوان علم الترجمة ، وهو يعتمد أيضًا على المنهج اللغوي ، فهو كبير مترجمي الأمم المتحدة في جنيف وعالم ضليع باللغات الثلاث - العربية والإنجليزية والفرنسية .

وقد سبق أن ذكرت أن وضع هذا المبحث الجديد يُنسب إلى « جيمز س . هومز » James S. Holmes إذ يقول جنتزلر في كتابه المشار إليه آنفًا (١٩٩٣) إننا نستطيع أن نرصد البيان التأسيسي founding statement لهذا المبحث الجديد باعتباره مبحثًا مستقلا في البحث الذي ألقاه « هومز » عام ١٩٧٢ وسبقت الإشارة إليه عن « اسم وطبيعة دراسات الترجمة » ، في مؤتمر عُقد في كوبنهاجن للغويات التطبيقية لكنه لم ينشر إلا في عام ١٩٨٨ (وأعاد ڤينوتي نشره عام ٢٠٠٠) ، وفيه يبين هومز حدود المبحث الجديد ، ويقول إنها تمثل قيودًا على الباحث لأن مجالات المبحث الجديد مشتركة مع مباحث أخرى كثيرة ، ومن ثم ينبغي على الباحث أن يعيد النظر في مجالات التخصصات وحدود هذه المجالات ، وأن يسمح لنفسه بتجاوز هذه الحدود حتى يتمكن من تجميع ما يصب مباشرة في المبحث الجديد . وهو يرسم خريطة تيسر تصور حدود المبحث الجديد ، وقدمها جدعون توري G. Toury في كتابه *Descriptive Translation Studies - And Beyond* أي (دراسات الترجمة الوصفية وما بعدها) (١٩٩٥) على النحو التالي :



تصور هومز لحدود وفروع المبحث الجديد – من كتاب توري (١٩٩٥)

وقد قدم هومز إيضاحات بالغة الأهمية لهذا التقسيم في بحثه المشار إليه (فينوتي ٢٠٠٠ - ص ١٧٦ - ١٨١) قائلاً إن أهداف المجالات « البحتة » هي ما يلي :

١- وصف ظواهر الترجمة فيما يسمى بنظرية الترجمة الوصفية descriptive translation theory.

٢ - وضع المبادئ العامة اللازمة لشرح هذه الظواهر والتنبؤ بها فيما يسمى بنظرية الترجمة translation theory .

وينقسم الفرع « النظري » إلى نظرية عامة ونظرية جزئية . ومعنى « العامة » لدى « هومز » هو الكتابات التي تسعى لوصف أو تفسير كل نمط من أنماط الترجمة وإصدار المقولات العامة التي تنطبق على الترجمة بصفة عامة . ومعنى « الجزئية » لديه هي الدراسات النظرية المحدودة أو المحددة بالمعايير التي سوف نناقشها فيما يلي .

وأما النوع الآخر للبحث « البحت » عند هومز فهو الفرع الوصفي . ودراسات الترجمة الوصفية descriptive translation studies يمكن أن تركز على أحد المجالات التالية :

(١) دراسة الناتج و (٢) دراسة الوظيفة و (٣) دراسة العملية .

(١) دراسة الناتج product oriented

معناها دراسة الترجمات الموجودة فعلاً . ويمكن أن ينصب ذلك على وصف أو تحليل نصين أحدهما هو المصدر (الأصلي) والثاني مترجم عنه ، أو إجراء مقارنة أو تحليل لعدد من النصوص المترجمة لنفس النص المصدر (إلى لغة مستهدفة أو إلى عدة لغات مستهدفة) ، وقد تجتمع هذه الدراسات التي

تجرى على نطاق محدود في إطار أوسع لتحليل اتجاه الترجمة في فترة زمنية محددة ، أو لغة معينة ، أو لإجراء دراسة من نوع تحليل الكلام (الخطاب) discourse analysis أو تحليل النصوص ، وقد تكون الدراسات على النطاق الواسع عبر زمنية diachronic (أي ترصد التطور عبر الزمن) أو متزامنة synchronic (أي ترصد الحالة في لحظة أو فترة زمنية معينة) . ويقول هومز إن أحد أهداف دراسة الناتج هو الوصول إلى تاريخ عام للترجمة - على ما في هذا الهدف من طموح .

(٢) دراسة الوظيفة function oriented

ويقصد « هومز » بذلك وصف « وظيفة » الترجمات في الإطار الاجتماعي والثقافي للمتلقي ؛ أي أنها دراسة للسياقات أكثر منها للنصوص (ص ١٧٧) ، وقد تتضمن القضايا الجديرة بالبحث التساؤل عن أسماء الكتب التي ترجمت ، ومتى ترجمت ، وأين ترجمت ، ومدى التأثير الذي أحدثته . وكان هذا المجال الذي يطلق عليه هومز دراسات الترجمة الاجتماعية socio - translation studies ، وربما أطلقت عليه اليوم الترجمة الموجهة نحو الدراسات الثقافية Cultural - Studies - Oriented translation ، لا يحظى باهتمام كبير آنذاك ، ولكنه الآن مجال خصب في مبحث دراسات الترجمة .

(٣) دراسة العملية process oriented

وهو يختص في الإطار الذي وضعه « هومز » بسيكولوجية الترجمة أي باستكشاف ما يحدث في ذهن المترجم . ورغم بعض الدراسات التي أجريت في هذا المجال ، من خلال تحليل ما يسجله المترجم من أقوال أثناء عملية الترجمة في إطار بعض النظريات النفسية أو « اللغوية السيكولوجية »

psycholinguistics ، فلا يزال المجال بكرًا ولم يضع المتخصصون له ما يتطلبه من قواعد الدراسة المنهجية .

ويمكن أن تصب نتائج البحث الخاص بأي شعبة من دراسات الترجمة الوصفية المذكورة في الفرع النظري ، إما لإخراج نظرية عامة للترجمة ، وهو المسعى العام الشامل (بعيد المنال) ، أو لتحقيق هدف أقرب للتحقيق ، وهو نظريات جزئية partial محددة بالعوامل الواردة في الشكل الوارد آنفًا ، وبيانها كالتالي :

النظريات المحددة بالوسائط medium-restricted theories وهي تنقسم إلى شعبتين هما الترجمة التي تقوم بها الآلة والترجمة التي يقوم بها الإنسان ، وإلى شعب فرعية منها قيام الآلة / الحاسوب بالترجمة وحده أو بالاستعانة بالذهن البشري ، ومنها إذا ما كانت الترجمة البشرية تحريرية written أو شفوية spoken ، وما إذا كانت الأخيرة وهي التي نسميها فورية interpreting فورية حقًا simultaneous أي متزامنة إلى أقرب حد مع الكلمات أو وحدات الترجمة (عبارات كانت أو جملاً) أم تتبعية consecutive .

النظريات المحددة بالمجال area-restricted theories وهي النظريات المحددة بلغات معينة أو بمجموعات من اللغات أو الثقافات أو بهذه وتلك جميعًا . ويشير « هومز » إلى أن النظريات المحددة باللغات ترتبط ارتباطًا وثيقًا بالعمل في مجال اللغويات التقابلية contrastive linguistics وعلم الأسلوب (الأسلوبيات stylistics) .

النظريات المحددة بالرتبة rank-restricted theories : وهي النظريات اللغوية المحددة بمستوى معين من الوحدات اللغوية ، وهو يتراوح في العادة بين

مستوى الكلمة ومستوى الجملة . و « هومز » يستعمل مصطلح الرتبة rank بديلاً للمستوى level ، وفي الوقت الذي نشر فيه بحثه منذ أكثر من عشرين عامًا كان الاتجاه قد بدأ بالفعل إلى ما يسمى بلغويات النص text linguistics ، ولما كان هذا الاتجاه يسمى (تحليل النص حسب الرتبة) text rank analysis فقد استعار « هومز » هذا المصطلح أي (الرتبة) ليشير به إلى المستوى .

النظريات المحددة بنمط النص text-type restricted theories وهي النظريات التي تنظر في أنماط types أو أجناس genres معينة من النصوص مثل الترجمة الأدبية ، أو الترجمة الشائعة في دوائر الأعمال التجارية ، أو الترجمة العلمية أو التقنية . وقد شاعت المناهج القائمة على أنماط النصوص منذ أن بدأت كاترينا رايس Reiss وفيرمير Vermeer عملهما في السبعينيات ، إلى جانب غيرهما بطبيعة الحال .

النظريات المحددة بالزمن time-restricted theories وهي النظريات والترجمات المقصورة على فترات وأطر زمنية معينة ، ويندرج تاريخ الترجمة في هذه الفئة .

النظريات المحددة بالمشاكل problem-restricted theories وهي النظريات التي قد تشير إلى مشكلات معينة مثل مشكلة « التعادل » equivalence أي تساوي الدلالة بين العناصر اللفظية الصغرى lexical item سواء كانت كلمة مفردة أو كلمتين أو أكثر ، وسواء أ كانت الدلالة في المعنى أم في الإحالة reference أم في الوظيفة أم في النص ، وكانت هذه المشكلة من المشكلات الأساسية في الستينيات والسبعينيات ، كما يمكن أن تنصرف هذه النظريات إلى سؤال أكبر عما إذا كانت هناك عناصر عامة عالمية universals في لغة

الترجمة .

وعلى الرغم من هذا التقسيم ، فإن « هومز » يبدي حرصًا شديدًا على أن يؤكد أن « الحدود » المذكورة قد تفرض نفسها مجموعة لا متفرقة ، بحيث لا تقتصر الحدود على فئة دون فئة ، فدراسة ترجمات نجيب محفوظ إلى اللغة الإنجليزية مثلاً محدودة بالمجال ، وهو الترجمة من العربية المعاصرة modern standard Arabic أو MSA إلى الإنجليزية ، وبين الثقافة العربية وثقافة النص المستهدف ، ومحدودة بنمط النص (الروايات والقصص القصيرة) بل ومحدودة بالزمن (ولنقل من الخمسينيات حتى الستينيات) .

وأما الفرع « التطبيقي » في إطار هومز فيتعلق بما يلي :

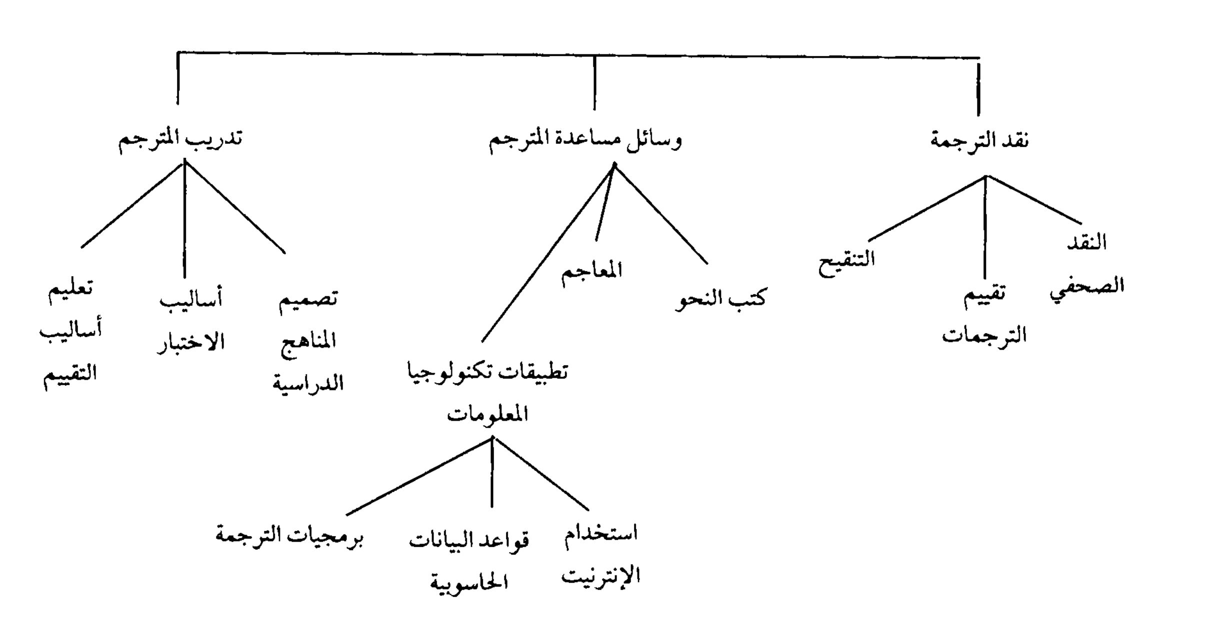
تدريب المترجم translator training وهو يختص بأساليب التعليم ، و وسائل الاختبار ، وتصميم المناهج الدراسية .

وسائل مساعدة المترجم translation aids مثل المعاجم وكتب النحو وتكنولوجيا المعلومات .

نقد الترجمة translation criticism ومعناه تقييم الترجمات ، بما في ذلك تقدير درجات ترجمات الطلاب والنقد الصحفي للترجمات المنشورة .

ويشير « هومز » إلى مجال آخر يطلق عليه سياسات الترجمة translation policy ويعني به عمل الباحث في مجال مكانة الترجمة في المجتمع ، بما في ذلك الدور الذي تضطلع به ، إن كانت سوف تضطلع بدور ما في تعليم اللغات الأجنبية والمناهج الدراسية عمومًا .

ويقول منداي (٢٠٠١ – ص ١٣) إن التفاصيل الخاصة بالجانب الأيمن من الشكل الوارد أعلاه يمكن أن تتخذ شكلاً آخر يورده على النحو التالي :


الفرع التطبيقي لدراسات الترجمة
نقد الترجمة
النقد الصحفي
تقييم الترجمات
التنقيح
وسائل مساعدة المترجم
كتب النحو
المعاجم
تطبيقات تكنولوجيا المعلومات
استخدام الإنترنيت
قواعد البيانات الحاسوبية
برمجيات الترجمة
تدريب المترجم
تصميم المناهج الدراسية
أساليب الاختبار
تعليم أساليب التقييم

ويضيف « منداي » أن تقسيمات الخريطة - بصفة عامة - تقسيمات مصطنعة . والواقع أن « هومز » يؤكد أن المجالات النظرية والوصفية والتطبيقية تؤثر في بعضها البعض ، وإن كان توري يرى (١٩٩١ - ص ١٨٠ ، ١٩٩٥ ص ٩) أن المزية الأساسية للتقسيم هي أنها تتيح إيضاحًا وتقسيمًا للعمل فيما بين شتى مجالات دراسات الترجمة ، وهي المجالات التي كان يختلط بعضها بالبعض حتى عهد قريب .

والواقع أن أهمية دراسة هومز ترجع إلى تفصيل القول في إمكانات مبحث دراسات الترجمة . ولا يزال كثير من الدارسين يرجعون إلى الخريطة باعتبارها نقطة انطلاق ، على الرغم من أن بعض المناقشات النظرية اللاحقة قد حاولت إعادة صياغة بعضها (مثلما فعلت الأستاذة سنيل-هورنبي Mary Snell-Hornby عام ١٩٩١) فيما أسمته المدخل المتكامل integrated approach ومثلما فعل بيم Pym (في كتابه عن المنهج في تاريخ الترجمة عام ١٩٩٨) . ويشير بيم في هذا الكتاب (ص ٤) إلى أن خريطة « هومز » تغفل أي إشارة إلى خصوصية أسلوب المترجم أو المترجَم له ، وعوامل اتخاذ القرارات أثناء الترجمة وطرائق عمل المترجمين من البشر بالمقارنة بالترجمة الحاسوبية أو الترجمة بالآلة machine translation وهو أسلوب يمارس حاليًا في اليابان .

وأدت الوفرة غير المسبوقة في دراسات الترجمة منذ السبعينيات إلى إبراز العديد من المجالات التي حددها هومز ، فتوارى دور « التحليل التقابلي » واستمر « علم » الترجمة القائم على الدراسة اللغوية في ألمانيا ، وإن كان مفهوم « التعادل » الذي ارتبط به قد تضاءل موقعه في هذه الدراسة ، وشهدت ألمانيا نهضة في مجال « أنماط النصوص » وأرست عليها نظريات جديدة مهمة (أهمها نظرية كاترينا رايس) ونظرية الغرض من النص text

purpose (وهي نظرية الترجمة الوظيفية the *skopos* theory التي وضعتها رايس مع فيرمير) . وفي غضون ذلك ومنذ أواخر الثمانينيات ازداد تأثير مذهب هاليداي Halliday فيما أسماه بتحليل الكلام discourse analysis والنحو الوظيفي المنهجي systemic functional grammar وهو المذهب الذي يعتبر اللغة فعلاً توصيليًا في سياق اجتماعي ثقافي ، وخصوصًا في أستراليا وبريطانيا ، وقد طبقه عدد من الباحثين على الترجمة في عدة كتب (منها كتب Bell – ١٩٩١ وBaker – ١٩٩٢ و Hatim & Mason ١٩٩٠ – و ١٩٩٧) كما شهدت أواخر السبعينيات والثمانينيات نشأة مدخل وصفي ترجع جذوره إلى الأدب المقارن ومدرسة الشكلية الروسية . وكان من السباقين إلى هذا المذهب إيتامار إيفين – زوهار Itamar Even - Zohar وجدعون توري Gideon Toury اللذان رصدا فكرة تعدد النظم الأدبية the literary polysystem وكان يعني فيما يعني أن الآداب المختلفة والأجناس الأدبية المختلفة ، بما في ذلك الأعمال غير المترجمة والأعمال المترجمة ، تتنافس فيما بينها على سيادة الساحة الأدبية ، وكانا يعملان بالتعاون مع مجموعة مقرها بلجيكا وتضم خوزيه لامبرت José Lambert وأندريه ليفيفير André Lefevere (الذي انتقل بعد ذلك إلى أوستن بولاية تكساس) ومع بعض الباحثين في المملكة المتحدة مثل سوزان باسنيت Susan Bassnet وثيو هيرمانز Theo Hermans ، وقد حرر الأخير مجلدًا يتضمن مجموعة من الدراسات عن تحوير الأدب أو معالجته (انظر المراجع) وهو الذي أدى إلى إطلاق اسم « مدرسة المعالجة » Manipulation School على عدد من الباحثين في هذا المجال ، وكان هذا مدخلا ديناميًا ذا توجه ثقافي شامل كتب له أن يسود في معظم عقد التسعينيات ، في حين توقفت الدراسات اللغوية أو قل أصابها الركود .

وشهدت التسعينيات أيضًا قيام مدارس ومفاهيم جديدة ، فشهدت كندا

بحوثًا في الترجمة وعلاقتها بالتمييز بين الجنسين ، وكانت تتزعم هذه الحركة أستاذة اسمها شيري سايمون Sherry Simon كما شهدت نشأة مذهب جديد في البرازيل هو مذهب « التهام الآخر » cannibalist school وهو المذهب الذي كانت تروج له الباحثة إلزي ڤييرا Else Vieira ، ونشأة مذهب الترجمة فيما بعد زوال الاستعمار postcolonial translation theory وهو يترجم في مصر أحيانًا بتعبير « ما بعد الكولونيالية » تعريبًا لكلمة الاستعمار المعروفة colonialism والذي كان من دعاته الأوائل سيدتان بنغاليتان هما تيجاسويني نيرانچانا Tejaswini Niranjana وجاياتري سپيڤاك Gayatri Spivak ، كما برز في الولايات المتحدة مذهب التحليل الموجه نحو الدراسات الثقافية culture studies oriented analysis الذي تزعمه لورانس ڤينوتي ، وهو الذي يدافع عن قضية المترجم دفاعًا مجيدًا .

ولقد ظلت نظرة الناس إلى الترجمة نظرة تحط من قدرها باعتبارها نشاطًا ثانويًا يعتمد على فكر الغير وأدبه ، وكانت النتيجة هي خفض قيمة الدراسة الأدبية لهذا النشاط ، أما الآن ، وبعد التجاهل الذي ساد فترة طويلة ، فقد أصبحت دراسات الترجمة راسخة الجذور ، وهي تتقدم بخطى حثيثة على مستوى العالم كله ، وإن كان التردد ظاهرًا في بعض مناحي الاضطلاع بهذا المبحث . ولا تزال الترجمة ودراسات الترجمة تحتفظ بموقعها القديم في أقسام اللغات الحديثة ، وكثيرًا ما نرى المسئولين يرفضون المساواة بين ممارسة الترجمة وبين البحوث الأكاديمية الأخرى حتى في الترجمة ، بل إن التقديرات الرسمية لأنشطة الأقسام العلمية في بريطانيا نفسها (وفي أقطار الوطن العربي كله دون استثناء - بطبيعة الحال) ترى أن المقالات الأكاديمية (التي نسميها بحوثًا) أعلى شأنًا من ترجمة النصوص ، ولو كانت ترجمة كتب كاملة ، وذلك بالرغم من أن ممارسة الترجمة لا مناص من اعتبارها خبرةً من الخبرات الأساسية لمن

يبحث في نظرية الترجمة ويتولى تدريس هذه المادة ، وكثيرًا ما نرى من أفراد الفئة الأخيرة من لم يخبر الترجمة العملية أو يمارسها إلا لمامًا ، أو من لم يمارسها على الإطلاق .

ولقد كان هذا الانفصام - تحديدًا - بين النظرية والممارسة هو الذي تصدى له « هومز » وحاول أن يرأب الصدع باعتباره مترجمًا ممارسًا وباحثًا أكاديميًا . وقد تجلت المظاهر الأولى لهذا الانفصام وآثاره فيما قالته « كيتي فان لويفن - زفارت » Kitty van Leuven - Zwart في دراسة لها بعنوان « **مجال دراسات الترجمة : مقدمة** » في الكتاب الذي حررته مع ت . نايكنز T. Naaijkens عام ١٩٩١ بعنوان : *Translataion Studies : State of the Art* إذ تحدثت عن المخاوف التي تراود معلمي الترجمة من أن تحل النظرية محل التدريب العملي ، وعن آراء مترجمي الأدب في الفن الذي يمارسونه ويعتقدون أنه فن من المحال تعليمه للآخرين . وهي تقول إننا نجد - في مقابل ذلك - أن الباحثين الأكاديميين يبدون « شكوكًا جادة » في جدوى مباحث الترجمة أو يقولون إن للترجمة موقعها الراسخ والكافي في المناهج الدراسية للغات الحديثة . وكانت « لويفن - زفارت » قد ألقت هذه الدراسة في مؤتمر عقد في جامعة أمستردام تكريمًا لعطاء « هومز » (وبمناسبة ذكراه) في ديسمبر عام ١٩٩٠ ، ومن يطلع على بحوث ذلك المؤتمر سوف يدرك مدى ثراء المناهج اللغوية والأدبية والتاريخية التي يفسحها هذا المجال للباحثين .

الفصل الأول

لمحة تاريخية عن نظرية الترجمة

لا يجهل عربي ما شهدته الأمة العربية من أمجاد في مجال الترجمة في عصر المأمون ، ونظرية المقابلة بين اللفظ والمعنى لا في الترجمة فحسب بل في الكتابة العربية والنقد العربي - وتراثنا العربي زاخر بالشواهد على ذلك ، وعلى تضارب الآراء المعارضة والمؤيدة لهذا المذهب أو ذلك . وسوف نركز في هذا الفصل على تاريخ تلك المقابلة وتواتر التعارض بين المذهبين الشائعين من مذاهب الترجمة عبر العصور ، وهما مذهب الترجمة الحرفية والترجمة الحرة ، ويشار إلى الأول أحيانًا بمذهب ترجمة الألفاظ أو ترجمة كل كلمة بكلمة مماثلة أو مرادفة word-for-word ، وإلى الثاني بمذهب ترجمة المعاني أو ترجمة كل معنى بمعنى مماثل sense-for-sense ، وهذه المقابلة بين المذهبين أو المناظرة بينهما هي التي سادت نظرية الترجمة في الفترة التي يصفها نيومارك Newmark في كتاب « مداخل إلى الترجمة » *Approaches to Translation* الصادر عام ١٩٨١ بأنها الفترة السابقة على علم اللغة أو اللغويات (ص ٤) ، وهو محور ترى « سوزان باسنيت » Susan Bassnett في كتابها الأول (١٩٩١) أنه « ما فتئ يعاود الظهور ، مع تفاوت شدة التأكيد على هذا الجانب أو ذاك طبقًا لتفاوت مفاهيم اللغة والتوصيل » (ص ٤٢) . وسوف نعرض في

هذا الفصل للآراء ذات التأثير العريض لكبار المفكرين القدماء مثل شيشرون Cicero والقديس جيروم St. Jerome ، و دوليه Dolet ولوثر Luther ، ودرايدن Dryden وتيتلر Tytler وشلايرماخر Schleiermacher ، وأما الكتابات من خارج أوربا الغربية في الموضوع فيمكن الرجوع إليها إما في الكتب العربية الأخرى أو في « **موسوعة راتلدج للترجمة** » (١٩٩٧) المشار إليها ، أو في كتاب وضعه ديليل و وودزورث بعنوان « **المترجمون عبر التاريخ** » :

Delisle and Woodsworth, *Translators Through History*, 1995

كانت نظرية الترجمة حتى النصف الثاني من القرن العشرين محصورة - فيما يبدو - فيما يطلق عليه جورج شتاينر Steiner تعبير المناظرة العقيمة حول ثلاثية الترجمة « الحرفية » والترجمة « الحرة » والترجمة « الأمينة » . ويرجع التمييز بين ترجمة الألفاظ « الحرفية » وترجمة المعاني « الحرة » إلى شيشرون في القرن الأول قبل الميلاد ، وإلى القديس جيروم في القرن الرابع للميلاد ، وهو التمييز الذي يشكل أسس الكتابات الرئيسية في الترجمة على امتداد القرون القريبة من عصرنا الحالي .

وقد وضع شيشرون الخطوط العريضة لمنهجه في الترجمة في مقدمته لترجمة *De Optimo Genere Oratorum* أي ترجمته لخطب خطيبي أتيكا الذائعين أيسخينيس Aeschines وديموثينيس Demosthenes قائلاً :

« وأنا لم أترجم هذه الخطب باعتباري مترجمًا بل باعتباري خطيبًا ، فأبقيت على الأفكار والأشكال نفسها ، أو إذا صح هذا التعبير ، أبقيت على « صور » الفكر نفسها وإن كان ذلك في لغة تتفق مع استعمالنا اللغوي المعاصر ، وفي غضون ذلك لم أر من الضروري أن أترجم كل كلمة بكلمة مماثلة ، بل حافظت على الأسلوب العام وعلى قوة اللغة . »

(من كتاب روبنسون المذكور)

وكلمة « مترجم » الواردة في السطر الأول تشير إلى المترجم الحرفي ، وأما « الخطيب » فمعناها هو أنه يحاول في الترجمة كتابة خطبة مؤثرة في السامعين ، وكان تعبير « كلمة بكلمة » يعني في زمن الرومان ما يدل عليه حرفيًا أي إبدال كل كلمة من النص المصدر (الذي كان باليونانية دائمًا) بأقرب كلمة إليها باللاتينية وفي الموقع النحوي ذاته ، وذلك لأن الرومان كانوا يقرءون النصوص المترجمة جنبًا إلى جنب مع النصوص اليونانية الأصلية .

وكانت معارضة شيشرون للمنهج الحرفي ، ومن بعده معارضة هوراس Horace في كتابه **فن الشعر** *Ars Poetica* للمنهج نفسه (عام ٢٠ ق.م. تقريبًا) ، ذات تأثير بعيد المدى في القرون التالية ، إذ احتج بها القديس جيروم في ترجمته للكتاب المقدس (السبعيني) من اليونانية إلى اللاتينية قائلاً إنه لا يترجم كلمة بكلمة ولكن معنى بمعنى . ويبدو أن المبدأ نفسه قد ساد العصور التالية في الصين مثلاً وفي عصر النهضة العربية في الترجمة ، إذ تورد **موسوعة راتلدج لدراسات الترجمة** المشار إليها نماذج من آراء الصينيين الذين ترجموا النصوص البوذية من اللغة السنسكريتية Sanskrit ، وهي تؤيد هيمنة ذلك المنهج على أذهان المترجمين - أي الثنائية الذائعة للترجمة الحرفية والترجمة الحرة . ونحن نعرف أن هذه الثنائية شاعت في التفكير العربي ، عمليًا ونظريًا ، في مجال الترجمة منذ عصر المأمون وأكاد أقول حتى العصر الحاضر ، والكل يعرف المقابلة بين المنهج الحرفي الذي اتسمت به ترجمات يوحنا بن البطريق وابن نعيمة الحمصي وبين المنهج الحر الذي اتسمت به ترجمات حنين بن إسحاق ومدرسته الذائعة ، وفي النصوص التي حققها العلامان عبد الرحمن بدوي وشكري عياد أدلة كافية على سيطرة تلك الثنائية ، حتى مع توسل العرب آنذاك باللغة السريانية في ترجمة النصوص اليونانية . وربما كانت ذروة المنهج الحر هي ترجمة عبد الله بن المقفع لكتاب « **كليلة ودمنة** » عن الفارسية القديمة ، إذ أخرج لنا نصًا عربيًا بديعًا يصعب على القارئ أن يستشف فيه

ملامح النص المصدر ، والملاحظ في ذلك كله هو أن العرب القدماء قد أبلوا بلاءً حسنًا فسبقوا المحدثين في استيعاب المصطلح الفلسفي والعلمى ووضعوا نظمًا فكرية أثرت في كتابات عباقرة تراثنا مثل الجاحظ ومثل فلاسفة الإسلام الذين استفادوا من المصطلحات العربية المنحوتة أو المعربة عن اليونانية ، ولا أدل على ذلك من **رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء** .

أما في التراث الغربي فقد ارتبطت قضايا الترجمة الحرفية والحرة على امتداد ألف سنة تقريبًا - منذ القديس جيروم - بترجمة الكتاب المقدس وغيره من النصوص الدينية والفلسفية . وكانت الكنيسة الكاثوليكية مشغولة بمراعاة الحفاظ على نقل المعنى « الصحيح » للكتاب المقدس ، وكانت ترى أن أي انحراف عن التفسير المعتمد لمعنى الآيات يعتبر مروقًا عن الدين أو تجديفًا فيه ، فكانت تتدخل بمنع نشر أي ترجمة « حرة » أو حظر تداولها . ولم تقتصر رقابتها على ترجمة النصوص الدينية بل امتدت إلى كل ما يترجم من الآداب القديمة ، فعاقبت « المتحرر » أشد عقاب ، وأشهر نموذج يذكره التاريخ هو ما أصاب العلامة الفرنسي « إتيين دوليه » Étienne Dolet والذي اشتهر بمذهبه الإنساني (الهومانيزم) إذ أدانته كلية اللاهوت بجامعة السوربون في عام ١٥٤٦ بتهمة الكفر وحكمت عليه بالإعدام حرقًا مثل المرتدين ، وأما أساس التهمة فهو أنه ترجم عبارة في أحد حوارات أفلاطون تتكون من سؤال بليغ (أي سؤال إنكاري rhetorical question) هو : « و ماذا يوجد بعد الموت ؟ » إذ أضاف إلى السؤال - من باب الإيضاح - تعبير *rien du tout* (أي لا شيء إطلاقًا) ، وقد انتهت الكلية من ذلك إلى أن « دوليه » لا يؤمن بالخلود ، ونتيجة لهذا « الخطأ » في الترجمة أُعدم المترجم .

والمثال الثاني على أهمية « الثنائية » لترجمة الكتاب المقدس هو مثال « مارتن لوثر » الذي أصدر ترجمة بالألمانية الدارجة للكتاب المقدس واضعًا نصب عينه إيصال المعنى إلى الناس ، وقد اشتد اللجاج بينه وبين الكنيسة - كما هو

معروف - وكانت من ثماره حركة الإصلاح الديني الشهيرة ، بل وميلاد اللغة الألمانية الحديثة ، في رأي جمهور علماء اللغة . ويكفي أن ننظر إلى ما يقوله في الخطاب الذي كتبه عام ١٥٣٠ بعنوان « خطاب دوري عن الترجمة » ويقول فيه :

« يجب أن تسأل الأم في المنزل ، والأطفال في الشارع ، والرجل العادي في السوق ، وأن تنظر إلى أفواههم وتعرف كيف يتكلمون ، ثم تترجم بهذا الأسلوب ، وعندها سوف يفهمون ويعرفون أنك تخاطبهم بالألمانية »

(من كتاب روبنسون المذكور)

ولكن تاريخ الترجمة - كما تقول فلورا آموس Flora Amos في كتابها « النظريات الأولى للترجمة » الذي صدرت طبعته الأولى عام ١٩٢٠ والثانية عام ١٩٧٣ - لا يتكون من مراحل منفصلة يسهل تمييزها عن بعضها البعض ، فنحن نستمد « النظرية » من المقدمات والتعليقات التي يكتبها المترجمون ، وكان معظمهم يجهل ما سبق أن كُتب في الموضوع ، وهي تبين مثلاً أن المترجمين الأوائل كانوا كثيرًا ما يختلفون اختلافات شائعة فيما يعنونه بمصطلحات مثل « الأمانة » faithfulness و « الدقة » accuracy بل وكلمة الترجمة نفسها. وقد وضع لويس كيلي Louis Kelly كتابًا عام ١٩٧٩ بعنوان « المترجم الصادق » *The True Interpreter* (انظر المراجع) يناقش فيه بالتفصيل تاريخ نظرية الترجمة ، راصدًا - منذ كتابات الأقدمين - تاريخ المصطلحات التي يصفها بالتداخل والتمازج والاختلاط ؛ ألا وهي مصطلحات « الأمانة » fidelity و « الروح » spirit و « الصدق » truth . أما « الأمانة » فكانت تعني قديمًا الالتزام الحرفي بالنص المصدر ومن ثم رفضها هوراس ، وظل المفهوم مرتبطًا بالحرفية حتى نهاية القرن السابع عشر إذ تغير وأصبحت « الأمانة » تعني الالتزام بالمعنى لا بالألفاظ ، وأما « الروح » فيقول كيلي إن الكلمة كانت مزدوجة المعنى كذلك ،

فالكلمة اللاتينية spiritus تفيد الطاقة الخلاقة أو « الإلهام » (الخاص بالأدب الإبداعي) ولكن القديس أوغسطين كان يقصد بها « الروح القدس » وكان القديس جيروم - معاصره - يستعملها في المعنيين جميعًا ، وكان القديس أوغسطين يرى أن « الروح » و « الصدق » veritas كلمتان متداخلتان ، فالصدق هو الحق أو الحقيقة ، والصادق هو الذي يقول الحق ، ولا حق ولا حقيقة دون « الروح » ، وإذن فإن الحق (أو الحقيقة الصادقة) هو مضمون content الكتاب المقدس ، (أو هو مضمون أي نص ، بمعنى أنه إذا صدق المترجم في إدراك المعنى يكون قد عثر على المضمون لأي نص) ولكن القديس جيروم كان يقصد بالمصطلح النص العبري « الصادق » للكتاب المقدس ، وهو الذي اعتمد عليه في ترجمته الشعبية Vulgate لذلك الكتاب . وينتهي كيلي إلى القول بأن الموازاة بين « الصدق » و « المضمون » لم تتحقق إلا في القرن الثاني عشر . والواضح من مناقشة كيلي لتطور هذه المفاهيم أن نظرية الترجمة ظلت حبيسة الفكر الديني ، ولم تتحرر منه إلا في عصر العلم ، أي في القرن السابع عشر .

وتقول « آموس » في الكتاب المشار إليه إن إنجلترا خطت في القرن السابع عشر خطوات ثابتة نحو وضع نظرية متكاملة للترجمة ، قائمة على المنطق والخبرة معًا ، وشارك فيها شعراء مثل دِنام Denham وكاولي Cowley ودرايدن Dryden ، وكانت الترجمة آنذاك تكاد تكون مقصورة على ترجمة الأعمال الكلاسيكية إلى الإنجليزية ، وكان بعضها ترجمات «حرة » إلى أقصى حد . وتورد « آموس » في كتابها نماذج من كتابات هؤلاء ، وقد اخترنا التوقف عند التمييز الذي وضعه الشاعر والمترجم جون درايدن بسبب تأثيره الكبير في مسار التفكير النظري في الترجمة - ربما حتى عصرنا الحالي . (وأنا مدين للدكتور مجدي وهبه رحمه الله بلفت نظري إليه أولاً) إذ كتب في مقدمة ترجمته لرسائل أوفيد في عام ١٦٨٠ يقول إن الترجمة تنقسم إلى فئات ثلاث

هي :

١- النقل الحرفي metaphrase ومعنى ذلك ترجمة « كلمة بكلمة وسطر بسطر » وهي توازي ما يسمى بالترجمة الحرفية .

٢- « النقل بتصرف » paraphrase ومعناها « الترجمة بتصرف with latitude حيث لا يحوِّل المترجم نظره عن المؤلف ، حتى لا تضل خطاه ، ولكنه لا يتبع ألفاظه بالصرامة التي يتبع بها معناه » ، وهذا يقتضي تغيير عبارات كاملة ، وهو منهج موازٍ تقريبًا لما أصبح يسمى بالترجمة الأمينة أو ترجمة المعنى لا اللفظ .

٣- المحاكاة imitation ومعناها عدم التقيد باللفظ ولا بالمعنى ، وهو ما يمكن إطلاقه على ترجمات « كاولي » المتسمة بحرية بالغة ، ويقترب مما نسميه « الاقتباس » أو « الاستلهام » أو « إعادة الصياغة » adaptation (والمصطلح يعني « التطويع » أيضًا) .

وينتقد درايدن المترجمين الذين يمارسون النقل الحرفي - مثل بن جونسون Ben Jonson - لأن الناقل الحرفي في رأيه « ناقل ألفاظ » verbal copier ، وهو يرفض هذه الترجمة « الحرفية الذليلة » بتعبير يتضمن تشبيهًا ذاع صيته وهو « إن ذلك يشبه كثيرًا من يرقص على الحبل مقيد القدمين - عمل أحمق ! » ويرفض درايدن المحاكاة أيضًا قائلاً إن المترجم الذي يختار هذا المنهج يعتبر النص المصدر « نسقًا يكتب على غراره ، إذ يفترض أن المؤلف الأصلي كان سوف يكتب النص المترجم لو قدر له أن يعيش في عصرنا وفي بلادنا » . والمحاكاة في نظر درايدن تتيح للمترجم إظهار نفسه ، ولكن ذلك « يسيء إساءة كبرى . . . لذكرى الأموات وسمعتهم » . وهكذا فإن درايدن يفضل النقل بتصرف وينصح المترجم بتحاشي النقل الحرفي والمحاكاة .

وعلى عمق الأثر الذي خلفه هذا التقسيم الثلاثي في الكتابات اللاحقة

عن الترجمة ، فإن درايدن قد يغير من موقفه واختياراته أحيانًا ، فنراه في ترجمته للإنيادة - ملحمة ڤيرجيل الشهيرة - يختار موقعًا وسطًا بين النقل بتصرف والنقل الحرفي قائلاً :

« رأيت من المناسب أن أسلك طريقًا وسطًا بين الطرفين - النقل بتصرف والنقل الحرفي ، وأن أظل قريبًا من المؤلف قدر ما أستطيع ، دون أن أفقد كل محاسنه ، فإن أبرزها يكمن في جمال ألفاظه . »

كما أن وصف منهجه في الترجمة يشبه تعريفه للمحاكاة (الوارد آنفًا) ؛ إذ يقول :

« ربما كان لي أن أقول . . . إنني جهدت حتى أجعل ڤيرجيل يتحدث الإنجليزية بالأسلوب الذي كان يمكن أن يتحدث به لو كان قد ولد في إنجلترا ، وعاش في هذا العصر »

(جميع مقتطفات درايدن من كتاب روبنسون)

والواضح أن « درايدن » ينحو منحى المعلِّم الذي يضع القواعد اللازمة لجودة الترجمة ، وقد حذا حذوه آخرون ، وكان من أهمهم « إتيين دوليه » (الذي أعدم) إذ ترك مخطوطًا عام ١٥٤٠ (نشره روبنسون عام ١٩٩٧ في الكتاب المذكور) عنوانه « طريقة الترجمة الجيدة من لغة لأخرى » يتضمن خمسة مبادئ مرتبة وفقًا للأولوية كما يلي :

١- يجب على المترجم أن يحيط إحاطة تامة بمعنى ومادة نص المؤلف الأصلي ، وإن كان له أن يتمتع بالحرية في إيضاح مواطن الغموض .

٢- على المترجم أن يجيد اللغتين - المترجم منها والمترجم إليها - حتى لا ينتقص من جلال اللغة .

٣- على المترجم أن يتجنب ترجمة الألفاظ « كلمة بكلمة » .

٤- على المترجم أن يتحاشى الصور اللاتينية للألفاظ والأبنية الصرفية الغريبة .

٥- على المترجم أن يجمع بين الألفاظ ويصل بينها وصلاً بليغًا حتى يتجنب الركاكة الأسلوبية .

ويفسر النقاد اهتمام « دوليه » بالبلاغة أو الفصاحة بأنه كان حريصًا على تحقيق الاستقلال والجمال للغة الفرنسية التي كانت تسعى نحو الانسلاخ تمامًا عن اللغات الكلاسيكية .

ويقول منداي (٢٠٠١ - ص ٢٦) إن أول دراسة إنجليزية منهجية للترجمة بعد درايدن قد تكون دراسة ألكسندر فريزر تيتلر Tytler ، التي صدرت عام ١٧٩٧ بعنوان « مقال عن مبادئ الترجمة » ، وهو يتخذ موقفًا مختلفًا عن موقف درايدن من حيث توجُّه الأخير إلى المؤلف أو نظرته من وجهة نظر المؤلف والمترجم معًا ، وتوجُّهُ تيتلر إلى القارئ ، ونظرتهُ إلى النص من وجهة نظر قارئ الترجمة ، فهو يعرّف الترجمة الجيدة بأنها الترجمة « التي تتجلى فيها محاسن العمل الأصلي وتنتقل انتقالاً كاملاً إلى لغة أخرى حتى يفهمها القارئ بوضوح ، ويشعر بها شعورًا قويًا ، وأقصد بالقارئ أبناء البلد الذي يتكلم لغة النص المترجم ، وبحيث يكون وضوح الفهم وقوة الشعور موازيين لما يدركه ويحسه أبناء البلد الذي يتكلم لغة النص الأصلي » .

ويضع تيتلر ثلاثة مبادئ يسميها « قوانين » أو قواعد للترجمة الجيدة وهي :

١ - على الترجمة أن تنقل نقلاً تامًا جميع الأفكار في النص الأصلي .

٢- يجب أن يتفق أسلوب الكتابة وطرائقها مع أسلوب النص الأصلي وطرائقه .

٣- يجب أن تتحلى الترجمة باليسر الذي يتحلى به النص الأصلي .

ويبدو أنّ تيتلر يجمع بين منهج ترجمة المعنى في (١) ومنهج الترجمة الحرفية في (٢) أو قل إنهما منهج الأمانة في نقل « المضمون » ونقل « الشكل » ، ولكنه - مثل « دوليه » - يضع القواعد وفق أولويات لها دلالتها ، إذ قد « يفقد » النص شيئًا من « المضمون » في سبيل « الشكل » أو يفقد بعض « الأمانة » الأسلوبية في سبيل « المعنى » ، والفقد من باب الخسارة ، وتقابله « إضافة » ما إلى الطرف الآخر من المعادلة .

ويوضح منداي أنه إذا كان القرن السابع عشر قد غلب عليه مبدأ « المحاكاة » ، والقرن الثامن عشر قد شُغل بواجب المترجم في إعادة خلق « روح » النص المصدر من أجل القارى المعاصر ، فإن الحركة الرومانسية في أوائل القرن التاسع عشر وجهت جهودها لمناقشة قضية « قابلية الترجمة » translatability و « عدم قابلية الترجمة » untranslatability إذ كتب فريدريش شلايرماخر - عالم اللاهوت والمترجم - في عام ١٨١٣ دراسة عن الترجمة بعنوان « عن المناهج المختلفة للترجمة » امتد تأثيرها واتسع نطاقه ، والمعروف أن شلايرماخر هو الذي وضع أسس اللاهوت البروتستانتي الحديث ، وأسس علم التفسير الحديث (التفسيرية hermeneutics - انظر كتابنا **المصطلحات الأدبية الحديثة**) وهو مذهب رومانسي أو مدخل رومانسي للتفسير لا يعتمد على افتراض وجود حقيقة مطلقة للمعنى ، ومن ثم لا يفترض إمكان الصدق المطلق في النقل ، بل يعتمد على الإحساس الداخلي للفرد وفهمه الخاص للنص ، ومن ثم فإن شلايرماخر يختلف عن أصحاب النظريات الذين ناقشناهم حتى الآن ، وهو يبدأ دراسته المذكورة بالتمييز بين المفسر Dolmetscher أي مترجم النصوص العامة ، ويقول المحدثون إنه يوازي « المترجم التجاري » في عصرنا ، والمثال على عمله ما تسميه كريستيان نورد Christiane Nord بالترجمة الوثائقية - وأهم أمثلتها ترجمة النصوص السياسية والاقتصادية إلخ على نحو ما هو شائع في ترجمة الأخبار الصحفية و وسائل الإعلام والأمم المتحدة - (انظر

كتابنا مرشد المترجم ٢٠٠٠) ، وأقرب ترجمة عربية للكلمة الألمانية *Dolmetscher* في رأيي هي « المترجم النمطي » ، وشلايرماخر يفرق بينه - كما أقول - وبين المترجم الحق *Übersetzer* الذي يعمل بترجمة النصوص الأدبية ونصوص الباحثين الأكاديميين وخصوصًا في العلوم الإنسانية . ويضع شلايرماخر هذا النوع الأخير على مستوى خلاق رفيع ، قائلاً إنه ينفخ روحًا جديدة في اللغة . ويقول شلايرماخر : قد يبدو من المحال ترجمة النصوص الفنية والعلمية (بالمعنى المبين آنفًا) ؛ لأن معنى النص المصدر كامن في لغة ترتبط بالثقافة ارتباطًا وثيقًا ومن المحال على لغة الترجمة أن تعادلها معادلة كاملة ، ولكن على المترجم الحق أن يحاول التقريب بين كاتب النص المصدر وقارئ النص المستهدف . وهكذا فإن شلايرماخر يتجاوز قضايا ترجمة الألفاظ وترجمة المعاني ، والترجمة الحرفية والترجمة الأمينة والترجمة الحرة ، ويرى أن ثمة طريقين لا ثالث لهما أمام المترجم الحق (الصادق) true translator وهما :

> « إما أن يبتعد المترجم عن كاتب النص قدر طاقته حتى يقرِّب قارئ الترجمة من هذا الكاتب ، أو أن يبتعد عن القارئ قدر الطاقة حتى يقرِّب الكاتب من قارئ الترجمة »

(من كتاب روبنسون ص ٢٣٠)

ويفضل شلايرماخر الطريق الأول أي تقريب القارئ من الكاتب ، ومعنى هذا أنه لن يكتب النص المترجم ليخرج ما كان الكاتب يمكن أن يكتبه لو أنه كتب بالألمانية (على نحو ما قال درايدن) ، بل إنه سيحاول « أن يعطي القارئ نفس الانطباع الذي كان يمكن أن يخرج به لو أنه قرأ النص باللغة الأصلية » . ويقتضي ذلك من المترجم أسلوب « التغريب » alienating في الترجمة بدلاً من أسلوب الألفة أو « التجنيس » naturalizing بمعنى إضفاء جنسية اللغة

المستخدمة وطبيعتها على النص المترجم ، وبذلك يوجه خطاه نحو لغة النص المصدر ومضمونه . وعلى المترجم إذن أن يعلي من قيمة الطابع الأجنبي وينقله إلى اللغة المستهدفة . والواضح أن لهذا المذهب عدة عواقب منها :

١ - إذا سعى المترجم إلى نقل نفس الانطباع الذي تلقاه من النص المصدر ، فإن هذا الانطباع سوف يتوقف أيضًا على مستوى التعليم والفهم بين قراء اللغة المستهدفة ، ومن المحتمل أن يختلف ذلك عن فهم المترجم للنص الأصلي .

٢ - قد يلزم ابتداع لغة خاصة للترجمة ، قد تتضمن الاستعاضة بكلمة مبتكرة (في موقع ما من مواقع النص) عن تعبير بالٍ مستهلك لا يمكنه أن ينقل انطباع النص الأجنبي .

ويقول بعض الباحثين إن تأثير شلايرماخر فاق كل الحدود ، إذ تورد « **موسوعة دراسات الترجمة** » المشار إليها قولاً ورد في دراسة بعنوان « التقاليد الألمانية » كتبها كيتل Kittel وبولترمان Polterman مفاده أن كل دراسة جديدة - على الأقل في اللغة الألمانية - تدين إلى شلايرماخر بطريقة ما ، وينتهيان إلى القول بأنه « لا توجد مداخل تتسم بأية جدة في صلبها » (أي بعد شلايرماخر) (ص ٤٢٤ من الموسوعة - ١٩٩٧) . وأما التمييز الذي وضعه شلايرماخر بين أنماط النصوص text types فهو يَبْرُزُ بصورة واضحة في نظرية « كاترينا رايس » ، وأما القطبان المتقابلان والمتعارضان - أي « التغريب » و « التجنيس » - فهما القطبان اللذان يناقشهما ڤينوتي ويطلق عليهما تعبير « إضفاء الطابع الأجنبي » و « إضفاء الطابع المحلي » foreignization و domestication على الترتيب) ، بل إن فكرة شلايرماخر عن « اللغة الخاصة بالترجمة » قد اعتمدها وطورها ڤالتر بنيامين Walter Benjamin وأما وصف شلايرماخر لنظريته التفسيرية في الترجمة فهي تبرز جلية في « نظرية » جورج شتاينر عن « الحركة التفسيرية » hermeneutic motion (وسنعود إليها في الفصل الأخير) .

وأما في الوطن العربي فلم تبدأ « نظرية الترجمة » بالمعنى الحديث حتى بدأ اتصال الغرب ببلدان الشرق في القرن التاسع عشر ، وبدأ خروج البلدان العربية من عهد الانفصال عن العالم الخارجي الذي ساد واستمر قرونًا تحت حكم المماليك والأتراك من بعدهم ، خصوصًا بعد تفتت الدولة العربية القديمة . ويرصد المؤرخون بداية ذلك اعتبارًا من الحملة الفرنسية في آخر القرن الثامن عشر ، وما تلاها من انفتاح على العلوم الحديثة واللغات الأوربية ، وخصوصًا اللغة الفرنسية ، في عهد محمد علي باشا الكبير ، والبعثات الدراسية المعروفة وإنشاء مدرسة الألسن ، وجهود رفاعة الطهطاوي في هذا السبيل ، ثم جهود أحمد فارس الشدياق في ترجمة المصطلحات العلمية والفنية أو تعريبها ، إلى آخر ما رصده الدكتور جمال الشيال وغيره من المؤرخين (مثل جاك تاجر) وما سجله الدكتور ضاحي عبد الباقي ، وغيره ، من جهود تقريب المعارف الأوربية الحديثة إلى أبناء العربية ، مما استدعى استحداث لغة معاصرة (اللغة العربية المعاصرة MSA التي سبقت الإشارة إليها) ودور الصحافة المعروف في إشاعة هذه اللغة .

واستقراؤنا لهذا التاريخ يفضي بنا إلى أن الاهتمام في الوطن العربي بالنظرية لم يكن كبيرًا ، وأن جل الجهد كان موجهًا إلى نحت لغة علمية حديثة تحيي بعض مصطلح القدماء ، كما فعل علي مبارك في كتبه عن الهندسة والرياضيات ، وإلى إشاعة اللغة العربية العلمية الحديثة في مراحل التعليم الأولى ، باعتبارها لغة موازية للغة التراثية التي كانت تسود الدراسات التقليدية في الأزهر مثلاً وبعض المعاهد العليا مثل مدرسة القضاء العالي ، وبحيث يمكن أن تكون اللغة العلمية الحديثة وسيلة لاكتساب المعارف الجديدة ، إلى جانب اللغات الأوربية نفسها لمن يريد التخصص والاستزادة من هذه المعارف ، وسوف أتوقف قليلاً عند تعبير التوازي الذي أشرت إليه ، فهو سبيلنا إلى استخلاص النظرية التي قامت عليها حركة الترجمة العربية في

القرن التاسع عشر ومطلع العشرين .

الواقع - كما يبين السعيد بدوي في كتابه عن **مستويات اللغة العربية في مصر** (١٩٧٣) - أن اللغة المعاصرة التي نشأت في أحضان الترجمة لم تحل محل اللغة التراثية ، بل سارت بحذائها تنهل منها مثلما تنهل من « العامية المحلية » the vernacular فأصبحت موازية لها ، وقد أدت هذه الموازاة إلى الخلط بينهما أو تصور تساويهما أو تعادلهما في كل شيء ، فأصبح الحكم على الترجمة يرفع من قدرها إن اقتربت من اللغة التراثية ويحط من قدرها إن هي ابتعدت عنها ، مهما يكن اقترابها من النص الأصلي ، فتبلورت نظرية لم يفصح عنها الكثيرون وإن كان من الممكن استنباطها من كتابات الأدباء في أواخر القرن التاسع عشر ومطلع العشرين ، وهي نظرية قريبة من نظرية درايدن في إعلاء **شأن النص المترجم بتقريبه من اللغة التراثية قدر الطاقة وإكسابه مزايا الأدب الأصيل المكتوب بلغة القارئ** ، بغض النظر عن علاقتها بلغة النص المصدر ، فالهدف هو إرضاء القارئ العربي والابتعاد عن العامية كلما أمكن ذلك ، على عكس ما فعل مارتن لوثر وإتيين دوليه .

ولكن تلك الجهود أثمرت تيارين ما لبثا أن انفصلا ؛ إذ إن الترجمة الصحفية دأبت على نحت لغة معاصرة جديدة للترجمة بل وللتعبير ، أملتها الظروف المتغيرة في الفترة العاصفة التي أشرت إليها - ولنقل منذ وفاة الطهطاوي والشدياق في أواخر القرن التاسع عشر حتى وفاة أحمد شوقي وحافظ إبراهيم في مطلع الثلاثينيات من القرن العشرين - ودراسة الترجمات الصحفية في تلك الفترة تؤكد أن هذا التيار قد قوي ساعده واشتد ، بسبب حاجة المترجمين إلى نقل الأنباء من مصادرها الأجنبية والتعليق عليها بسرعة ، فقارئ الصحيفة لن ينتظر تنميق الأسلوب ولا « الارتفاع » إلى مستوى لغة التراث ، كما أن مترجمي الصحف لم يكونوا يجدون في لغة التراث مرادفات في الألفاظ ولا في المعاني لما يجري حولهم من أحداث الحياة في العالم بل

وفي الوطن العربي ، هذا إذا كانوا ملمين كل الإلمام باللغة التراثية أصلاً . وهكذا ، وتدريجيًا ، انفصلت اللغة المعاصرة المعتمدة على الترجمة ، عن اللغة التراثية التي كانت لا تزال مستعملة في ترجمات الأدب (على قلتها آنذاك) ، وخير نماذج لها هي ترجمة حافظ إبراهيم للرواية الفرنسية الشهيرة البؤساء (فكتور هوجو) على عدم إتقانه للفرنسية (وقيل إن شخصًا آخر ترجمها له ترجمة حرفية) ، ثم ترجمة مصطفى لطفي المنفلوطي لبعض الروايات عن الفرنسية بهذا الأسلوب نفسه .

من الممكن أن نقول إن النظرية الحديثة في الترجمة العربية - حتى فترة ما بين الحربين - كانت تتأرجح بين القطبين السالفين ، وهما الترجمة الحرفية مع التصرف الذي لا يخرجها عن مذاق الفصحى في الصحف ، والترجمة الحرة التي قد تقترب من المحاكاة التي أدانها درايدن (وإن كان قد مال إليها معاصروه وعاد إلى إجلالها هو نفسه) في الأدب . وقد برز انفصال القطبين بوضوح في الثلاثينيات فشهدنا ترجمة الشعر الرومانسي الإنجليزي ، وخصوصًا شلي (انظر شلي في الأدب العربي - دكتورة جيهان صفوت رؤوف - دار المعارف - ١٩٨٢) ترجمة منظومة تحاول الارتقاء إلى تقاليد الشعر العربي الكلاسيكية ، وشهدنا ترجمات شيكسبير بقلم الشاعر العظيم خليل مطران بالنثر العربي التراثي ، إلى جانب محاولة الاقتراب من النص الأصلي في لغة تقترب كثيرًا من الفصحى المعاصرة مثل ترجمة علي أحمد باكثير لمسرحية روميو وچولييت لشيكسبير .

ومما ساعد على الانفصال نشأة المسرح العربي الذي كان في منشئه مترجمًا لعدم ازدهار فن المسرح لدى العرب القدماء ، وهو فن يعتمد على الحوار ، والحوار يقتضي اللغة المنطوقة - وأقرب صورها هو اللغة العامية (بطبيعة الحال) ، ولكن ترجمات المسرح آنذاك كانت جميعها باللغة الفصحى المعاصرة التي كانت تطمح بدايةً إلى محاكاة اللغة التراثية ، ولو أنها اضطرت إلى

محاكاة العامية بسبب طبيعة الحوار نفسه ، وكان أهل الشام ومصر من العاملين في هذا المجال يترجمون عن اللغة الفرنسية أساسًا ، فإذا أتى التعبير المترجم عاميّا « ترجموه » إلى الفصحى ، مثلما يفعل نجيب محفوظ حين يترجم الحوار العامي في رواياته إلى الفصحى ، فبدأت أبنية الفكر الأجنبي واللغات الأجنبية تغزو اللغة المستعملة عن طريق هذه الترجمة المزدوجة ، بحيث زاد ابتعاد الفصحى المعاصرة عن اللغة التراثية ، ونشأت لغة قد نسميها « لغة الترجمة » translationese في الحوار المسرحي بصفة خاصة ، وانتهى الأمر بالابتعاد في الحوار المسرحي عن اللغة التراثية ابتعادًا تامًّا . وعندما نشأت السينما في مصر في فترة ما بين الحربين ، كان ذلك إيذانًا بمولد المسرح المكتوب بالعامية وإن لم يترجم إلى العامية من أدب المسرح إلا أقل القليل ، وظل الحديث عن الترجمة يدور بين القطبين السالفين - « الترجمة الحرفية » و « الترجمة الحرة » (أو « الترجمة بتصرف ») .

وسوف نعود إلى حال الترجمة إلى العربية عند الحديث عن التطورات التي جدت على الوطن العربي في السنوات التالية ، وفي سياق الحديث عن النظريات الأخرى للترجمة ، ومن أهمها الترجمة « بعد الاستعمار » ، وتأثير مدارس علم اللغة الحديث ، واعتبار اللغة العربية لغة « عالمية » أو معترفًا بها دوليّا منذ دخولها الأمم المتحدة لغةً سادسةً في مطلع السبعينيات ، ولكننا سوف نمهد لذلك بالحديث عن النظرية التي سادت في إنجلترا في الفترة التي تحدثنا عنها - وهي آخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين - إذ وجد فيها بعض أساتذة الترجمة في الوطن العربي سندًا للحوار الدائر بين القطبين السالف ذكرهما - وهما الترجمة « الحرفية » و « الترجمة الحرة » - وأما تلك النظرية فقد اتخذت شكل حوار بين فرانسيس نيومان Francis Newman وماثيو أرنولد Matthew Arnold عن أفضل السبل لترجمة الأدب اليوناني القديم ، ولم تكن في الواقع تدور حول « الترجمة الحرفية » و « الترجمة الحرة »

بالمعنى القديم ، بل بين ما يسميه ڤينوتي « اختفاء المترجم » invisibility (في كتابه الذي يحمل هذا العنوان نفسه - ١٩٩٥) من خلال إضفاء الطابع المعاصر على النص المترجم (أو الطابع المحلي = « التجنيس » naturalization) وبين ما يسميه التغريب بمعنى إقامة مسافة ما تفصل بين القارئ وبين النص المترجم (المستهدف) ، فلم يكن أرنولد يدعو إلى الترجمة « الحرة » بالمعنى القديم ، بل إلى ترجمة شفافة - دعا إليها صراحة في محاضرته « عن ترجمة هوميروس » - تقيم صلة مباشرة ودون عوائق بين القارئ وكاتب النص الأصلي باستخدام لغة معاصرة ، وكان نيومان يدعو إلى « التغريب » الذي كان يتخذ - في حالة هوميروس - استخدام لغة قديمة تشعر القارئ بأنه لا يقرأ نصًّا معاصرًا ، وقد فعل ذلك في ترجمته لذلك الشاعر اليوناني القديم ، وكان يزعم كثرة عدد قرائه وإقبالهم وتقديرهم لعمله . وكان انتصار أرنولد يمثل في ظاهره انتصارًا لمذهب « الترجمة الحرة » ، فهو يمثل في نظره السبيل إلى تحقيق الهدف الأول للترجمة وهو توصيل المعنى دون حواجز أو عوائق زمنية (متمثلة في قدم الأسلوب أو اللغة) ، ولكنه كان يمثل - كما قلت - انتصارًا لما يسميه ڤينوتي بمبدأ « اختفاء » المترجم .

ولم يؤثر هذا « الحوار » في مسار الترجمة العربية في الفترة المذكورة ، لأن من رأوا فيه انتصارًا « للترجمة الحرة » رأوا فيه أيضًا نصرًا للغة المعاصرة التي كانت في نظر الكتاب والمترجمين في تلك الفترة - في عصر « الإحياء » الأدبي الذي بدأ بالبارودي وانتهي بشوقي وحافظ ومطران - هي نفسها اللغة الفصحى التراثية ، بل إنهم كانوا يحاولون إنقاذها من التأثر بالفصحى المعاصرة أو « الجديدة » التي أشاعتها أجهزة الإعلام وعلى رأسها الصحافة ، فكانت الترجمة « الحرة » في نظرهم تقتضي إخراج نصوص بالفصحى التراثية التي تبرأ من « حَرْفية » الفصحى المعاصرة (الصحفية) ، وهكذا تحول مذهب « الشفافية » الذي دعا إليه أرنولد إلى مذهب قريب من « التغريب » إذا أخذنا

القارئ في اعتبارنا ، فهي ترجمة موجهة للصفوة أو للنخبة العربية من المتعلمين الذين يستطيعون قراءة اللغة التراثية ويجدون في شعر مدرسة الإحياء ونثر الرافعي والمنفلوطي متعة أي متعة .

وكان الكتاب والمترجمون العرب على حق - في الواقع - في هذا التفسير ، على نحو ما نرى في امتداح العقاد لترجمات المازني المنظومة ، فقارئ ترجمات المازني هو نفسه قارئ قصائد شوقي وحافظ ومطران ، وقارئ أرنولد هو نفسه قارئ تنيسون وبراوننج ، ولم يكن أيهم يكتب اللغة الصحفية أو الدارجة ، أو يسمح لأي تعابير صحفية أو دارجة أن تجد طريقها إلى شعرهم ، بل إن أرنولد نفسه ينصح قراءه أن يضعوا ثقتهم في العلماء أو الباحثين scholars ، فهم وحدهم الذين يستطيعون مقارنة تأثير النص المصدر بالنص المترجم ، وهذا هو ما تنتقده سوزان باسنيت في كتابها دراسات الترجمة (١٩٩١) إذ تقول إنه منحاز إلى الصفوة أو النخبة élitist ، فهو يختص المثقفين بالحكم على تأثير النص في القارئ دون إشراك شتى فئات القراء في الحكم ، وفي هذا ما فيه من تعميم أو افتراضات « غير مثبتة » ، وتقول إنه أدى إلى « تخفيض قيمة » الترجمة لأنه يوحي بأن النص المستهدف لن يصل مطلقًا إلى مستوى النص المصدر (الأصلي) ، وأن الأفضل دائمًا للقارئ أن يطلع على النص بلغته الأصلية ، أي أنه أدى إلى تهميش الترجمة ، ثم تنتهي من ذلك إلى القول بأن الترجمة يتولاها الصفوة ويوجهونها إلى الصفوة (من المهتمين بالأدب الرفيع والفكر الرفيع) . ويقول منداي (٢٠٠١ - ص ٢٩) إن هذا الاتجاه مازال سائدًا في بريطانيا حتى يومنا هذا ، بدليل عدم السماح لدارسي الأدب الأجنبي بالاطلاع على ترجماته (في التعليم الثانوي والعالي) وعدم ترجمة الأدب « غير الرفيع » إلى الإنجليزية إلا فيما ندر ، وعدم تقديم الأفلام الأجنبية المصحوبة بالترجمة المطبوعة على الشريط في السينما أو في محطات التليفزيون البريطانية ، وذلك - كما هو واضح - لا ينطبق على العالم

العربي ، وإن كنا سوف نعود تفصيلاً إلى ذلك - كما قلت - عند الحديث عن النظريات الحديثة ، وهي التي أرهص بمولدها جورج شتاينر في كتابه الذائع بعد بابل (١٩٩٨) - وهاك كلمات تمهيدية في هذا السبيل .

كان شتاينر قد أصدر الطبعة الأولى من هذا الكتاب عام ١٩٧٥ ونحن نرجع إلى الطبعة الثالثة (١٩٩٨) التي دفع الناشر إلى إصدارها الازديادُ غير المسبوق في الاهتمام بدراسات الترجمة ، وسوف نعود إلى شتاينر عند الحديث عن نظريته الخاصة بما يسميه « الحركة التفسيرية » ، ولكننا نثبت هنا فقط دراساته لأربعة عشر كاتبًا يقول إنهم أعربوا عن كل ما هو مهم أو جديد في قضية الترجمة ، وهو ينتهي إلى القول بأن نطاق الأفكار النظرية عن الترجمة منذ شيشرون وحتى عزرا باوند Ezra Pound وڤالتر بنيامين Walter Benjamin نطاق « بالغ الضآلة » على امتداد الفترة كلها :

> « رأينا أن جانبًا كبيرًا من نظرية الترجمة - إذا كانت هناك نظرية يمكن تمييزها عن الوصفات المثالية - يدور برتابة حول محور واحد ، ألا وهو محور البديلين اللذين يفتقران إلى التعريف الدقيق - وهما « الحرفية » و « روح النص » ، أو « اللفظ » و « المعنى » . والمفترض أن هذا الانقسام له معنى يمكن تحليله ، وذلك هو الضعف المعرفي الأساسي و « خفة اليد »

(١٩٩٨ - ص ٢٩٠)

ويتفق مع شتاينر كثير من أصحاب النظريات الحديثة في أن المشكلة الرئيسية في الكتابة عن الترجمة في هذه الفترة تكمن في أن معايير الأحكام كانت غالبًا ذاتية وتتسم بالغموض ، (مثل سوزان باسنيت - ١٩٩١) كما يقول آخرون إن الأحكام نفسها كانت معيارية normative (مثل ڤيلس Wilss - ١٩٩٦) - وأما نظرية الترجمة في النصف الثاني من القرن العشرين فقد

بذلت محاولات جادة للتغلب على الغموض المذكور والتناقض البادي في معظم تلك الكتابات ، وكان ذلك أساسًا في مجال إعادة تعريف « الترجمة الحرفية » و « الترجمة الحرة » من حيث التطبيق أو الواقع العملي ، وفي مجال توصيف « المعنى » توصيفًا علميًا ، و وضع تقسيمات منهجية لظواهر الترجمة أي السمات أو الملامح التي نشهدها في الأعمال المترجمة ومصادرها .

وهكذا فإن نظرية الترجمة قبل القرن العشرين كانت في معظمها تدور حول قطبين هما إذا ما كان على المترجم أن يكون « حرفيًا » فيقدم الألفاظ (كلمة بكلمة) أو أن يمارس حريته الخاصة في « التصرف » حتى يخرج ترجمة « حرة » تقدم المعاني (معنى بمعنى) ، وهذه هي الثنائية التي سادت التفكير الغربي والعربي على حد سواء ، أما في الغرب فكان محور الخلاف الأول هو ترجمة الكتاب المقدس ، واستمر هذا الخلاف قائمًا نحوًا من ألف عام ، وأما في الوطن العربي فكان الخلاف على أشده في أيام ازدهار الترجمة في عصر المأمون ، وعاد إلى الظهور على استحياء في أواخر القرن التاسع عشر والنصف الأول تقريبًا من القرن العشرين مع حركة « الإحياء » الأدبي وما صاحبها من إعلاء لشأن اللغة التراثية ، وكان أوائل « المنظّرين » من المترجمين الذين يقدمون تبريرات للمنهج الذي ارتضوه في ترجمة عمل من الأعمال ، وكثيرًا ما كانوا يتجاهلون ما قاله من سبقهم أو يجهلونه ، وكان النموذج الثلاثي (الذي يضم النقل الحرفي والنقل بتصرف والمحاكاة) والذي وضعه درايدن في آخر القرن السابع عشر يمثل أول محاولة للدراسة المنهجية للترجمة ، كما كان تأكيد شلايرماخر على الطابع الأجنبي للنص المترجم ذا تأثير كبير على دارسي الترجمة حتى عصرنا الحالي .

الفصل الثاني

نظريات المعنى في الترجمة

حين يتحدث المترجم أو دارس الترجمة عن ترجمة المعنى لا اللفظ فإنما يضع في ذهنه تصورات مستقاة من تراثه ومن مجتمعه ، عن توازي الدلالة بين لفظتين من لغتين مختلفتين أو بين مجموعتين من الألفاظ في هذه اللغة وتلك ، وقد يصل به التفكير في توازى الدلالة إلى تصور وجود تعادل محتوم inevitable equivalence بين الألفاظ المفردة أو مجموعات الألفاظ ، ونادرًا ما يكون المترجم (بل ودارس الترجمة) ممن تبحروا في علم الدلالة semantics ، ولكنه يستقي ذلك المفهوم عن تعادل المعنى (أو توازي الدلالة) مما درج عليه في تعلمه للغة الأجنبية ، ومما أرشده إليه من سبقوه من المترجمين أو دارسي الترجمة ، فيتصور أنه بإمكانه إخراج ترجمة تتضمن معادلات محكمة للمعنى بين النص الأصلي (المصدر) والنص المترجم (المستهدف) ، بل وقد وجدت بين المترجمين العرب من يتصور إمكان إخراج ترجمة مثالية يتعادل فيها النص المستهدف في تأثيره أو في معانيه الدقيقة مع النص المصدر . ولقد شغل هذا الموضوع كثيرًا من الباحثين في الغرب في الخمسينيات والستينيات من القرن العشرين ، وكان من بين القضايا اللغوية الأساسية التي تناولها أشهر علماء الترجمة في كتبهم آنذاك .

ولنبدأ - تقريبًا لهذا المفهوم من ذهن القارئ العربي - بإيضاح اقترابه من

المفهوم العربي للترادف synonymity ، والقارئ العربي يعرف مذهب بعض القدماء في إنكار الترادف التام ، وهو مذهب راسخ ، ولكن حديث القدماء والمحدثين عن الترادف في لغة ما ، سواء كانت العربية أو لغة أخرى ، يقتصر على وجود كلمتين أو أكثر من اللغة نفسها بالمعنى نفسه ، وأما التعادل فيكاد ينصرف إلى توازي المعنى بين كلمتين من لغتين مختلفتين . وقد توسع الدارسون المحدثون في تفصيل أنواع التعادل حتى ابتعد ابتعادًا كبيرًا عن مفهوم الترادف ، بحيث أصبح من العسير إحلال أحد المصطلحين محل الآخر على نحو ما سوف نُبيّن ، فمفهوم التعادل يتخطى الكلمة المفردة إلى التراكيب والأبنية والمصطلح اللغوي نفسه .

وكان من أوائل من أثاروا قضية « التعادل » بمفهومها الحديث رومان ياكوبسون في مقاله الذي سبقت الإشارة إليه ، فعندما تعرض للترجمة بين لغتين مختلفتين شرع في فحص بعض قضايا هذه الترجمة ومنها قضية ما يسميه المعنى اللغوي linguistic meaning و « التعادل » equivalence . ويتفق ياكوبسون مع سوسير Saussure أو هو يأخذ عنه العلاقة بين الدال (الإشارة - signal - المنطوقة أو المكتوبة) والمدلول (المفهوم الذي يدل الدال عليه) قائلاً إن الدال والمدلول معًا يكونان « العلامة اللغوية » linguistic sign وأن هذه العلامة تعسفية أو توقيفية arbitrary ؛ أي أنها لا سبب ولا دافع لها unmotivated . وهكذا فإن كلمة « الجبن » العربية (في جملة « أكلت الجبن ») هي الدال الصوتي acoustic signifier الذي يدل تحديدًا denotes على مفهوم « الطعام المصنوع من مضغوط الألبان المتخثرة » (المدلول) دون أن يكون ثم سبب كامن لإطلاق هذا الدال على ذلك المدلول . ويؤكد ياكوبسون أن المرء يستطيع أن يدرك المدلول حتى ولو لم يكن قد خبره بنفسه أو رآه رأي العين ، ويضرب المثل بكلمتي « رحيق الآلهة » nectar وطعام الآلهة ambrosia اللتين نقرؤهما في الأساطير اليونانية ، والأمثلة على ذلك كثيرة في العربية ، فنحن نعرف مدلول الكلمات الشائعة مثل « الغول » و « العنقاء » و « السعلاة » بل

و « الشيطان » و « الجان » ، ولو لم نكن قد خبرنا أيّا من هذه المدلولات أو شاهدناها ، على عكس كلمة « الجبن » المذكورة ، فالأرجح أن يكون القارئ قد خبرها .

وينتقل ياكوبسون بعد ذلك إلى المشكلة الشائكة وهي « تعادل المعنى » بين كلمتين من لغتين مختلفتين فيقول « إنه في العادة لا يوجد تعادل كامل بين وحدتين من وحدات الشفرة اللغوية code-units » ، ويضرب المثل على ذلك من الجبن ، وسأحاول أن أجد المثيل بالعربية ، فكلمة الجبن الإنجليزية cheese لا تتضمن « اللَّبْنة » اللبنانية أو الشامية وهي نوع من الجبن بالعربية ، وإن كانت الاسم العام hypernym لجميع أنواع الجبن الأخرى . وينتهي وصف ياكوبسون للترجمة بين اللغتين بأن يقول إنها تعني « إحلال رسائل بلغة ما محل رسائل كاملة بلغة أخرى لا محل وحدات شفرية منفصلة » ، ومن ثم فإن « المترجم يعيد صياغة الشفرة الخاصة بهذه الرسالة التي تلقاها من مصدر ما ويعيد إرسالها ، وهكذا فإن الترجمة تعني وجود رسالتين متعادلتين بشفرتين مختلفتين » (ص ١١٤ من كتاب House) .

ويقول ياكوبسون إن « تعادل » الرسالتين في اللغة المصدر واللغة المستهدفة يقتضي اختلاف الوحدات الشفرية ، لأنهما تنتميان إلى نظامين مختلفين من نظم العلامات (أي لغتين) ، وكل منهما تختلف عن الأخرى في تقسيمها للواقع أي في تحديد أسماء الأشياء والأفعال والصفات (والمثال هو اللبنة وكلمة cheese أعلاه) . أما من الناحية الدلالية واللغوية فإن ياكوبسون يعالج مشكلة التعادل بوضع التعريف التالي الذي ذاع وانتشر ، وسوف أورده بالعربية والإنجليزية معًا بسبب الضغط الشديد في صياغته :

Equivalence in difference is the cardinal problem of language and the pivotal concern of linguistics.

« التعادل في (إطار) الاختلاف هو المشكلة الكبرى في اللغة والقضية

المحورية لعلم اللغة (اللغويات) » .

وهكذا نرى أن مشكلة المعنى والتعادل عند ياكوبسون تركز على الاختلافات في الأبنية اللغوية (التراكيب) والمصطلح اللغوي لا على عجز لغة ما عن نقل رسالة كتبت بلغة أخرى . وهكذا يمكن للغة الإنجليزية أن تعبر عن مدلول « اللبنة » حتى لو أضافت إليها بعض الصفات ، وذلك ما يفعله كل مترجم (فالجبن « الروكفور » يسمى blue cheese ونحن في العربية نفعل ذلك دائمًا ، ومعناه أن اللغة المستهدفة « تقسم » الدال الأصلي (في لغة المصدر) إلى دالين منفصلين ، أو المفهوم الواحد في لغة المصدر إلى مفهومين مختلفين ؛ فيقول الإنجليز wooden slippers على القُبقاب أو يستعيرون له لفظة من لغة أخرى (هي الفرنسية هنا) وهي *sabots* وهي كلمة أصبحت إنجليزية وتختلف عن clogs التي قد تعني الصندل أو الحذاء ذا النعل الخشبي ، كما أننا نترجم boots بتعبير « حذاء برقبة » وهلم جرًّا .

ولكن الاختلافات - كما يقول ياكوبسون - لا تقتصر على الأسماء أو الأشياء بل هي تتركز في « الأشكال النحوية والتصاريف اللفظية الإلزامية » لكل لغة ، وهو يعني بالإلزام أن طبيعة اللغة تلزمك باتباع شكل نحوي محدد إن كنت تبغي إيضاح المعنى ، وكذلك الأمر في تصاريف الألفاظ ، وهي إلزامية لأنها لا محيص عنها ، وما أيسر ضرب الأمثلة هنا :

على مستوى التذكير والتأنيث : « الدار » house مؤنثة بالعربية والفرنسية وغيرها من اللغات الرومانسية ، وجماد بالإنجليزية والألمانية ، وكلمة « الشهد » honey مذكر بالعربية والفرنسية والألمانية والإيطالية ، مؤنثة بالإسبانية ، جماد بالإنجليزية . . . إلخ .

على مستوى زمن الفعل : تختلف أزمان الفعل في العربية عنها في الانجليزية ، فليس لدينا مقابل للحاضر التام ، ونحن نترجمه بكلمتين أو أكثر « فعل ويفعل » أو « فعل ولا يزال » أو فعل منذ قليل . . . إلخ .

على مستوى دلالة الألفاظ : الكلمة الألمانية Geschwister نترجمها بالعربية إلى إخوة وأخوات ، وكلمة children الإنجليزية في عبارة I've got three children نترجمها إلى « بنات » إذا كان الجميع بناتٍ لا إلى « أطفال » . وقس على ذلك كلمة uncle التي قد تعني العم أو الخال . . . إلخ .

ويقول ياكوبسون إنه حتى على المستوى النحوي الأساسي - مثل المفهوم « العلائقي » relational الذي يقتضي في اللغات الأوربية الغربية وجود فعل الكينونة be بالإنجليزية و être بالفرنسية و sein بالألمانية ، بل وفي بعض اللغات الهندية الأوربية الأخرى مثل الفارسية (آست) نجد أن اللغة الروسية لا حاجة لها صراحةً إلى هذا الفعل في الزمن الحاضر ، وكذلك شأن العربية (محمدٌ مجتهدٌ) ، وهذه الأمثلة تبين لنا الاختلافات فيما بين اللغات ولكنها لا تنفي أنها يمكن ترجمتها من لغة لأخرى ، ويستثني ياكوبسون الشعر حيث توجد حالات يقوم فيها التماثل الصوتي بدور الدلالة العلائقية ، وهو يرى أنها « لا تترجم » بل تتطلب « نقلات » إبداعية تتضمن إحلالاً وإبدالاً .

وقد أصبحت قضايا المعنى والتعادل وقابلية الترجمة من الموضوعات الثابتة والمتكررة في دراسات الترجمة على امتداد الستينيات ، ولم تلبث أن أصبحت من مجالات المنهج « العلمي » الذي اتبعه دارس من أهم باحثي دراسات الترجمة ألا وهو الأمريكي يوجين نايدا E. Nida . وقد نشأت نظرية الترجمة التي وضعها من واقع ممارسته العملية في أثناء ترجمته للكتاب المقدس ، وتنظيمه لجهود ترجمته في الأربعينيات ، وكُلّلت جهوده بإصدار كتابين (انظر المراجع) حاول فيهما وضع مدخل منهجي لدراسة الترجمة يستفيد من مفاهيم علم اللغة ومصطلحاته ، سواء من علم الدلالة أو من التداولية pragmatics ، وكذلك من ثمار عمل « نعوم تشومسكي » في مجال بناء الجملة أو علم التراكيب ، وهو الذي وضع نظريته الشهيرة في النحو التوليدي والتحويلي transformational-generative grammar (تشومسكي ١٩٥٧ ، ١٩٦٥) .

وقد بدأ « نايدا » عمله بالابتعاد عن النظرية القديمة التي تقول بثبات معنى الكلمة المكتوبة ، وبالاقتراب مما يمكن تسميته بالتعريف الوظيفي functional للمعنى ، ومفاده أن الكلمة « تكتسب » معناها من سياقها ، وأن تأثيرها يختلف باختلاف الثقافة ، وهو يحدد في هذا الصدد ثلاثة أقسام للمعنى ، الأول هو **المعنى اللغوي** linguistic meaning وهو الذي يعتمد فيه على تقسيم الجملة الذي وضعه تشومسكي واشتهر باسم « الشجرة » حيث تبدأ الجملة باسم أو بعبارة (أو شبه جملة) اسمية ويتبعها فعل ولواحق إلى آخر هذا التقسيم المشهور، والثاني هو **المعنى الإحالي** referential meaning وهو المعنى الذي يحدده المعجم بدقة ، و وظيفة الدال فيه هي الإحالة إلى مدلول ، وأما القسم الثالث فهو ما يسميه **المعنى الشعوري** emotive meaning أو ظلال المعنى التي تنشأ من ارتباط الكلمة بأشياء معينة ، في داخل السياق أو خارجه ، أو في الخبرة الفردية للقارئ أو الخبرة الإنسانية العامة ، ومن ثم فهو من باب الشعور الذي لا يبرره المعنى المحدد للكلمة أو حتى للسياق ، وإذن فهو يختص بإثارة إحساس ما أو شعور ما ، ونحن ننسبه عادة إلى ما للمعنى من ظلال ، ولكنه قد ينبع أيضًا من جرس السياق الذي يقع فيه اللفظ ، وذلك أمر لا يمكن إغفاله عند تفهم النصوص ومن ثم عند ترجمتها . ويوجين نايدا يضع مجموعة من القواعد أو الطرائق المستقاة من علم اللغة ، لمساعدة المترجم على تحديد fear شتى المفردات اللغوية ، أما الطرائق المقترحة أو القواعد الخاصة بتحديد المعنى الإحالي والمعنى الشعوري فتركز على تحليل أبنية الألفاظ والتمييز بينها وبين مثيلاتها الواردة في المجالات اللفظية المتصلة بها . وتتضمن هذه الطرائق ما يسميه **البناء الهرمي** hierarchical structure الذي يميز فيه الدارس بين **الاسم الكلي الهرمي** superordinate أو ما سبقت الإشارة إليه باسم hypernym مثل لفظ حيوان ، والأسماء الجزئية hyponyms التي تدخل في فئة الاسم الكلى مثل « الجمل » و « الحصان » و « البغل » ، إلى جانب المنهج الذي يسمى **تحليل عناصر الكلمة** (componential analysis) والمقصود به

التمييز بين عناصر عدد متقارب من الكلمات تحديدًا لمعنى كل منها ، على نحو ما فعله الثعالبي في فقه اللغة في « تقسيمه » الألفاظ على معانيها المختلفة ، وكان يستند في ذلك إلى معانيها في عصره أو إلى مفهومه الخاص إما لاشتقاق الكلمة مثل قوله إن السحاب يسمى النشء إذا نشأ ويسمى سحابًا إذا انسحب في السماء ، والزبرج والجون إذا كان أبيض أو أسود (من الأضداد) أو استنادًا إلى مفهومه لما عرفه من لغة العرب آنذاك ، ولكن الطريقة الجديدة تعتمد على ما يشبه « المعادلة الحسابية » أي وضع عناصر معينة وإضافة بعضها إلى بعض أو طرح بعضها من المعادلة وصولاً إلى التحديد الذي يوحي بأن التحليل « علمي » . وقد نجح البعض - قبل نايدا - في إجراء ذلك فيما يتعلق بالمجسدات ، فهي يسيرة التحديد مثل تحليل كلمة فتى أو شاب بأن المعنى يتضمن العناصر التالية : إنسان + ذكر + حداثة السن ، فاذا غيرت بعض هذه العناصر خرجت بفتاة أو بشيخ . . . إلخ . والطريف أن هذا المثل يتكرر كثيرًا في الحديث عن تحليل العناصر (الذي يسمى أيضًا decomposition) ويندر أن يأتي الكُتّاب بأمثلة أخرى حتى من المجسدات ، وذلك ما اعترض عليه جاكندوف Jackendoff فيما بعد في كتابه عن « علم الدلالة والمعرفة » *Semantics and Cognition* (انظر المراجع) وأما إذا نظرنا إلى المجردات فإن الصعوبة التي تكتنف هذا المنهج تبرز بوضوح وجلاء ، وانظر معي إلى الخوف وكيف يمكن تقسيمه باعتباره العنصر المشترك في الكلمات التالية : الوجل والإشفاق ، الخشية ، الرهبة والتقوى والورع ، الروع ، الهيبة ، الهلع والجزع والرعب والذعر والفزع (بل والهول !) ونحن نستطيع أن نفرق بين ثنائيات منها استنادًا إلى معاجم اللغة القديمة أو الحديثة أي إلى معانيها في التراث أو إلى معانيها المعاصرة ، ولا نستطيع التفريق بين ثنائيات أخرى ، فنحن نستطيع أن نفرق بين أي ثنائية بأن نبدأ بوضع علامة زائد (+) أمام عنصر الخوف باعتباره العنصر المشترك بينها جميعًا ، ثم يضاف إليه (+) عنصر الحركة في حالة الفزع ، فمن يفزع يتحرك كأن يفر مثلاً أو يبتعد وحسب أو

يحاول طلب النجاء أو الاحتماء ، ونحن قد نضع أيّا من هذه العناصر في تحديدنا لمشاركتها في معنى الفزع وفقًا للاستعمال الجاري للكلمة - على نحو ما فعل العلامة أحمد مختار عمر - أو وفقًا لاستعمال القدماء ، وانظر البيتين التاليين (من المحدثين والقدماء) :

يهزأ بالجمرة حين يلذع ويسبق العداء حين يفزع
طوى الجزيرة حتى جاءني خبر فزعت منه بآمالي إلى الكذب

وقد ننجح في حالة كلمات أخرى باستخدام معادلات تحليل العناصر التي تتضمن علامة زائد (+) وناقص (-) في سطر واحد ، مثل : الرهبة أو الهيبة = (الخوف - الحركة + الإجلال والتقدير) ، ومثل (الورع = الخوف + الإجلال + تذكر العقاب ورجاء الثواب + / - الفعل) وقد نستطيع ذلك أيضًا في حالة (التقوى = الخوف + الرغبة في تجنب العقاب وطلب الثواب + / - الفعل) بل قد نستطيعه في حالة كلمات أخرى ، ولكن الكلمات لا ترد دائمًا في حالة المصدر ، فمن الرهبة اشتق المحدثون تعبير « الإرهاب » الذي يسمى أحيانًا terrorism وأحيانًا terror وحسب ، وتعريفه يختلف قطعًا عما ورد في تحليل عناصر الرهبة ! وتزداد صعوبة هذا المنهج الذي يطمح إلى أن يكون علميًا حين نبدأ في محاولة موازاة هذه التحليلات بتحليلات مقابلة في الإنجليزية مثلاً ، فكلمة الرهبة تترجم عادة بكلمة awe ولكن الصفة awful قد تعني المخيف أو بالعامية الإنجليزية « البشع » أو القبيح - بل وقد تضاف في العامية الدارجة لتحديد الدرجة كقولك thank you awfully أي شكرًا جزيلاً أو an awful lot أي « كمية كبيرة » وحسب ! وأما الصفة الأخرى awesome فتعني « المهيب » أو الذي يُجلّه الإنسان أو يخشى جانبه ! بل قد تعني الضخم وحسب ! وهنا نجد أن « الهيبة » قد دخلت في التحليل ، ولكن « نايدا » لا يورد هذه النماذج المعقدة بل يعتمد على أمثلة يسيرة ويزيد من تبسيطها مثل الجدة والأم والخالة والعمة (ص ٨٤ - ٨٥ من كتاب نحو علم الترجمة)

مستنداً إلى ما يسميه علاقة القرابة الأولى (الانحدار من نسل إنسان) أو الأنوثة والذكورة ، وهي مفاهيم غير خلافية وإن كانت نتائجها تتخذ الطابع « العلمي » دون أن تضيف في رأيي « علمًا » جديدًا.

ومن الطرائق الأخرى التي يقترحها « نايدا » ما يسميه « تحليل البناء الدلالي » أي semantic structure analysis وهو يَفْصِلُ فيه (أو يقترح الفصل فيه) بين الـ fear المختلفة لكلمة spirit (ص ١٠٧) التي قد تعني الروح ، وقد تعني الشيطان أو الملاك أو الرب أو الشبح أو الكحول إلى آخر ما تعنيه بالإنجليزية ، وفقًا لخصائص كل معنى إنساني في مقابل غير إنساني ، وحسن في مقابل «شيء » إلى آخره) وهي طريقة مظهرها علمي ونتائجها - شأن الطريقة السابقة - لا تضيف علمًا كبيرًا ، وإنما يحاول « نايدا » بهذه الطرائق مجتمعة أن يقنع الذي يتعلم الترجمة بأن معنى الكلمة ذات التركيب الدلالي المعقد (مثل كلمة « روح ») يتغير وفقًا للسياق ، بل إن السياق هو الذي يحدده ، وينتهي من تحليله لهذه الكلمة إلى أنها لا تحمل في كل الأحوال معنى دينيًا ، قائلاً إنها حتى حين تحمل بالقطع هذا المعنى الديني (الروح القدس - Holy Spirit) فإن « القيمة » الشعورية لها أو « ظلال » معانيها قد تتغير وفقًا للغة المستهدفة (المترجم إليها) ، فما يرتبط بها من معان أخرى ، في السياق أو خارجه ، قد يغير من هذه الظلال ، وهي إذن مبحث من مباحث التداولية pragmatics أي « الاستعمال اللغوي » language in . ويؤكد « نايدا » أهمية السياق في مجال التواصل أو الاتصال عند التصدي للمعاني الاستعارية وللمصطلح الثقافي ، ويمكننا بصفة عامة أن نقول إن طرائق تحليل العناصر الدلالية تعتبر من وسائل إيضاح ما التبس أو ما غمض معناه على القارئ أو المترجم ، وإثبات الاختلافات الثقافية وتحديدها ، وهي مفيدة في مقارنة اللغات والثقافات المختلفة بعضها بالبعض ، وسوف يزيد وضوح ذلك في المثال التالي :

يقول الله في كتابه الكريم ﴿ ولْيَخْشَ الَّذين لَوْ تَرَكوا مِنْ خَلْفهم ذُرِّيَّةً ضِعافًا خافوا عَلَيهِمْ فَلْيَتَّقُوا الله ولْيَقولوا قَوْلاً سديدًا ﴾ (النساء - ٩) وقد اخترت هذه الآية لورود ثلاثة ألفاظ تشترك في عنصر « الخوف » (من المجموعة التي أوردتها في الفقرة قبل السابقة) وأما المعنى فمتفق عليه ، وهو أن على الأوصياء المكلفين بتركة الأيتام أن يتقوا الله فيهم - كما لو كانوا قد خلفوا ذرية فقيرة يخشون مكابدتها شظف العيش ، وأن يُبدوا العطف عليهم ويسدوا لهم النصح السديد . « كما كان يحب أن يصنع بورثته إذا خشي عليهم الضيعة » ، ابن كثير ص ١٥٦) « عليهم أن يتقوا الله فيعاملوا أبناء غيرهم الذين تحت وصايتهم بالشفقة والرحمة التي يحبونها لأبنائهم » - السيوطي - ٦٢) (عامل اليتامى الذين في حجْرك بمثل ما تريد أن يعامل به أبناؤك بعد فقدك » - الصابوني ٢٦٠) « أمر الله الذين يخافون على ذريتهم الضعفاء العيلة والضيعة من بعدهم ... أن يخشوه ويتقوه فيمن يتولون أمرهم من اليتامى » - حسنين مخلوف ١٠٨) « فليتقوا الله في ذرية غيرهم » - شوقي ضيف ١٤٢) . والملاحظ أولاً أن المفسرين الخمسة من القدماء والمحدثين يستخدمون الأفعال الثلاثة (يخشى - يخاف - يتقي) في التفسير ، محتفظين للتقوى بسياق « تقوى الله » بمعنى مراعاة حدوده وأحكامه بالإنصاف ومعاملة من في حِجْر الوصيّ معاملة أبنائه لو أنه تركهم بلا عائل .
والملاحظ أن المفسرين إذن لا يرون فارقًا كبيرًا بين الخشية والخوف ، بل إن مخلوفًا يجمع بين الخشية والتقوى في عبارة واحدة إما لتأكيد المعنى ببيان كون الخشية جزءًا من التقوى أو للجمع بين معنى الخشية ومعنى التقوى (إذا كان يرى بينهما اختلافًا) . والمشكلة إذن ليست مشكلة تفسير ، فالمعنى واضح ، ولكنها مشكلة تفريق بين كلمة الخوف العامة (التي ترد في القرآن هي ومشتقاتها ١٢٤ مرة) وكلمة الخشية العامة أيضًا والتي تشارك الخوف معظم عناصر المعنى (وترد في القرآن ٤٧ مرة هي ومشتقاتها) وبين كلمة التقوى

ومشتقاتها التي ترد في القرآن ٢٥٨ مرة بمعانٍ تكاد تقتصر على تقوى الله . والطريف أن المعجم الوسيط يعرف التقوى بأنها « الخشية والخوف » ، ويضيف أن « تقوى الله خشيته » ، موضحًا أن ذلك يكون « بامتثال أوامره واجتناب نواهيه » ، فنحن إذن أمام كلمات ثلاث تشترك في صلب المعنى ولا تختلف إلا في « الوظيفة » التي يحددها السياق ، ولما كنت مؤمنًا بأن fear القرآن لا بد أن تُستمد من سياقات القرآن نفسها ، أو من سياقات اللغة المعاصرة له ، فقد لاحظت من فحص هـذه السياقات أن الخشية تحتل مركزًا وسطًا بين الخوف العام والتقوى ، إذ يتضمن الفعل « خشي » ظلا من معنى الفعل « خشع » لا بسبب التجانس الصوتي وحده بل بسبب السياقات التي يرد فيها الأخير ، في ١٧ آية في القرآن الكريم ، والمعجم الوسيط يورد الفعل « خاف » باعتباره من معاني خشع ، وهو يعنى أصلاً ذلّ وانخفض « خشية » ، والفعل « خضع » قريبٌ منه (مرتين فقط في القرآن) وقد أكون مخطئًا - فالقرآن لا يعلم تأويله إلا الله - ولكن كثرة استعمال الخشية في سياق ذكر الله وخشيته (٣١ آية مـن ٤٧) يوحي بأن للخشية ظلالاً من معنى الخشوع ﴿ لَوْ أَنْزَلْنا هَذا القُرْآنَ عَلى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللهِ ﴾ الحشر - ٢١) ولو أبدلت الخشية هنا بالخوف لما كان التوازي في المعنى (الترادف) كاملاً ، وهكذا يتضح مذهب نايدا في تحليل البناء الدلالي استنادًا إلى السياق ، فهل راعى ذلك مترجمو fear القرآن ؟

ولنبدأ بيوسف علي الذي يعمد إلى منهج الإيضاح « التصريحي » explicitation الذي سوف نعرض له فيما بعد ، فيدرج في الآية زيادات إيضاحية محمودة عوضًا عن المحذوف في لغة الإيجاز القرآنية (بين قوسين) ويدمج الخشية والخوف في كلمة واحدة هي fear ثم يستخدمها هي نفسها في ترجمة التقوى :

Let them (disposing of an estate)
Have the same fear in their minds

As they would have for their own
If they had left a helpless family behind :
Let them fear God, and speak
Words of appropriate (comfort).

وأما بيكتول فيترجم الخشية بكلمة fear والخوف بموازٍ لها وهو afraid for ويأتي بتعبير مختلف تمامًا للتقوى وهو to mind one's duty to Allah وهو من باب الشرح المقبول لا الترجمة للمعنى كله ، فالإنجليزية فيها المقابل والمماثل والمعادل - كما سوف يأتي بيانه - إذ يقول بيكتول :

And let those fear (in their behaviour towards orphans) who if they left them weak offspring would be afraid for them. So let them mind their duty to Allah and speak justly.

وإذا حاول القارئ أن يترجم أيّا من هذين النصين إلى العربية ؛ أي أن يرده إلى اللغة المصدر فيما يسمى بالترجمة العكسية back-translation - فسوف يتضح له مدى ضياع معنى الخشية وظلالها الخاصة ، فلا تعبير fear in their minds يفي بالغرض ولا fear وحدها في النص الثاني التي تستخدم فعلاً لازمًا محاكاة لأسلوب القرآن العظيم ، وأنى لبيكتول أن يحاكي الإيجاز المعجز ؟

ولكن مزية النصين - على أية حال - هو إخراج المعنى المقصود من الآية ، على عكس أربري الذي يتبع أبنية الآية اتباعًا حرفيّا فيضل ولا يخرج المعنى ، إذ يغيب عنه معنى « لو » ويظنها مرادفة للحرف « إن » أو « إذا » ، كما لا يفطن إلى الإيجاز (بالحذف ellipsis) الذي يميز إبداع لغة التنزيل ، ثم يحاكي بيكتول في ترجمة الخشية بكلمة fear وخافوا عليهم بكلمة afraid وهو صحيح ، والتقوى بكلمة fear أيضًا وهي لا شك صحيحة من ناحية المعنى الإحالي الذي سبق إيضاحه ، ولكنها لا تنقل المعنى السياقي الخاص هنا - يقول أربري :

And let those fear who, if they left
behind them weak seed, would be afraid
on their account, and let them fear
God, and speak words hitting the mark.

وإلى جانب استخدام fear فعلاً لازمًا - وهو ما انتقدته في بيكتول - لا يبين أربري أن الخشية هي خشية الله ، على عكس ما يفعله الدكتور محمد محمود غالي الذي يخصص كلمة للخشية ، وكلمة للخوف ، وكلمة للتقوى ، ويضع بين أقواس ما يستكمل به معنى الكلمتين الأوليين ، ولا يشرح مثل يوسف علي بل يتوقع من القارئ أن يقرأ الآية مع سابقتها ولاحقتها لإدراك المقصود :

And let the ones be apprehensive (of Allah); who, if ever they left behind them weak offspring, would fear (poverty) for them; so let them be pious to Allah, and let them speak befitting words.

فالدكتور غالي - المصري العربي - هو الذي استطاع وحده ، بالحدس أو بالمنهج العلمي أو بهما معًا ، تحقيق مرمى « نايدا » من تحليل عناصر المعنى لكل كلمة من الكلمات الثلاث .

ويتحول نايدا من الكلمة المفردة إلى بناء الجملة ، فيظهر مدى تأثره بالنحو التوليدي التحويلي الذي أتى به نعوم تشومسكي ، وقد أصبح النموذج الذي وضعه تشومسكي شائعًا معروفًا ، ولكن لا بأس من تلخيص فحواه . فهو يحلل كل جملة بتحديد عدد من المستويات يتصل بعضها بالبعض ، ويحكمها عدد من القواعد ، وسوف نبسطها هنا تبسيطًا شديدًا فنقول :

١ - إن قواعد بناء الجملة تولِّد generate بناءً **عميقًا** deep structure

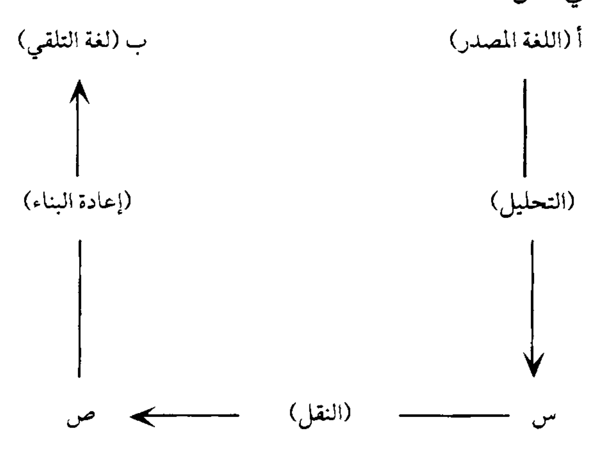
٢- وهو يتحول وفقًا لقواعد التحويل transformation فيقيم علاقة ثابتة بين الأبنية الباطنة بعضها والبعض (كالبناء للمعلوم الذي يتحول إلى بناء للمجهول) ومن ثم يؤدي إلى :

٣- **البناء السطحي النهائي** surface structure الذي يخضع لقواعد صوتية ومورفيمية .

ويعتقد تشومسكي أن علاقات البناء التي يحددها هذا النموذج لا تختلف من لغة إلي لغة على سطح الأرض وعلى مر الأزمان ، وأهم الأبنية الأساسية فيه هي الجُمل النووية kernel sentences نسبة إلى النواة (أو الجوهر) ، وهي جمل بسيطة مبنية للمعلوم ومفيدة ولا تكاد تحتاج إلى أي تحويل .

ويدرج نايدا أهم ملامح نموذج تشومسكي في « علم الترجمة » الذي يرسي أسسه ، فهو يقدم إلى المترجم - فيما يرى - طريقة لحل شفرة decoding النص المصدر (الأصلي) وطريقة لوضع شفرة encoding النص المستهدف (المترجم) ، ولو أنه يعكس الترتيب في نموذج تشومسكي فيبدأ بتحليل البناء السطحي للنص المصدر حتى يصل إلى العناصر الأساسية للبناء العميق ، ويقوم المترجم بنقل transfer هذه العناصر في عملية الترجمة ثم إعادة بنائها دلاليًا وأسلوبيًا في البناء السطحي للغة المستهدفة .

ويورد نايدا في الكتاب الذي ألفه بعد ذلك مع تابر بعنوان نظرية الترجمة وممارستها (١٩٦٩) رسمًا توضيحيًا يبين فيه « شكل » هذه الخطوات على النحو التالي (ص ٣٣) :



ويؤكد نايدا وتابر في هذا الكتاب المزايا « العلمية والعملية » لهذا المنهج ، خصوصًا إذا قورن بمحاولة إعداد قائمة شاملة كاملة لأوجه التعادل بين نظامين لغويين محددين (يمثلان لغة المصدر ولغة التلقي) ويعتبر مصطلح « النواة » kernel هو المصطلح الأساسي في هذا النموذج ، ومثلما كانت « الجمل النووية » هي أولى الأبنية الأساسية في النموذج الأولي الذي وضعه تشومسكي ، نجد أن « النّوى » (جمع نواة) تمثل لنايدا « العناصر البنائية الأساسية التي تقيم اللغة منها أبنيتها السطحية المعقدة » (١٩٦٩ - ص ٣٩) والمترجم يصل إلى هذه « النوى » عن طريق الاختزال reduction أو التحويل العكسي back transformation (٦٣ - ٦٩) ويتطلب ذلك تحليلاً تستخدم فيه الأنماط الأربعة « للوظيفة » المستخدمة في النحو التوليدي التحويلي ، وهي :

(أ) الأحداث (التي تؤديها الأفعال غالبًا) .

(ب) الأشياء (التي تؤديها الأسماء غالبًا) .

(جـ) المجردات (الكم والكيف بما في ذلك الصفات) .

(د) العلاقات (بما في ذلك التذكير والتأنيث ، وحروف الجر وحروف العطف) .

ويضرب نايدا أمثلة في كتابه الأول (١٩٦٤) لتوضيح الأبنية المختلفة الناتجة عن الإضافة (إضافة اسم إلى اسم بالعربية ، وهي التي يستخدم فيها الحرف of بالإنجليزية) ، وسوف أورد نماذج مقابلة لها بالعربية :

البناء السطحي : مسيرةُ القافلة

التحويل العكسي : ب (شيء - القافلة) يؤدي / يفعل أ (حدثًا - تسير)

أي أن الإضافة هنا تحولت إلى فعل وفاعل عن طريق التحويل العكسي للبناء الاسمي إلى بناء نووي (جملة بسيطة مبنية للمعلوم ومفيدة) ولا يهم هنا

إن كانت اسمية أو فعلية ، (أي سواء قلنا تسير القافلة أو القافلة تسير) بل المهم هو التحويل الذي يوضح المعنى الكامن في الإضافة والذي يختلف عن المعنى الكامن في الإضافة التالية :

البناء السطحي : خَلْقُ العالم

التحويل العكسي : ب (شيء – العالم) هو غاية أ (حدث – خُلِقَ)

أي أن الإضافة تحولت هنا أيضاً إلى فعل ومفعول (نائب فاعل في هذه الحالة) عن طريق التحويل العكسي للبناء الاسمي إلى بناء نووي مفيد ، ولا يهم هنا أيضًا إن قلنا خُلِقَ العالم ، أو قلنا العالمُ خُلِقَ ، فالمعنى قد اتضح من خلال التحويل إلى بناء نووي .

ويزعم نايدا وتابر (١٩٦٩ – ص ٣٩) أن في جميع اللغات عددًا من الأبنية النووية يتراوح بين ستة أبنية واثني عشر بناءً ، وهي أبنية نووية أساسية في قولهما ، وأن « اللغات جميعًا تتفق فيما بينها على مستوى الأبنية النووية أكثر مما تتفق على مستوى الأبنية المعقدة » ، ويقولان إن مستوى النواة هو المستوى الذي تنقل فيه الرسالة إلى اللغة المتلقية قبل تحويلها إلى البناء السطحي على ثلاث مراحل ، المرحلة الأولى هي مرحلة « النقل الحرفي » literal transfer والثانية مرحلة « نقل الحد الأدني » minimal transfer والثالثة مرحلة النقل الأدبي literary transfer ، ومن نماذج مراحل النقل المذكورة المثال الذي يورده نايدا في كتابه الأول (١٩٩٤ – ص ١٨٥ – ١٨٧) وهو آية من إنجيل يوحنا (١/ ٦) وهو كما يلي :

- اللغة المصدر : اليونانية (مكتوبة بحروف لاتينية)

1	2	3	4	5	6	7	8
egeneto	anthropos,	apestalmenos	para	theou,	onoma	auto	Ioannes

● النقل الحرفي (المرحلة الأولى)

١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧ ٨

كان / حدث إنسان مرسل من الله اسم له يوحنا

● نقل الحد الأدنى (المرحلة الثانية)

١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦+٧ ٨

جاء / كان هناك رجل مرسل من الله اسمه يوحنا

● النقل الأدبي (المرحلة الثالثة)

١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦+٧ ٨

وجاء رجل مرسل من الله اسمه يوحنا

(عن ترجمة (1901) *The American Standard Version*)

٣ ٥ ٢ ٦+٧ ٨

وأرسل الله رجلاً اسمه يوحنا

(عن ترجمة 1958) *Phillips New Testament in Modern English*

والجدير بالذكر أن الترجمة العربية التي عندي (١٩٦٥) تورد النص التالي :

١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦+٧ ٨

كان إنسان مرسل من الله اسمه يوحنا

كما وجدت في طبعة إنجليزية أخرى للإنجيل لا يوردها نايدا الترجمة التالية :

١ ٢ ٦+٧ ٨ ١ ٣ ٤ ٥

وظهر رجل يدعى يوحنا ، وكان مرسلاً من عند الله

(من طبعة جامعتي أكسفورد وكيمبردج *The Revised English Bible*, 1989

وأعتقد أن هذه الأمثلة تكفي لإيضاح مذهب نايدا في التحليل البنائي ، ومدى استفادته من علم التراكيب أو النحو التوليدي التحويلي الذي وضعه تشومسكي وهيمن على علم اللغة فترة ما . ولكن نايدا لا يقف عند ذلك ، بل هو يتصدى لقضية التعادل تصديًا يحسب له ، من خلال وضعه لمصطلحين جديدين أثَّرا تأثيرًا بالغًا في كتابات معاصريه ومن تعرض للقضية بعدهم ، ألا وهما مصطلح **التعادل الصوري** formal equivalence والتعادل الدينامي dynamic equivalence إلى جانب مبدأ **التأثير المعادل** equivalent effect .

أما **التعادل الصوري** فيحدده نايدا على النحو التالي :

« التعادل الصوري يركز الانتباه على الرسالة نفسها ، في الشكل والمضمون . . . إذ ينصبّ اهتمامنا على التماثل الدقيق ، قدر الطاقة ، بين الرسالة في لغة التلقي وشتى عناصر تلك الرسالة في اللغة المصدر . »
(١٩٦٤ - ص ١٥٩)

ومن ثم فإن التعادل الصوري موجه إلى اللغة المصدر وأبنيتها التي تتحكم إلى حد بعيد في مدى دقة الترجمة وصحتها ، وأصدق الأمثلة على هذا النوع من الترجمة هو ما يسمى « بالترجمة ذات الحواشي » gloss translation أي ذات الشروح الملحقة بها ، وهي التي تقترب كل الاقتراب من بناء اللغة المصدر ، وعادة ما تتضمن هوامش إيضاحية يكتبها الباحث حتى يتيح « للطالب » المزيد من العلم باللغة المصدر وثقافتها ، وأما قولنا « الطالب » لا القارئ فمعناه أن هذا النوع من الترجمة كثيرًا ما يستعمل في المعاهد الدراسية .

وأما **التعادل الدينامي** فيستند إلى ما يسميه نايدا « مبدأ تعادل التأثير » - ويشرحه نايدا قائلاً « يجب أن تكون العلاقة بين المتلقي والرسالة مطابقة إلى

حد كبير للعلاقة التي كانت قائمة بين المتلقي الأصلي والرسالة نفسها » . (١٩٦٤ - ص ١٩) ، ومعنى هذا ضرورة تطويع tailoring الرسالة للوفاء بالاحتياجات اللغوية والتوقعات الثقافية للمتلقي ، و « أن تهدف إلى أن يكون التعبير طبيعيًا تمامًا » ومبدأ « التعبير الطبيعي » من المبادئ الأساسية التي يتطلبها نايدا ، بل إنه يعرّف هدف « تعادل التأثير » بأنه السعي لإيجاد « أقرب معادل طبيعي للرسالة في اللغة المصدر » (وقد تكرر ذلك في كتابه الثاني الذي وضعه بالاشتراك مع تابر ، فورد في الأول (١٩٦٤) في ص ١٦٦ وفي الثاني (١٩٦٩) في ص ١٢) . وهذا المدخل الموجه إلى المتلقي يرى أن جوانب التطويع adaptation في النحو والألفاظ والإحالات الثقافية لا غنى عنها لإخراج المذاق الطبيعي للنص المترجم ، أي أن اللغة المستهدفة يجب أن تبرأ من آثار تدخُّل interference اللغة المصدر ، ويجب التقليل إلى الحد الأدنى من الطابع الأجنبي للغة المصدر (١٩٦٤ - ص ١٦٧ و ١٦٨) ، وهو ما تعرض للنقد فيما بعد من بعض علماء الترجمة .

ويقول « نايدا » إن نجاح الترجمة يعتمد أولاً وقبل كل شيء على تحقيق « الاستجابة المعادلة » وأن ذلك أحد « المتطلبات الأساسية الأربعة في الترجمة » ، وهي (ص ١٦٤) :

١ - أن يكون لها معنى .

٢ - وأن تنقل روح الأصل وأسلوبه .

٣ - وأن يكون شكل التعبير بها طبيعيًا ويسيرَ المأخذ .

٤ - وأن تحدث تأثيرًا مماثلاً .

ولكن نايدا لم يسلم من الانتقاد على الرغم من جهوده المحمودة لتخليص نظرية الترجمة من فكرة معادلة الألفاظ معادلة صارمة فيما بين اللغات ، فمفهوم التعادل الصوري ومفهوم التعادل الدينامي هما المسئولان عن إدخال

عنصر « استجابة القارئ » في نظرية الترجمة ، وهو عنصر ما لبث أن تسرب إلى نظرية النقد الأدبي الحديثة وانتشر من ألمانيا إلى أمريكا ! وقد انتقده كثيرون من بينهم ليفيفير (١٩٩٣) لأنه يعتمد في تحديد التعادل على مستوى الألفاظ المفردة ولو عولجت في سياقات مختلفة ، وانتقده ڤان دن بروك Van den Broeck (١٩٧٨) ولاروز Larose (١٩٨٩) لافتراضه إمكان تحقيق « تأثير معادل » - إذ كيف يمكن قياس ذلك التأثير ، ومن هم القراء الذين سوف يتأثرون ؟ وكيف يمكن للنص أن يحدث التأثير المعادل في قراء ينتمون لثقافات مختلفة وأوقات مختلفة ؟ والواقع أن مسألة التعادل كلها تتضمن حتمًا بعض الأحكام الذاتية من جانب المترجم أو من يتولى تحليل النصوص المترجمة .

ويقول منداي (٢٠٠١ - ص ٤٣) إن ذلك العنصر الذاتي يثير التساؤلات عما إذا كانت نظرية الترجمة التي وضعها نايدا « علمية » حقًّا ، فإذا كانت الطرائق التي يصفها في تحليل الدلالة والأبنية طرائق منهجية ، ومن ثم فهي علمية ، فالمشكوك فيه إذا كان المترجم يتبع في الواقع هذه الطرائق في ترجمته العملية للنصوص . ولقد تعلمت من ممارستي الشخصية للترجمة أن اكتساب هذه الطرائق قد يأتي عن طريق التجربة والخطأ ، أو الحدس ، أو عن طريق التحليل المتأني ، ولذلك قلت إن الدكتور غالي نجح في ترجمته إما بفضل الحدس أو المنهج العلمي أو بفضلهما معًا ، ونايدا على وعي بما يسميه « الحساسية الفنية ، وهي عنصر لا غنى عنه لأي ترجمة ممتازة لعمل أدبي » (١٩٦٤ - ص ٣) .

وسوف أضرب صفحًا عن انتقادات جنتزلر Gentzler - الناقد التفكيكي - في كتابه **نظريات الترجمة المعاصرة** (١٩٩٣) ، لأنها انتقادات أيديولوجية تنكر على نايدا عمله في إطار المذهب البروتستانتي (وتنكر عليه في الواقع الإيمان الديني) . ومن الغريب أن يتعرض نايدا أيضًا لانتقادات من جانب بعض

الجماعات الدينية التي تقول إن أي تطويع للنص في الترجمة ، (وهو في حالة نايدا الكتاب المقدس) مما يتطلبه التعادل الدينامي ، يعتبر من باب « العبث » بكلمات الله ومن ثم لا بد من إدانته . ولكن نايدا مترجم محترف ألمَّ بدقائق « الصنعة » واستطاع أن يأتي بمنهج لم يسبقه إليه أحد ، وقد أثر في الكثيرين من بعده ، ومن أهمهم بيتر نيومارك Newmark في إنجلترا ، وڤيرنر كولر Koller في ألمانيا .

ومعظم الدارسين العرب يعرفون بيتر نيومارك بسبب نظريته عن الترجمة الدلالية semantic والترجمة التوصيلية communicative ، وإن اختلط عليهم المفهومان اللذان لا تدل الكلمات على فحواهما . وكان نيومارك قد وضع في عام ١٩٨١ كتابًا بعنوان مداخل إلى الترجمة *Approaches to Translation* وفي عام ١٩٨٨ كتابًا آخر بعنوان كتاب تعليمي في الترجمة *A Textbook of Trans- lation* . وقد استخدم الكتابان وما زالا يستخدمان على نطاق واسع في تدريس الترجمة (بل ما زال نيومارك يدرس الترجمة في جامعة سَرِي Surrey في إنجلترا وهما يضمان إلى جانب النظريات اللغوية للمعنى بعض التطبيقات العملية . ويختلف نيومارك عن نايدا في تركيز الأخير على تأثير النص المترجم في القارئ ، قائلاً إن نجاح تعادل التأثير الذي قال به نايدا نجاح « وهمي » ، وإن « التنازع في الولاء - أي الفجوة القائمة بين التأكيد على اللغة المصدر والتأكيد على اللغة المستهدفة - سوف يظل دائمًا يمثل المشكلة الرئيسية في نظرية الترجمة وممارستها » (١٩٨١ ص ٣٨) ، ومن ثم فهو يقترح تضييق الفجوة بالاستعاضة عن المصطلحات القديمة بمصطلحين آخرين هما الترجمة الدلالية والترجمة التوصيلية قائلاً :

> « إن الترجمة التوصيلية تحاول أن تؤثر في قراء الترجمة تأثيرًا يقترب قدر الطاقة من تأثير النص الأصلي في قرائه . وأما الترجمة

الدلالية فهي تحاول أن تنقل - بقدر ما تسمح به الأبنية الدلالية والتركيبية للغة الثانية من الأمانة - المعنى السياقى الدقيق للأصل »
(١٩٨١ - ٣٩)

وهذا التعريف أو الوصف للترجمة التوصيلية يشبه « تعادل التأثير » عند نايدا فيما تفترضه الترجمة التوصيلية من محاولة نقل تأثير النص الأصلي إلى قراء النص المترجم ، كما أن هناك بعض أوجه الشبه بين الترجمة الدلالية وما يطلق عليه نايدا تعبير التعادل الصوري ، ولكن نيومارك لا يقبل مبدأ تعادل التأثير كاملاً ، قائلاً إن مثل هذا التأثير « يصبح عاطلاً inoperant إذا خرج النص عن الإطار المكاني والزمني للغة المستهدفة » (١٩٨١ - ص ٦٩) ، والمثال على ذلك ترجمة نص قديم مثل نص ملحمة الإلياذة أو الأوديسة لهوميروس إلى قراء العربية مثلاً بلغة معاصرة ، فمن المحال القطع بأن هذه الترجمة سوف تحدث في نفوس القراء نفس تأثير الملحمة الأصلية في نفوس سامعيها في بلاد اليونان القديمة . كما يطرح نيومارك (ص ٥١) أسئلة أخرى بشأن القراء الذين يتوجه إليهم « نايدا » بالتعادل الدينامي ، إذ يتساءل عما إذا كان المترجم سوف ييسر على القارئ مأخذ النص المترجم ويشرح لهم - ولو ضمنًا - كل ما فيه . ويميز نيومارك بين الترجمة الدلالية والترجمة الحرفية (اللتين يمكن أن تتشابها في عين القارئ المتعجل لكتابه) قائلاً إن الترجمة الدلالية « تحترم السياق » وهي تفسر بل وتشرح (الاستعارات مثلاً) ، في حين تقتصر الترجمة الحرفية على ترجمة الألفاظ بل وفي حالاتها المتطرفة تنقل أبنية الجمل دون تغيير . ويفاجئنا نيومارك بدعوته إلى الترجمة الحرفية - وهي التي نفهم من كتابه أنها تعني « الترجمة الأمينة » - قائلاً إنها أفضل منهج عملي في كل من الترجمة التوصيلية والدلالية (ص ٣٩) . وندرك من سائر أقواله أنه يعني بذلك ما يعنيه ليفي Levy (في مقال بعنوان « الترجمة باعتبارها مجالاً لاتخاذ القرار » - في كتاب House ٢٠٠٠) وما يعنيه توري (١٩٩٥) فيما

قالاه من عمل المترجم (وأشهد استنادًا إلى خبرتي الشخصية بصحته) وهو أن ضيق الوقت وظروف العمل ترغم المترجم على ما يسمى « **تعظيم كفاءة العمليتين المعرفيتين** » وذلك بتركيز طاقته في معالجة المشكلات العويصة حقًا ، وبذل جهود أقل في ترجمة سائر أجزاء النص التي يمكن نقلها بسهولة ودون إضرار باستواء أسلوب الترجمة و وضوحه من خلال الترجمة الحرفية . وسوف أضرب المثال لذلك بالعبارة التي وضعتها بين أقواس وأكدتها في الجملة السابقة وهي التي ترجمتها عن الإنجليزية ، ألا وهي :

to maximize the efficiency of the cognitive processes

لقد ترجمتها ترجمة حرفية فخرجت في صورة غير مألوفة في العربية التراثية ، وتتضمن الكلمة التي شاعت « تعظيم » (انظر كتابي مرشد المترجم ٢٠٠٠) والكلمة الشائعة الأخرى « عملية » (وكثيرًا ما تكون من قبيل الحشو) والصفة الجديدة « المعرفي » (نسبة إلى المعرفة) وهي ترجمة ثقيلة على السمع واللسان والفهم ، وكان يمكن أن أترجمها قائلاً : « **لزيادة قدرة المترجم - إلى أقصى حد ممكن - على فهم النص وترجمة معناه كاملاً** » ، ولكنني - للتدليل على التنازع بين الترجمة الدلالية التي تقترب من الحرفية وبين الترجمة التوصيلية - تعمدت نقلها نقلاً حرفيًا . ولا شك أن الترجمة التوصيلية (الثانية) أيسر في الفهم . والواقع أن نيومارك يعي هذه المشكلة تمامًا فينص على أنه إذا نشأ تنازع بين النوعين من الترجمة أي إذا كانت الترجمة الدلالية سوف تخرج نصًا غير سويّ أو سوف تعجز عن تحقيق تعادل التأثير في اللغة المستهدفة - فلا بد من اللجوء إلى الترجمة التوصيلية . وهو يضرب المثال لذلك بالتعبير الألماني *Bissiger Hund* والفرنسي *Chien mechant* وهما يترجمان بالتعبير الإنجليزي beware the dog لا بتعبيري « كلب يعض » و « كلب شرير » على الترتيب ، ونحن نترجم هذه اللافتة الشائعة بتعبير « احترس من الكلب » ! ولكنني سوف أعود إلى المثال الذي ضربته في هذه الفقرة آنفًا ،

لأبين كيف تختلف الترجمة الدلالية عن التوصيلية . فأول ما تختلف فيه هو أن الترجمة الدلالية :

١- تنقل أسلوب تفكير الكاتب كما هو (في العبارة السابقة : فعل « مصدر يعمل عمل الفعل » + مفعول « مضاف » + مضاف إليه + صفة) وبالألفاظ نفسها ، وهي شائعة في اللغة الأصلية ، ومن ثم فهي

٢- وثيقة الصلة بالثقافة الغربية وتوحي بها ، والترجمة العربية لهذه الألفاظ الاصطلاحية الجديدة

٣- ليست ثابتة في زمن معين أو مكان معين ، وربما حلت محلها مصطلحات أخرى غدًا ، وربما كانت أقل دقة

٤- أي أن هناك فقدانًا لجزء من « التأثير » أو « المعنى » ، والترجمة العربية

٥ - معقدة ومركزة وتكاد تكون ركيكة لقارئ الفصحى الرشيقة الأنيقة ، ولكنها مع ذلك

٦- دقيقة وقد يستسيغها بعض أصحاب العلوم المتخصصة لتدريب القراء العرب على إدراك أسلوب هذا اللون من الكتابة العلمية - فهو أسلوب مألوف في الاقتصاد مثلاً (من العلوم الإنسانية) وفي العلوم الطبيعية (كالفيزياء والكيمياء والبيولوجيا ، إلخ) . وقد يجد بعض نقاد الأسلوب الإنجليزي أن التعبير الأصلي ليس سلسًا بسبب التكلف فيه ، والنص الذي أخرجته الترجمة الدلالية

٧ - ينقل هذه الخصيصة

وفي مقابل ذلك نجد أن الترجمة التوصيلية :

١- لم تتقيد بالبناء الأصلي للجملة ، فاعتمد المترجم فيها على فهمه الخاص (الذاتي) للنص ، وتوجه فيه إلى القارئ العربي وإلى ثقافته العربية ،

دون التزام بأسلوب تعبيره ، وهي

٢- تقطع الصلة بأسلوب الفكر الغربي بل تحوله إلى أسلوب فكر عربي ، مثل تحويل تعبير « العمليتين المعرفتين » إلى تعبيري « فهم النص » و « ترجمة معناه » ، ومن ثم فهي تتبع خطى الثقافة العربية في التقسيم والموازاة والإيضاح ، وهي

٣- ترتبط بالفصحى المعاصرة في الوطن العربي خصوصًا في الجناح الشرقي من الوطن العربي ، ولكنها

٤ - تنقل المعنى كاملاً بل ربما تفوقت في التعبير على النص الأصلي فهي

٥ - أكثر سلاسة وبساطة و وضوحًا ويسرًا وأسلوبها مباشر ، وهي

٦ - تنقل المعنى بدقة إلى اللغة العربية و

٧ - لا تكترث بالتكلف أو التعقيد في النص الأصلي فتبتعد عن هذا وذاك وتراعي معايير التعبير العربية .

ويؤدي بنا استقراء هذه الخصائص السبع إلى ما ينتهي إليه نيومارك من أن الترجمة التوصيلية تصلح للغالبية العظمى من النصوص أي النصوص غير الأدبية ، والكتابات العامة الإخبارية والمهنية والدعاية والنصوص النمطية ، وأن الترجمة الدلالية تصلح لترجمة الأدب الجاد ، وأدب السيرة الذاتية ، وأدب « الخاطرة » personal effusion أو « النفثات الذاتية » والبيانات السياسية المهمة أو ما يجري مجراها . ولكن الدكتورة جانيت عطية أثبتت في مقدمتها لترجمة مجنون ليلى (أحمد شوقي) إلى الإنجليزية أن خطوط الفصل بين النوعين غير حاسمة ، فقد يجمع النص الأدبي المترجم بين عناصر تنتمي إلى النوعين معًا ، وسوف أورد ترجمة مقطوعة قصيرة للشاعر وردزورث Wordsworth يجتمع فيها عدد من العناصر التي تنتمي إلى هذه الترجمة وتلك

معًا :

الحادث المثير ليس صنعتي
وأن أجمد الدماء في العروق ليس في يدي
لكن متعتي إذا أظلتني ظلال الصيف وحدي
في عزف لحن ساذج لكل قلب يهتدي !

وهذا هو الأصل الإنجليزي (النص المصدر) :

The moving accident is not my trade,
To freeze the blood I have no ready arts;
'Tis my delight, alone in summer shade
To pipe a simple song for thinking hearts !

فإذا حاولنا تطبيق نظرية الترجمة الدلالية وحدها وجدنا أن المترجم لا يستمسك دائمًا بأبنية الألفاظ ، رغم أنه يحافظ على الوزن والقافية ، وهما من أهم عناصر الشعر المنظوم ، بل هما عماد النظم ، وهو يضيف شبه جملة في البيت الثاني إضافة تنتمي للترجمة الدلالية ، ولا يتطلبها الوزن ، بل هي مضافة للإيحاء بالثقافة العربية المعاصرة ، وكان يمكنه أن يقول « وأن أجمد الدماء ليس في يدي » مثلما يقول وردزورث ، بل إن « في يدي » نفسها ترجمة توصيلية لمعنى العبارة الإنجليزية ، وهو يضيف فعلاً في البيت الثالث طبقًا لمقتضيات مصطلح اللغة العربية ، ويستخدم تعبيرًا ذا جذور ثقافية عميقة في ترجمة thinking heart ؛ أي أنه يتخطى الحرفية الدلالية ليقدم صورة توصيلية للمعنى . والواضح إذن أن الحدود التي يضعها نيومارك حدود نسبية وغير مطلقة ، وهو لا يقول إنها مطلقة ، ولكنه يرى أنها تمثل اتجاهين عامين يمكن للقارئ أن يفسر في إطارهما المصطلحات الأخرى ، القديمة والجديدة ، فهو يفسر بهما المصطلحين اللذين وضعتهما جوليانه هاوس Juliane House وهما الترجمة السافرة overt والمستترة covert .

ونيومارك قد تأثر ولا شك بكتابات نايدا في الموضوع ، غير أنه لم يجد في مذاهب علم اللغة الحديث غايته فلم يلجأ مثل نايدا إلى مصطلح اللغويات ، وهو يقر بهذا ، فقراءته يسيرة على غير المتخصصين في اللغويات ، ومن المفارقات أن يكون هذا اليسر نفسه سببًا في إعراض دارسي الترجمة المحدثين عن نظريته ، على جاذبيتها واتفاقها مع واقع الممارسة العملية ، فلقد نبهني تمييزه بين النوعين إلى السر في إجماع المترجمين الأوربيين (للآداب الأوربية وغيرها) على ترجمة الشعر المنظوم نظمًا والنثر نثرًا ، ولديَّ خمس ترجمات إنجليزية لمسرحية فاوست *Faust* التي أبدعها شاعر الألمانية الأكبر جيته Goethe ، كلها منظومة ، وقس على ذلك ترجمات جيته نفسه لمسرحيات شكسبير ، فهي منظومة إن كان الأصل نظمًا ومنثورة في الأجزاء المنثورة من هذه المسرحيات ، وكذلك ترجمات وردزورث عن اللاتينية (جوڤينال) وعن الإيطالية (ميكيلانچلو) وغيرهما ، وبطبيعة الحال ترجمة درايدن وبوب للملاحم الكلاسيكية ، على نحو ما سبق ذكره ، وهو ما يؤكد أن الترجمة الدلالية سادت تفكير العصرين ؛ أي عصر الكلاسيكية الجديدة والعصر الرومانسي في القارة الأوربية ، وما زالت سائدة في وقتنا الحالي ، فالإخلاص للنص الأصلي في حالة الأدب من السمات الأساسية للترجمة الدلالية ، وهل هناك ما يميز النظم أكثر من كونه نظمًا ، وتتجلى أهمية ذلك بوضوح كبير حين نقارنه بالاتجاه الغالب في العربية إلى ترجمة كل شيء إلى النثر ، والنثر بالفصحى المعاصرة تحديدًا ، فهو يدلك على أن الاتجاه لدينا يحبذ الترجمة التوصيلية التي تعتبر الأدب كتابة عادية فتنقل المعنى أو « المضمون » دون الشكل الفني أو الأسلوب ، وأما أهمية الشكل الفني في الأدب فيتضح من القصيدة القصيرة التالية للشاعر الإنجليزي وليم بليك Blake :

O Rose ! Thou art sick !
The invisible worm,
That flies in the night,
In the howling storm,
Has found out thy bed
Of crimson joy,
And his dark secret love
Does thy life destroy !

القصيدة تتكون من « جملتين مفيدتين » بلغة النقد القديم (بل والحديث) ، فالجملة الأولى تتكون من منادى مفرد ومبتدأ وخبر في سطر واحد ، والجملة الإنجليزية الثانية جملة مزدوجة compound تمتد على مدى سبعة أسطر وتتكون من جملتين ترتبطان بحرف العطف and ، والسطور الثمانية تعتبر شطرات في أربعة أبيات ، لكل بيتين منها قافية في الشطر الثاني ، فأما القافية الأولى ، بين worm و storm فهي تسمى قافية ضعيفة weak rhyme لأن الكلمتين تختلفان في النطق ، وأما القافية الثانية فهي القافية الأساسية joy و destroy والبحر المستعمل هو بحر « الأيامب » iambic الذي يسمح بزحافات وعلل كثيرة أهمها دخول إيقاع « الأنابيست » anapaest فيه ، وعلة الحذف ، وتكرار ذلك له دلالته الإيقاعية أي أن الشاعر يكاد يقترب من « إيقاع النبر » stress rhythm القديم وهو الذي أحياه ت. س. إليوت في الشعر الحديث ، وهو الإيقاع الذي يعتمد على عدد المقاطع المنبورة stressed syllables. في السطر أكثر من اعتماده على عدد المقاطع في السطر الواحد ، والترجمة الدلالية إذن تقتضي نقل دلالة النظم في حدود نظام الإيقاع الخاص باللغة العربية (اللغة المستهدفة) إلى جانب نقل القافية في اللغة العربية بالنسق الإنجليزي نفسه ، وإلى جانب نسق بناء الجملتين وهو البناء الذي يساعد الشاعر على تقديم لوحة ثابتة في الزمن (الحاضر) أي على الاقتراب من فن

التصوير ، والابتعاد عن فن الموسيقى الذي يعتمد على توالي اللحظات الزمنية ، فكأنما يقدم إلينا حدثًا يقع أمامنا بتفاصيله في لحظة ثابتة ! وفيما يلي ترجمة دلالية لم تخلُ من لمسة توصيلية في البيت الأخير :

أيتها الوردةُ ! أنت عليلهْ !
فالدودة الخفيةُ
التي تطير ليلاً
حين تعوى العاصفهْ
قد عثرت على مهادك الذي
تزينه أفراحه الورديهْ
وحبُّها الجهم الدفينُ
يمتص الحياة من عرق الوتين !

فأما المعنى الذي « يصل » إلى القارئ فهو تحوّل الحب الذي يفترض الجميع أنه سبيل التكاثر ، ومن ثم سبيل الحياة ، إلى عاطفة « مدمرة » ، فنجد أن حب كائن لكائن آخر يمتص دم حياته ! والاختلافات الثقافية تمنع من النقل « الأمين » لكل شيء مثل معاملة الشاعر الإنجليزي للدودة معاملة المذكر ، ولذلك دلالته على افتراض أن الوردة مؤنثة لارتباطها في الأدب (الإنجليزي وغيره) بالغادة الحسناء ، ومن ثم يضيع ظل من ظلال المعنى الذي تؤكده التورية في كلمة bed التي تعني حوض الورود a bed of roses وتعني الفِراش أيضًا ، وقد يكون المعنى الأخير هو المقصود (قد عثرت على فراشك) ولكن اختيار الكلمة الأخيرة يقتضي إيجاد مذكر للدودة أو لأي حشرة ، وقد يكون المقصود هو « الحُباحب » glow worm ولكن « الحُباحب » تعامل في المعاجم معاملة الجمع - كما في اللسان - ويقال أبو حُباحب وأم حُباحب ، يقول ابن منظور :

« وقيل الحُباحب : ذباب يطير بالليل كأنه نار له شعاع كالسراج . . .
قال الكميت ، و وصف السيوف :

يرى الراءون بالشفرات منها كنار أبي حُباحبَ والظُّبينا

وإنما ترك الكميت صرفه لأنه جعل حُباحب اسمًا لمؤنث . قال أبو حنيفة لا يعرف حُباحب ولا أبو حُباحب ولم نسمع فيه عن العرب شيئًا . . . ويزعم قوم أنه اليراع ، واليراع فراشة إذا طارت في الليل لم يشكَّ من لم يعرفها أنها شررة طارت عن نار. . . وأم حُباحب دُوَيَبَّةٌ مثل الجندب تطير ، صفراء خضراء. . . »

وسواء كانت الحُباحب مذكرًا أو مؤنثًا ، (فالمعاجم لا تحسم المسألة) ، فإن استخدام الكلمة للإيحاء بالمذكر غير مضمون العاقبة « فإن ذلك الحُباحب الخفي / طائرًا بالليل / حين تعوي العاصفة إلخ » لأن الكلمة غير شائعة ولا مألوفة ، ومن شأنها إعاقة توصيل المعنى بسهولة ويسر ، وإذا نشأ تنازع بين « الدلالية » و « التوصيلية » - فلا بد من غلبة الأخيرة ، ويشهد على ذلك البيت الأخير .

ومع ذلك فالترجمة ترجمة دلالية في المقام الأول ، لأنها تنقل الشكل بأقصى قدر من الأمانة مثلما تنقل معنى المفارقة الشعرية التي يريدها الشاعر ، والشكل بنائي structural وإيقاعي rhythmical ، فالبحر هو الرجز الذي يسمح بزحافات كثيرة ، بل يسمح بالإيحاء ببحور أخرى ، مثل إيحائه في البيت الأول ببحر الخبب ، ومثل تحوله إلى الهزج في التفعيلة التي تربط بين البيتين الأخيرين ، والشكل يتضمن أيضًا أبنية العبارات وهي متماثلة في النصين ، باستثناء ما يتعذر إيجاد المعادل له بالعربية . وقضية التعادل ترتبط ارتباطًا وثيقًا بقضية المقابلة correspondence ، وهي القضية التي تعرض لها كولر Koller في ألمانيا ، أحد الذين تأثروا بمذهب نايدا تأثرًا كبيرًا .

وكولر أحد الدارسين الذين اقتبسوا مصطلح نايدا الشهير « علم الترجمة » حتى شاع في ألمانيا *Ubersetzungswissenschaft* ، فذاعت في السبعينيات والثمانينيات أسماء ڤولفرام ڤيلس Wolfram Wilss وأوتو كادي Otto Kade وألبرت نُويْبار Albert Neuber (وكان الأخيران من ألمانيا الشرقية قبل التوحيد) وأما كولر فهو أهم من أجرى بحوثًا في قضية « المقابلة » في كتاب أصدره عام ١٩٧٩ بعنوان بحوث في علم الترجمة يفحص فيه فحصًا دقيقًا مفهوم « التعادل » الذي سبق ذكره والمصطلح الذى يرتبط به ارتباطًا وثيقًا - وهو « المقابلة » .

أما المقابلة correspondence فتنتمي إلى مجال اللغويات التقابلية contrastive linguistics التي تقارن نظم لغتين مختلفتين وتحدد أوجه الاختلاف والتشابه ، وهو يضرب أمثلة من التداخل بين اللغات أو الخلط بينها لأسباب تتعلق بالألفاظ أو التراكيب ، وأما التعادل فينتمي إلى معادلة كلمات أو تعبيرات أو مصطلحات في لغتين محددتين وسياقين معينين ، ومعاييره هي المعايير التي وضعها سوسير للغة المنطوقة أو المكتوبة فعلاً أي للكلام parole . ويقول كولر إنه إن كانت معرفة « المقابلات » دليلاً على الإحاطة باللغة الأجنبية ، والمقدرة فيها competence (ولا غرو فهي تنتمي إلى البناء اللغوي الذهني langue) - فإن معرفة « المعادلات » والقدرة على استعمالها دليل على المقدرة في الترجمة . وأما تحديد هذه المعادلات فيخصص له كولر خمس صفحات تقريبًا في كتابه المذكور ، ونوجز أقواله فيما يلى :

١ - التعادل التحديدي denotative equivalence وهو يتناول fear الألفاظ المحددة بغض النظر عن طبيعة النص ، أي مضمون الألفاظ المحدد (الهواء = air) ويقول إن الدارسين الآخرين يصفون ذلك بثبات المضمون content invariance و

٢ - **تعادل ظلال المعنى** connotative equivalence وهو يتعلق باختيار لفظة دون لفظة تكاد تكون مرادفة لها ، وفقًا لما يراه المترجم من هذه الظلال في النص الأصلي (المصدر) والنص المترجم (المستهدف) ، ويقول إن الآخرين يسمونه التعادل الأسلوبي stylistic equivalence (انظر مثال ترجمة الآية من سورة النساء آنفًا) و

٣ - **تعادل النصوص المعيارية** text-normative equivalence ويرتبط ذلك بأنماط النصوص ، وكيف يختلف عمل النص باختلاف نوعه ، وهو ذو صلة بالتقسيم الذي وضعته كاترينا رايس لأنماط النصوص (النص الإخباري أو التعبيري أو الداعي مثلاً) و

٤ - **التعادل التداولي** :أو « التعادل التوصيلي » وهو الموجه إلى متلقي النص أو الرسالة ، وهذا هو ما يسميه نايدا « بالتعادل الدينامي » و

٥ - **التعادل الصوري** formal equivalence وهو المتعلق بشكل النص وجمالياته ، بما في ذلك حيل التورية اللفظية word play والمعالم الأسلوبية المميزة للنص الأصلي (انظر قصيدة « الوردة العليلة » لبليك) ، وهو يشير إليه في دراسات أخرى باسم « التعادل التعبيري » ، ولكننا يجب ألا نخلط بينه وبين المصطلح الذي وضعه نايدا .

ويحدد كولر لكل جانب من جوانب التعادل المذكورة مجالاً للبحث ، فمجال بحث **التعادل التحديدي** هو دلالة الألفاظ ، ومجال بحث **تعادل ظلال المعنى** هو بحث الأبعاد الإضافية لدلالتها ، مثل المستوى اللغوي (فصحى ، معاصرة ، عامية ، إلخ) والاستعمال الجاري ، والتأثير الأسلوبي (قديمة ، حديثة ، محايدة ، إلخ) ودرجة الشيوع ، والمدى (الدلالة العامة أو الفنية أو الاصطلاحية ، إلخ) وتقدير القيمة ، وإثارة المشاعر ، ومجال بحث **تعادل النصوص المعيارية** هو اختلاف المعنى باختلاف أنماط الاستعمال وفقًا لنوع

النص وحالات التوصيل ، ومجال بحث التعادل التداولي هو تحليل ظروف التوصيل وشرائطه بين الجماعات المختلفة التي تتلقى النصين - الأصلي والمترجم - وأحوال كل جماعة وتأثير ذلك في تشكيل النص المترجم ، ومجال بحث التعادل الصوري هو تحليل إمكانات التعادل في القافية والاستعارة وبحور الشعر وغير ذلك من الجوانب الأسلوبية والشكلية للنص . وبعد أن ينتهي كولر من تفصيل القول في هذه الجوانب المتعددة للتعادل ، يشرح فائدة كل منها للمترجم ودور « نظرية الترجمة » في ذلك قائلاً :

« عند تناول النص ككل ، بل عند تناول كل جزء من أجزاء النص ، يجب على المترجم الذي يُقدم واعيًا على أي خيار من هذه الخيارات ، **أن ينشئ بناء هرميًا يحدد أولويات القيم التي عليه الحفاظ عليها في الترجمة** ، وأن ينشئ على أساس هذا البناء **هرمًا آخر لأولويات التعادل التي يتطلبها للنص** أو لأي جزء من أجزائه ، ولكن يجب أن يسبق ذلك كله **تحليل للنص من زاوية الترجمة** . ومن المهام العاجلة في نظرية الترجمة ، بل من المهام التي لم تحظ حتى الآن إلا بدراسات مبدئية فحسب ، وضع منهاجٍ وإنشاء جهاز نظري لهذا النوع من التحليل النصي ، وتجميع وترتيب مثل هذه التحليلات من حيث أنماط ملامح النص ذات العلاقة بالترجمة »

(عن الترجمة الإنجليزية الصادرة عام ١٩٨٩ بعنوان « التعادل في نظرية الترجمة » - ترجمة أ. تشسترمان في الكتاب الذي حرره بعنوان « **قراءات في نظرية الترجمة** »)

والعبارات التي يؤكدها كولر في هذه الفقرة (وطبعت هنا بالبنط الأسود الثقيل) بالغة الأهمية لكل مترجم ، أي أن على كل مترجم أن يضع لنفسه الأولويات الخاصة بكل نص ، ففي إطار هذا النص نفسه كانت أولى أولوياتي

في الترجمة هي الوضوح الكامل للمعنى ، فالنص الذي ترجمته مترجم عن الألمانية ، والألمانية لغة مولعة بالتجريد ، ومثل هذه اللغة التجريدية عسيرة في العربية ، لأننا لم نعتدها في اللغة التراثية ، ولاقتصار استعمالها في الفصحى المعاصرة على لغة العلوم الحديثة مثل السياسة والاقتصاد ، ولذلك لم أتردد في إضافة كلمة الأولويات مرتين في العبارات التي أكدها كولر ، فالنص الإنجليزي (المترجم عن الألمانية) للعبارة الأولى هو :

a hierarchy of values to be preserved in translation

وقد يترجمها مترجم آخر على هذا النحو « بناء تنازلي / تصاعدي للقيم التي لا بد من الاحتفاظ بها في الترجمة » أو قد يستعمل مترجم آخر لفظة « المراتبية » التي سمعتها أول مرة عام ١٩٧٥ ، وربما كانت لا تزال شائعة . أما « الأولويات » فهي كلمة يسيرة لن ترهق القارئ في الفهم ، وهي المعنى المقصود (الأهم فالمهم) ولم أشأ أن أحذف أي كلمة من النص الأجنبي استنادًا إلى وضوح تعبير « البناء الهرمي للأولويات » .

كانت الأولوية هنا هي الوضوح ، فالنص إخباري informative أي ينقل الكاتب فيه « معلومات » أو « أفكارًا » معينة إلى القارئ ، والتعادل الذي أنشده في ترجمة أمثال هذا النص هو النوع الأول (التعادل التحديدي) (في مقابل التعادل الصوري الذي لا يهمني) والنوع الرابع (التداولي) المرتبط بالنوع الثالث (تعادل النصوص المعيارية) (في مقابل تعادل ظلال المعنى) أي أن أولوياتي هي الأول فالرابع فالثالث فالخامس فالثاني ، بمعنى أنني - حتى إذا لم أكترث لشكل الجمل وأبنيتها (التعادل الصوري) أو إذا أهملت ظلال معنى كلمة من الكلمات (كلمة جهاز apparatus مثلاً) - فلن يخسر النص المترجم كثيرًا ، لأن أولى أولوياتي وهي تحديد المعنى المقصود قد تحققت في نظري .

ويختلف الأمر عند ترجمة قصيدة مثلاً ، ولأضرب المثال ثانيًا بقصيدة مشهورة من قالب « السونيت » ، وسوف أوردها بعد هذه المقدمة الموجزة : أولى الأولويات في ترجمة الشعر هي تحقيق الغاية الشعرية في إطار النص التعبيري طبقًا للنوع الثاني (تعادل النصوص المعيارية) ، ويتضمن ذلك التعادل الصوري (النوع الخامس) وتعادل ظلال الدلالات (النوع الثاني) وبطبيعة الحال التعادل التداولي ما دمت أوجه النص المترجم إلى قارئ العربية المعاصرة ، وأخيرًا يأتي التعادل التحديدي ! ومعنى ذلك أن الأولويات اختلفت وإن كان ذلك لا يعني نبذ أي جانب من جوانب التعادل ، ولكنه يعني أنه إذا نشأ تنازع بين أيّ من هذه « القيم » - كما يسميها كولر - حسمت الأولويات الأمر .
وهاك القصيدة التي كتبها صمويل دانيال Samuel Daniel في القرن السادس عشر :

Care-charmer sleep, son of the sable night,
Brother to death, in silent darkness born,
Relieve my languish, and restore the light,
With dark forgetting of my cares return.

And let the day be time enough to mourn
The shipwreck of my ill-adventured youth;
Let waking eyes suffice to wail their scorn,
Without the torment of the night untruth.

Cease, dreams, the images of day desires,
To model forth the passions of the morrow;
Never let rising sun approve you liars,
To add more grief to aggravate my sorrow.

Still let me sleep, embracing clouds in vain
And never wake to feel the day's disdain.

ولقد حافظت على الفصل بين الفقرات stanzas لأبين أنها تنتمي إلى النوع الإنجليزي لا الإيطالي من السونيت sonnet ، فالنوع الإنجليزي أو

الشيكسبيري يعتمد في بنائه على طرح فكرة أولية في الفقرة الأولى ، وقد تكون صورة أو خيطًا فكريًا (ثيمةً) ، وهي هنا مناشدة النوم أن يأتي لتخفيف هموم العاشق الواله ، ثم تطوير هذه الفكرة في الفقرة الثانية والفقرة الثالثة حتى يصل الشاعر إلى ذروة يجملها في « كوبليه » couplet أخير ، ولا بد في هذه الصورة الإنجليزية من اتباع نسق محدد من القافية في كل فقرة على حدة ، هو اتفاق البيت الأول مع الثالث والثاني مع الرابع ، ثم تقفية « الكوبليه » الأخير . وأما السونيت الإيطالية أو البتراركية فهي تتكون مثل النوع الشيكسبيري من ١٤ سطرًا ولكنها تنقسم إلى صدر من ثمانية أبيات octave وعجز من ستة sestet ونسق القافية فيها إذن يتبع ذلك النظام . كما تتميز هذه القصيدة بصور تقليدية للنوم قائمة على التشخيص personification وعلى بعض الصفات المركبة (في البيتين الأول والسادس) وبامتداد الجملة في حالات كثيرة على مدى سطرين أو ثلاثة ، وبأن البحر المستخدم هو الأيامب المنتظم ؛ أي الذي لا يتفاوت فيه عدد المقاطع ولا عدد المنبور منها بين الأبيات ، وبأن التنويع فيه مقصور على نوع واحد من الزحاف وهو ورود تفعيلة بحر التروكي trochee أو بحر السبوندي spondee عادة في مطلع البيت ، فهو نظم كمّي بطيء الحركة ، تكثر فيه حروف العلة الممطوطة ، ويستخدم بعض المحسنات القديمة مثل السجع المبدئي في الألفاظ alliteration وهيمنة أصوات بعض الحروف في أماكن دون غيرها .

هذا التحليل هو الخطوة الأولى التي تحدد معالم النص للمترجم ، وقد يسرع المترجم باختيار بحر ميسّر على لسان أبناء العربية وهو الخبب الحديث فيقول :

يا نوم أيّا من تقهر بالسحر الهمّا
يا ابن الليل الأسود وأخا الموت
يا من تولد في صمت الظلمات !

أقبل خفف كربي وأعد لي نور البسمات . . . إلخ

ولكن ذلك قطعًا لا يحقق التعادل الصوري المطلوب ، وفقًا لما يقوله « كولر » ، وإن كان فيه ما يقربه من القارئ العربي لإحالته الباطنة إلى قصيدة الحصري الشهيرة « يا ليلُ ! الصبُّ متى غده ؟ » فالمطلوب بحر ذو إيقاع معادل ، وقد يكون ذلك هو الرَّمَل :

أيها النوم الذي يقهر كالسحر الهموم
يا ابن ليل أسود اللون بهيم
يا أخا الموت الذي يولد في صمت الظلام
خفف الأحزان عني وانشر الضوء العميم
عد فأنسى كل كرب في دجى الليل الحميم !

وليكن طول النهار كافيًا لأندب الخراب
إذ تحطمت سفينة الشباب في وسط العباب
وليكن في الصحو ما يكفي لتبكي يا عيوني
محنة الصدّ الذي أذكى شجوني
دون تعذيب الليالي بالظنون !

ولتكفّي يا رؤى الأحلام يا صورة أشواق النهار الغارب
لا تصوغي أي أشواق الغد المأمول صوغ الكاذب
لا تضيفي أي أحزان إلى همي بزيفك
وليكن في مشرق الشمس غدًا تكذيب حيفك

ليت أن النوم يطويني دوامًا حاضنًا سحب الهباء
دون أن أصحو فألقى ما ألاقي بالنهار من عذاب الازدراء !

النص العربي إذن تعبيري (**تعادل النصوص المعياري**) ويحقق **التعادل الصوري**

في الوزن والقافية وأبنية العبارات في حدود ما تسمح به طبيعة اللغة العربية ، وينقل **ظلال الدلالات** (النوع الثاني من التعادل) نقلاً أمينًا ، بل يسرف أحيانًا في هذا ابتغاء الإيضاح ، و وفقًا للتعادل التداولي الذي يراعي تقاليد المتلقي ، وهو هنا قارئ اللغة العربية ، ثم يأتي أخيرًا **التعادل التحديدي** وهو آخر سلم الأولويات (قاعدة البناء الهرمي) فنجد أن الترجمة لا تراعي الدقة اللفظية في حالة أو حالتين ، وقد ضحى المترجم به في سبيل أولوياته التي حددها – فمثلاً « الظلام الصامت » silent darkness أصبحت « صمت الظلام » ، وتعبير embracing clouds in vain أي « أحتضن السحب عبثًا فتذهب جهودي هباءً » ، أصبحت « حاضنًا سحب الهباء » ، ولا شك أن النص لو كان إخباريًا لتوخى المترجم الدقة في إخراج الدلالات المحددة لكل لفظة ، ولكن لذلك مبحثًا آخر سنأتي إليه فيما بعد ، ولعلنا نذكر القارئ بأن هذه الترجمة الدلالية وفقًا لتعريف نيومارك « ليست ثابتة » ، ولكل جيل أن يطلب ترجمة دلالية جديدة وفقًا للذائقة الفنية السائدة ، ولمفهومه الخاص للنص الشعري أو الأدبي ، مثلما فعلنا في الوطن العربي مع شيكسبير على امتداد القرن العشرين كله ، فلكم اختلفت أولويات « التعادل » بين مطلع القرن وآخره .

ولقد ظلت فكرة « التعادل » فكرة سائدة في السبعينيات وما بعدها ، ونحن نجد أن تشسترمان Chesterman يقول في الكتاب الذي اقتطفنا منه ترجمة كولر إن « التعادل يمثل – بوضوح وجلاء – مفهومًا أساسيًا في نظرية الترجمة » (١٩٨٩ ص ٩٩) وأن « سوزان باسنيت » تخصص في كتابها المشار إليه (١٩٩١) فصلاً كاملاً لقضايا دراسات الترجمة ، يتضمن قسمًا خاصًا بما تسميه « مشكلات التعادل » . ونجد أن « منى بيكر » في كتابها « **بتعبير آخر** » (أو **بكلمات أخرى** *In Other Words* ١٩٩٢) وهو الكتاب التعليمي الذي ما زال يلقى رواجًا حتى الآن ، تقسم فصول الكتاب وفقًا لأنواع التعادل على أسس الألفاظ ، والعبارات ، والنحو ، والنص ، والتداولية وما إلى ذلك بسبيل مع

النص على أن التعادل يخضع « لتأثير شتى العوامل اللغوية والثقافية ، ومن ثم فهو يتسم بالنسبية دائمًا » (ص ٦) . ولكن موضوع « التعادل » لم يسلم من الانتقاد ، وتورد موسوعة راتلدج لدراسات الترجمة (١٩٩٧) تلخيصًا للانتقادات الموجهة إلى هذا المفهوم بقلم « د. كيني » D. Kenny وهي تدور حول الطبيعة « الدائرية » لهذا المفهوم ، « فالمفترض أن التعادل يحدد طبيعة الترجمة ، والترجمة بدورها تحدد طبيعة التعادل » (ص ٧٧) . والباحثون في المجالات غير اللغوية للترجمة أقسى من هاجموا هذا المفهوم ، وعلى رأسهم « سوزان باسنيت » في كتابها المذكور ، قائلة « إن مشكلات التحديد الدقيق لطبيعة مستوى التعادل المنشود لا تبدأ في الظهور إلا حين يبتعد المترجم عن التعادل اللغوي الوثيق » (ص ٢٥) وربما كان من أهم هذه المشكلات ما يسمى بالموازن الثالث *tertium comparationis* وذلك يعني افتراض وجود عنصر ثابت يستخدم في قياس النصين ، لاكتشاف الاختلاف بينهما ، أي أنه العنصر الثالث الذي يستعمل في الموازنة بين النصين أو أية أقسام من النصين ، وهو ثابت بمعنى أنه المعيار الخارجي للقياس ، فالنص الأصلي (المصدر) هو الموازن الأول ، والنص المترجم (المستهدف) هو الموازن الثاني ، وهذا العنصر الخارجي هو الموازن الثالث . وقد يجد المترجم المبتدئ في هذه النظرية بعض الجاذبية ، إذ ما أسرع ما يستعمل الموازن الثالث في الحكم على الترجمة ، وما أسرع ما يحكم بالخطأ على كلمة أو عبارة استنادًا إلى ذلك المعيار ، ولكن وضع هذا المعيار نفسه كان وما زال مثار خلاف كبير بين الباحثين ، وقد ذهب الجمهور إلى أنه « ذاتي » ، فهو يختلف من دارس لدارس ومن قارئ لقارئ ، وسوف نعود إليه عند مناقشة ما أسميه بالخيط الأم architranseme .

وهكذا رأينا كيف أدت نشأة علم اللغة (اللغويات) إلى تنبيه المشتغلين بالترجمة إلى مشكلات لم يكونوا يحيطون بها ، وكيف أدى هذا العلم إلى إثراء هذا المجال الجديد ، ابتداء من المصطلحين اللذين أتى بهما ياكوبسون عام

١٩٥٩ وهما « المعنى » و « التعادل » ، وكيف قام يوجين نايدا بتطوير هذين المفهومين في كتابيه اللذين يتضمنان تحليلات منهجية للمعنى ويقولان بأن هدف الترجمة هو إخراج التأثير المعادل (أو تعادل التأثير بين النصين) . وعلى الرغم من الخلاف حول إمكان تحقيق التعادل في التأثير حقّاً ، فإن إنجاز نايدا الكبير هو وضعه لأسس التفريق بين التعادل الصوري والتعادل الدينامي ، فخرج بدراسة الترجمة عن المناظرة القديمة حول الترجمة الحرفية والترجمة الحرة ، بل إنه وضع المتلقي في مركز المعادلة ، وهو ما كان له تأثيره الكبير في الدراسات التي شهدتها ألمانيا فيما بعد . ولا بد من مواصلة البحث في تأثير علم اللغة الحديث في دراسات الترجمة .

الفصل الثالث

مناهج قياس التغيير في الترجمة

أدى الاتجاه المنهجي المتبع في دراسات الترجمة من الناحية اللغوية إلى وضع مصطلحات كثيرة عرضنا لأهمها ، وهي مصطلحات تستند إلى مفاهيم متغيرة وغير ثابتة المعنى ، لا لأنها تتطور وفقًا لمكتشفات جديدة ، على نحو ما تتميز به العلوم الطبيعية ، ولكن لأن نظرات الباحثين تختلف وفقًا لخبراتهم الخاصة بالنصوص ، ولذلك وجدت صعوبة كبيرة في وضع المقابلات العربية (ولا أقول « المعادلات ») للألفاظ المستخدمة في وصف التغيير الذي يحدث عند الترجمة ، وكان المعنى العام للتغيير (وهو المضمر في مصطلح shift الذي وضعه كاتفورد عام ١٩٦٥ ويقصد به أي تغيير صغير في ترجمة النص المصدر) فاتحة لتقسيمات وتحليلات وتصنيفات كثيرة ، والتقسيم taxonomy من سمات أي علم ، فتولدت مصطلحات كثيرة تفيد التغيير وكيفية قياسه ، وسوف نعرض لأهمها هنا ، وهي :

١ - مذهب التقسيم في الكتاب الذي وضعه ڤيناي وداربلنيه عام ١٩٥٨ وترجم إلى الإنجليزية عام ١٩٩٥ بعنوان الأسلوبيات المقارنة للإنجليزية والفرنسية : منهجية للترجمة ، ونُشر منه مقتطف بعنوان « منهجية للترجمة » في كتاب ڤينوتي المذكور (٢٠٠٠) ، ويعتبر النموذج الكلاسيكي الذي امتد تأثيره على

نطاق واسع .

٢ - مذهب علم اللغة الذي وضعه كاتفورد عام ١٩٦٥ ، وقدم فيه لأول مرة مصطلح « التغيير » shift في الترجمة .

٣ - النموذج الحافل بالتفصيلات الذي وضعته كيتي فان لويفن - زفارت (١٩٨٩ و ١٩٩٠) والذي يستهدف تحليل المفهوم الأساسي للتغييرات على « المستوى الأصغر » microlevel في الترجمة وقياس آثارها على المستوى الأكبر macrolevel (والأعم) .

أعاد ڤيناي وداريلنيه النظر في كتابهما الذي نشر بالفرنسية عام ١٩٥٨ ، وتجلت ملامح « إعادة النظر » في الترجمة الإنجليزية التي نشرت عام ١٩٩٥ ، ولذلك فقد أصبحت الأخيرة هي الصورة التي نعتمد عليها لذلك الكتاب ، وإن كانت الطبعة الفرنسية قد أثرت في تفكير كثير من الدارسين الأوربيين الذين وضعوا دراسات موازية في علم الأسلوب المقارن (بين الإنجليزية والألمانية وبين الإنجليزية والإسبانية مثلاً) ، وهكذا فإن الكتاب يتضمن جوهرًا يمكن الاستفادة به خارج نطاقه المحدد (وهو مقارنة الإنجليزية بالفرنسية) . وأهم ما يسميه الباحثون « الاستراتيجيات العامة للترجمة » التي وضعها هذان الباحثان ، استراتيجيتان هما الترجمة المباشرة direct translation والترجمة غير المباشرة oblique translation ، وهما تذكراننا بالترجمة الحرفية والترجمة الحرة ، بل إن المؤلفين يستخدمان المصطلح نفسه « الحرفية » موازيًا بل مرادفًا للترجمة المباشرة . وتتضمن هاتان الاستراتيجيتان سبعة مناهج ، يخص « المباشرة » منها ثلاثة ، هي :

١ - الاقتراض borrowing وهي ما نسميه « التعريب » لدينا ، أي إدخال الكلمة الأجنبية كما هي ، ورسمها بحروف عربية ، وهو ما نلجأ إليه في تعريب العلوم الطبيعية والمصطلحات التقنية . ويجرى الاقتراض من العربية

للغات الأخرى أيضًا ، فتكتب كلمة انتفاضة بحروف لاتينية وتجري مجرى الكلمات المستعارة في اللغات الأوربية . ويطلق العلماء العرب على الألفاظ « المقترضة » مصطلح الدخيل ، وقد يدخل « الدخيل » بعد فترة في عداد الفصحى أو يظل في إطار العامية .

٢ - النقل بالمحاكاة calque : أصل المصطلح هو نقل كلمة ذات دلالة خاصة بترجمة أجزائها لوضع كلمة تحاكي المصدر ثم تكتسب معنى مستقلا ، مثل كلمة masterpiece الإنجليزية التي نترجمها بتعبير « عمل فني رائع » وجمعها « الروائع » فحسب ، فهي مبنية على الألمانية *meisterstück* ولكن المؤلفين يعنيان بالمصطلح شيئًا آخر قائلين إنه « نوع خاص من الاقتراض » (ص ٨٥ من كتاب ڤينوتي ٢٠٠٠) يُنقل فيه التعبير أو البناء عن طريق الترجمة الحرفية من اللغة المصدر إلى اللغة المستهدفة ، مثلما نفعل في العربية عندما ننقل تعبيرًا مثل « في التحليل الأخير » in the final analysis بدلا من ترجمته إلى الفصحى المعيارية بتعبير « في آخر المطاف » أو « المحصلة هي » . . إلخ . وكما نقل بعضهم تعبير « طراد الإوز البري » a wild goose chase بدلا من ترجمته إلى الفصحى المعيارية بتعبير « محاولة لا طائل من ورائها » ، وقد تصبح مثل هذه الأبنية بعد فترة من الزمن جزءًا لا يتجزأ من المصطلح اللغوي للغة المستهدفة ، وقد توحي بمعنى غير المعنى المقصود فتصبح مضللة (وهو ما يطلق عليه مصطلح « الأصدقاء الخونة » false friends .

٣ - الترجمة الحرفية literal translation (ص ٨٦ - ٨٨) من كتاب ڤينوتي (٢٠٠٠) ، وهي الترجمة التي تلتزم بالكلمات نفسها في اللغتين ، ويقول المؤلفان إنها أكثر أنواع الترجمة شيوعًا فيما بين اللغات التي تنتمي إلى العائلة اللغوية ذاتها والثقافة نفسها ، وهما يضربان لها مثالاً من الإنجليزية والفرنسية (بطبيعة الحال) وهو :

I left my spectacles on the table downstairs
J'ai laissé mes lunettes sur la table en bas

• « تركت نظارتي (عويناتي) على المنضدة في الطابق الأسفل » .

ويحبذ المؤلفان الترجمة الحرفية باعتبارها أفضل طرائق الترجمة ، قائلين إنها لا يجب التضحية بها إلا للضرورات البنائية والثقافية وبعد التأكد من أن المعنى لم تضع منه ذرة واحدة ، وهو ما يذكرنا بما قاله « نايدا » و « نيومارك » (انظر الفصل السابق) . ولكن المترجم قد يجد أن الترجمة الحرفية « غير مقبولة » في الحالات التالية :

(أ) إذا أدت إلى معنى مختلف ؛

(ب) أو لم يكن لها معنى ؛

(ج) أو كانت مستحيلة لأسباب « بنائية » ؛

(د) « أو إذا لم يكن هناك تعبير مقابل في إطار ثقافة اللغة المستهدفة » ؛

(هـ) أو إذا كانت مقابلة لشيء على مستوى لغوي مختلف .

وهكذا ينتهي ڤيناي وداربلنيه إلى أنه إذا تعذر إخراج ترجمة حرفية ، فعلى المترجم أن يلجأ إلى الترجمة غير المباشرة ، وهي تتضمن أربعة مناهج أخرى :

٤ - **الإبدال الصرفي** transposition (ڤينوتي ٢٠٠٠ - ص ٨٨) ومعناه إبدال الصورة الصرفية للكلمة في النص الأصلي (المصدر) بصورة صرفية أخرى دون تغيير المعنى وقد يكون الإبدال لازمًا أو اختياريًا ، فهو

لازم obligatory حين تقتضي أعراف اللغة المستهدفة ذلك - كترجمة التعبير الإنجليزي (as soon as she got up) بالعربي « فور استيقاظها » وبالفرنسي des son lever .

واختياري عندما تسمح أعراف اللغتين بذلك ، فقد نترجم التعبير العربي

« فور استيقاظها » بتعبير the minute she got up أو بالفرنسي dès qu'elle s'est levé أو بالتعبيرين الإنجليزي والفرنسي السالفين .

ويرى ڤيناي وداربلنيه أن الإبدال الصرفي قد يكون أكثر أنواع التغيير البنائي شيوعًا بين المترجمين ، وأنا أوافقهما على ذلك - استنادًا إلى خبرتي الشخصية - وقد سبق لي أن ضربت المثل ببعض نماذج من الترجمات التي قرأتها أو قمت بها ، والمثل الذي يحضرني هو قول إبليس بعد سقوطه (في **الفردوس المفقود**) :

Better to rule in hell than serve in heav'n

إذ ترجمتها بالإبدال الصرفي قائلاً :

سيد في جهنم خير من عبد في الجنة

إذ تحول الفعل (في صيغة المصدر الإنجليزية) إلى اسم بالعربية ، ولم يكن ذلك إبدالاً صرفيًا اختيارًا ، بل كان لازمًا بسبب المعنى الذي يريد ميلتون لإبليس أن يبلغه ، إلى جانب ما في النص العربي من محاولة إخراج « التعادل » في البناء والتأثير . ويعدد المؤلفان فئات الإبدال الصرفي ، وأظنها لا تقل عن عشر فئات ، مثل تحويل الفعل إلى اسم ، أو الحال إلى فعل وهلم جرًّا .

٥- **تغيير النظرة** modulation وهو التحول الذي يطرأ على الدلالة على وجهة النظر القائمة في النص الأصلي (المصدر) وصياغتها ، والمصطلح الأجنبي يطلق أصلاً على أي تغيير أو « تعديل » لإخراج الصورة المطلوبة في أي شيء ، ففي الموسيقى يكون بتغيير « المقام » key وفي المخاطبة بتعديل « النبر » stress أي الضغط على المقاطع accent أو رفع الصوت بها pitch أو الارتفاع بنغمتها tone ، وفي العَروض يوازي « الزحاف » بالعربية ، وفي الراديو

يوازي تغيير « الموجة » ، ولكن المؤلفين يستعملانه هنا للدلالة على تغيير في صياغة النص يؤدي إلى « ضبط النظرة » في حدود اللغة المستهدفة ، وقد يكون ذلك إلزاميًا أو اختياريًا :

فهو إلزامي حين تستدعيه طبيعة اللغة المستهدفة ، وهما يضربان المثل من ترجمة the time *when* إلى الفرنسية بتعبير *le moment où* التي تعني حرفيًا the moment where أي تغيير « حين » إلى « حيث » تبعًا لقواعد اللغة الفرنسية ، وإن كانت تبدو غير منطقية لنا ، فـ « الوقت » أو « اللحظة » تقتضي « حين » لا « حيث » ، ونحن نفعل ذلك بالعربية استنادًا إلى حدس المترجم وحده ، وانظر المثال التالي :

Playing the lute is his favourite hobby, but singing is *where* he excels.

أي : عزف العود هوايته المفضلة ، ولكنه يتفوق في الغناء .

وقد يصر البعض على ترجمة معنى where قائلين « ولكن الغناء هو مجال تفوقه » ، بل قد يقول البعض « ولكن الغناء هو حيث يتفوق » ، أي أننا أبدلنا « حيث » بحرف الجر « في » ، وانظر مثالاً آخر :

The killing of civilians in time of war is, *while* inevitable, usually condemned.

عادة ما يدين الناس قتل المدنيين في زمن الحرب وإن كان ذلك محتومًا (= على حتمية ذلك) .

أي أننا أبدلنا while بتعبير « وإن » ، فهذا هو معنى التعبير الإنجليزي وهو كما يقول المتخصصون = even though ، والطريف أن يصر البعض على ترجمة while بكلمة « بينما » ، وعندما كثر التنبيه على خطأ الاستعمال العربي لهذه الأداة في هذا الموقع ، أبدلوها بشبه جملة هي « في حين » ، بل

إن الأخيرة قد شاعت حتى كادت تكتسب معنى « وإن » ، والتعبير العربي «وهو » يفي بمعنى الحال كما هو معروف ، وقد ينقل معنى النص الإنجليزي أيضاً ، فإذا كان المثال الحالي لا يكاد يسمح باستعمال « بينما » أو « في حين » (بينما ذلك محتوم ! في حين أن ذلك محتوم !) فإنه قد يسمح باستعمال « وهو » « الحالية » .

فالواو هي « واو الحال » أو « الواو الحالية » ، ومثالها من المتنبي :

ما كنت أحسبني أحيا إلى زمن   يسيء لي فيه كلب وهو محمود

I never thought I'd live up to a time when/ A cur would wrong me *while* praising him

أي إنك إن كنت تريد الإفادة عن معنى while سواء كانت بمعنى الحال أو بمعنى الاستدراك (« وإن كان ذلك») فعليك إبدال « بينما » أو « في حين » بتعبير آخر . وتغيير النظرة قد يكون اختياريّا حين يكون من ثمار فكر المترجم (أي قراءته للنص) أو أسلوبه ، مثل اختيار المترجم أن يقول « ليس من الصعب » بدلاً من « يسهل » أو « من السهل » ، فالتعبيران ليسا مترادفين ، والعربية تقبلهما ، ولكن المترجم قد يرى أن النص الأصلي « يوحي » بالتعبير الذي اختاره أو لأنه يفضله أسلوبيّا ، ويبرره المؤلفان لسبب آخر وهو أن يكون التعبير في الترجمة الحرفية - على دقته - غير متفق كل الاتفاق مع مصطلح اللغة المستهدفة ، أو إذا رأى المترجم أنه ركيك أو قلق فيها (ڤينوتي ٢٠٠٠ - ص ٨٩) . ويؤكد ڤيناي وداربلنيه أهمية تغيير النظرة تأكيدًا شديدًا قائلين إنه المحكُّ الذي يدل على تمكّن المترجم من صنعته ، وأما الإبدال الصرفي فلا يدل إلا على إتقان اللغة المستهدفة ، في نظرهما ، وهما يقسمان تغيير النظرة على مستوى « الرسالة » إلى أقسام فرعية على النحو التالي :

تحويل المجردات إلى مجسدات
العلة والمعلول
الجزء والكل
الجزء وجزء آخر
نفي النقيض (نفي النفي)
تحويل المبني للمعلوم إلى مبني للمجهول (والعكس)
التعبير بالمكان عن الزمن
إعادة صياغة الفواصل والحدود (زمنيًا ومكانيًا)
تغيير الرمز (بما في ذلك الاستعارات الثابتة والجديدة)

وهكذا فإن الفئة الأخيرة تشمل ضروبًا منوعة - بل بالغة التنوع - من الظواهر اللغوية .

٦- **التعادل** equivalence : يستعمل ڤيناي وداربلنيه هذا المصطلح (ڤينوتي ٢٠٠٠ ص ٩٠) في الإشارة إلى الحالات التي تصف فيها اللغات المختلفة حالة معينة بوسائل أسلوبية أو بنائية مختلفة ، و « التعادل » هنا ذو فائدة كبرى في ترجمة المصطلح اللغوي مثل ترجمة upper hand باليد الطولى لا اليد العليا (فالأخيرة تتصل بالتصدق كما في الحديث الشريف) وترجمة He's high and dry بمصطلح لقد تقطعت به السبل وترجمة He got off scot-free بمصطلح أفلت من العقاب أو كتبت له السلامة (انظر كتابي *Dictionaries for the Translator*) ؛ إذن فإن المعنى المحدد للتعادل عند هذين المؤلفين يختلف عن الاستعمال النظري الشائع الذي ناقشناه في الفصل السابق.

٧- **التطويع** adaptation ومعناه تغيير الإحالة الثقافية الواردة في النص الأصلي إلى ما يقابلها في ثقافة النص المستهدف ، وقد يكون ذلك على مستوى اللفظ المفرد ، وقد يكون على مستوى مفهوم أوسع ، فالإدام بالعربية

ما يؤتدم به أي ما يُستمرأ به الخبز (كالجبن أو اللحم) ، ولكن هذا المفهوم لا معادل له ولا بد من تطويعه بإيجاد المقابل مثل « الزبد » ، فعندما يقول حافظ إبراهيم في وصف حال الفقير :

إن أصاب الرغيف من بعد كد صاح من لي بأن أصيب الإداما

قد يرى المترجم أن يحول مفهوم الإدام إلى الزبد :

Hard-winning a loaf of bread, he'd cry 'How can I get any butter to go with it ?'

ويقول المؤلفان إن الفئات السبع المذكورة لها ثلاثة مستويات ، هي مستوى الألفاظ ومستوى الأبنية (التراكيب) ومستوى الرسالة ، وهما يتوسعان في التقسيم والتصنيف ، مما لا حاجة بنا إلى تلخيصه ، لأنه في معظمه تكرار لما سبق ولو بألفاظ ومصطلحات أخرى ، ولكنهما ينتهيان إلى وضع خمس خطوات ينصحان المترجم باتخاذها عند الانتقال من النص الأصلي إلى النص المترجم ، وهي :

١ - تحديد وحدات الترجمة .

٢ - فحص النص المصدر مع تقييم المضمون الوصفي والعاطفي والفكري للوحدات .

٣ - إعادة بناء السياق غير اللغوي (metalinguistic) للرسالة .

٤ - تقييم الآثار الأسلوبية .

٥ - إعداد الترجمة وتنقيحها .

ويتبع المؤلفان الخطوات الأربع الأولى في تحليل بعض الترجمات المنشورة . وعندما يتعرضان للمسألة الأولى (وهي القضية الأساسية) يرفضان أن تكون وحدة الترجمة هي الكلمة المفردة ، بل يريان أن وحدة الترجمة تتكون من

مزيج من الوحدة اللفظية lexicological unit و « الوحدة الفكرية » unit of thought وهما يعرفانها في كتابهما (ص ٢١ من الترجمة الإنجليزية - ١٩٩٥) بأنها « أصغر شريحة من الكلام المنطوق ، ترتبط العلامات فيها بروابط تلزم المترجم بألا يترجم أيًا منها على انفراد » . والطبعة الإنجليزية تختلف عن الأصل الفرنسي (١٩٥٨) في أن المؤلفين أصبحا يعتبران هذه الوحدات « مجموعات فكرية مترابطة » ، وتسهيلاً للمقارنة يقترحان أن يضع الباحث أرقامًا مسلسلة لها ولمقابلاتها في النص المترجم ؛ حتى يمكنه إعداد جدول يضاهي النص المستهدف فيه بالأصل وحدة وحدة .

وإذا كان ڤيناي وداربلنيه لم يستخدما كلمة « التغيير » shift في مناقشة التغييرات التي تحدث في الترجمة ، فإنهما قد سبقا كاتفورد Catford إلى هذا المفهوم حتى وإن كان ينسب إليه ، لأنه هو الذي استخدم المصطلح في كتابه الصادر عام ١٩٦٥ (انظر المراجع) . وكاتفورد يتبع في كتابه المذهب الذي وضعه فيرث Firth وهاليداي Halliday من اعتبار اللغة وسيلة توصيل ، وهو يحلل اللغة باعتبارها « جهازًا » يؤدي وظيفة محددة في سياق محدد وعلى عدة مستويات ؛ منها مستوى الأصوات phonology ورسم الأصوات كتابةً graphology والنحو grammar والألفاظ lexis ، ومن خلال مراتب ranks مختلفة ، مثل الجملة ، وشبه الجملة ، ومجموعة الألفاظ ، والكلمة ، والمورفيم . . . إلخ . وهذا التقسيم هو الذي أصبح أساس الدراسة التي يطلق عليها اليوم تحليل الكلام discourse analysis في جامعاتنا ويطلق عليها البعض « تحليل الخطاب » .

وأما فيما يتعلق بالترجمة فإن كاتفورد يفرق بين التقابل الصوري formal correspondence والتعادل النصّي textual equivalence ، وهو التفريق الذي طوره كولر فيما بعد وسبقت مناقشته في الفصل السابق .

فأما التقابل الصوري فمعناه توازي موقع أي عنصر من عناصر الترجمة في اللغة المستهدفة مع موقع هذا العنصر في اللغة المصدر ، وهذا هو التعريف الذي يورده كاتفورد في صفحة ٢٧ ، وسوف أورده بالعربية والإنجليزية معًا حتى يرى القارئ كيف يلجأ هذا الكاتب إلى التعقيد لإضفاء الطابع « العلمي » على كتابته ، وربما كان ذلك التعقيد نفسه من أسباب غروب شمس نظريته - فهو تعقيد لا مبرر له . يقول كاتفورد إن التقابل الصوري ينشأ إذا وجدنا :

« فئة من (فئات تقسيم) اللغة المستهدفة (على مستوى) (الوحدة مثلاً أو الطبقة أو عناصر البناء ، إلخ) يمكن القول بأنها تشغل في « اقتصاد » اللغة المستهدفة « نفس » الموقع ، إلى أقصى حد ممكن ، الذي تشغله الفئة نفسها من (فئات تقسيم) اللغة المصدر في اللغة المصدر »

any TL category (unit, class, element of structure, etc.) which can be said to occupy, as nearly as possible, the same place in the economy of the TL as the given SL category occupies in the SL.

وقد وضعت الكلمات التي أضفتها في الترجمة العربية بين أقواس ، ابتغاء الإيضاح ، ومع ذلك فما زلت أتصور أن عبارتي الاستهلالية في هذه الفقرة أشد وضوحًا على قصرها ، وأما التعادل النصّي فهو « تعادل أي نص في اللغة المستهدفة ، أو أي جزء من هذا النص . . . مع نص من نصوص اللغة المصدر أو أي جزء من هذا النص » .

وهكذا فإن التعادل النصّي يقتصر على وجود نصين معًا - وهما المصدر والمستهدف - أي المترجم منه والمترجم إليه . وأما التعادل الصوري فهو مفهوم أعم وأشمل يقوم على « النظام » القائم بين لغتين . ويقول كاتفورد إن افتراق المفهومين when the two concepts diverge أي عدم تطابق التقابل

الصوري مع التعادل النصّي ، معناه أن « التغير » shift الخاص قد وقع ، وهو يعرف هذه التغييرات قائلاً إنها « حالات ابتعاد عن التقابل الصوري في غضون الانتقال من اللغة المصدر إلى اللغة المستهدفة » (ڤينوتي ٢٠٠٠ - ص ١٤١) .

وكاتفورد يبحث في نوعين من « التغير » ، هما تغيير المستوى وتغيير الفئة .

١ - أما تغيير المستوى level shift (ڤينوتي ٢٠٠٠ - ص ١٤١ - ١٤٣) فمعناه التعبير عن شيء بتركيب نحوي في لغة ما والتعبير عن نفس الشيء في لغة أخرى بلفظة واحدة ، كقولك بالعربية « كان حائرًا ! ماذا عساه أن يفعل ؟ » وكلمة « عسى » تترجم بتركيب نحوي في الإنجليزية :

(He was perplexed ! What *was* he to do ? / what *could* he do ?)

أو التعبير بالماضي عن شيء في لغة وبالحاضر عن نفس الشيء في لغة أخرى ﴿ مَنْ كانَ يُرِيدُ العاجِلَةَ عَجَّلْنا لَهُ فيها ما نَشاءُ لِمَن نريدُ ثُمَّ جَعَلْنا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاها مَذْمومًا مَدْحُورًا ﴾ (الإسراء - ١٨) وترجمتها في يوسف علي :

If any do wish
For the transitory things
(of this life), We readily
Grant them - such things
As we will, to such persons
As we will : in the end
Have we provided Hell
For them : they will burn
Therein, disgraced and rejected.

٢ - وأما تغييرات الفئة category shifts فهي التي تستحوذ على معظم تحليلات كاتفورد (ڤينوتي ٢٠٠٠ ص ١٤٣ - ١٤٧) وهو يقسمها إلى أربعة

أقسام فرعية ، هي :

(أ) **التغييرات البنائية structural shifts** يقول كاتفورد إن هذه أكثر ألوان التغيير شيوعًا ، وإنها تتضمن في معظم الأحوال تغييرًا في البناء النحوي . فالبناء المعهود في الإنجليزية وهو الفاعل ثم الفعل ثم المفعول (وفي الفرنسية أيضًا) ينقلب إلى أبنية أخرى في لغات أخرى ، فعبارة I like jazz الإنجليزية ، ونظيرتها الفرنسية j'aime le jazz ، تنقلب إلى مفعول به ثم فعل وفاعل في الإسبانية والإيطالية me gusta el jazz; mi piace il jazz ، وإلى فعل وفاعل ومفعول بالعربية (أحب موسيقى الجاز) .

(ب) **التغييرات في الطبقة class shifts** وتتضمن هذه تغييرات من شكل (اسم / فعل / حرف) إلى شكل آخر للكلمة ، ويضرب كاتفورد المثل بالعبارة الإنجليزية : a medical student التي تتحول في الفرنسية إلى un etudiant en médecine بتحويل الصفة إلى شبه جملة حالية ، والمعروف أننا نحولها بالعربية إلى مضاف ومضاف إليه ؛ أي إلى اسمين (طالب طب) أو (دارس للطب) (لام التقوية) .

(جـ) **تغيير الوحدة أو تغيير الرتبة unit shift or rank shifts** ومعناه أن يكون « المعادل » المترجم في اللغة المستهدفة من رتبة تختلف عن رتبته في اللغة المصدر ، والرتبة rank هنا تشير إلى الوحدات اللغوية فى بنائها التنازلي من حيث الحجم، من الجملة إلى شبه الجملة إلى مجموعة الكلمات إلى الكلمة ثم المورفيم . ولا يضرب كاتفورد أمثلة لها لأنها أوضح في رأيه من أن تحتاج إلى أمثلة ، ولكن الأمثلة لازمة ، فإذا ترجمت عبارة تتكون من صفة وموصوف مثل linguistic scholar دون تغيير في الرتبة قلت « باحثٌ لغوي » (أو حتى عالمٌ لغوي) ، ولكنك قد ترفع الرتبة بتحويل الصفة إلى شبه جملة « باحث في الدراسات اللغوية » وقد ترفعها إلى رتبة أعلى فتقول باحث

يدرس (علم) اللغة (أو « اللغة » فحسب) ، فهنا نجد جملة من فعل وفاعل (مستتر) ومفعول به ، وهي في موقع الصفة أيضًا ولكنها أعلى رتبة . والملاحظ أن الترجمة العربية تميل في النصوص العلمية الحديثة إلى الجمع بين الحفاظ على الرتبة إما عن طريق التعريب (وهو ما أسميناه الاقتراض آنفًا) أو عن طريق ترجمة المصطلحات العلمية حتى تشيع وتغنينا عن « رفع الرتبة » (وهو الذي يكون عادة بمثابة شرح أو إيضاح explicitation) وبين رفع الرتبة حين تتعذر « المحاكاة بالنقل » calque ، والمثال على ذلك من الإنجليزية هو ما ورد في نص علمي حديث ترجمته منذ عهد قريب :

Ecology is any integrated environment system : a system - based, target-oriented appoach is needed for the creation of a commercially viable wild-life conservation strategy.

« يُقصد بالنظام البيئي (الإيكولوجيا) أي نظام بيئي متكامل ، ونحن في حاجة إذن إلى منهاج قائم على هذا النظام وموجه لتحقيق أهداف محددة حتى نضع استراتيجية ناجحة تجاريًا للحفاظ على الحياة البرية (النباتات والحيوانات في بيئتها الطبيعية) » .

فهذه ترجمة تجمع بين المصطلحات العلميـة التي شاعت واتُّفق عليها ، وبين رفع رتبة « مجموعات الكلمات » إلى مراتب شبه الجملة أو العبارة المبسوطة . وقد وضعتُ بين أقواس ما قد يفضله غيري من المترجمين .

(د) التغييرات داخل النظام intra-system shifts ويقصد بها التغييرات التي تجرى عندما تشترك اللغة المصدر واللغة المستهدفة في معظم مظاهر نُظمها ، وعندما يضطر المترجم إلى اختيار ما لا تتفقان فيه في ترجمته (ڤينوتي ٢٠٠٠ ص ١٤٦) . وهو يضرب المثال لذلك بالإنجليزية والفرنسية اللتين تتفقان في نظم العَدَد وأداتي التعريف والتنكير ولكن النظامين يختلفان أحيانًا ، وهكذا فإن advice (النُّصح / النصائح) لفظة مفردة بالإنجليزية وتقابلها بالفرنسية *des*

conseils وهي جمع ، وأداة التعريف الفرنسية la في جملة Il a la jambe cassée تقابلها بالإنجليزية أداة التنكير a في جملة He has a broken leg أي « رجله مكسورة » .

ويقول « منداي » (٢٠٠١ - ص ٦١) إن كتاب كاتفورد يعتبر محاولة مهمة لتطبيق التطورات الحديثة في علم اللغة على الترجمة تطبيقًا منهجيًا ، ثم ينتقد مذهبه في تحليل « التغييرات داخل النظام » نقدًا شديدًا قائلاً إنه يخلص إلى نتائج توحي لقارئها بالمنهج العلمي (خصوصًا بسبب استخدامه النسب المئوية) ويبرر ذلك بأنه يرتبط بازدياد الاهتمام في تلك الآونة بالترجمة الآلية machine translation ، وقد انتقده « ديليل » Delisle في كتابه بالفرنسية الصادر عام ١٩٨٢ (وترجم إلى الإنجليزية عام ١٩٨٨ بعنوان الترجمة : منهج تفسيري) نقدًا شديدًا بسبب منهجه الذي يتسم بالجمود في الدرس اللغوي المقارن ، كما انتقده ر. هنري عام ١٩٨٤ (انظر المراجع) في مقال عرض فيه الكتاب وعرّض به ، وانتهى إلى أنه لم تعد له سوى أهمية تاريخية « أكاديمية » بمعنى « نظرية » وإن كان قد امتدح الفصل الأخير عن حدود قابلية الترجمة .

وإنصافًا لكاتفورد نقول إنه يؤكد في كتابه أن التعادل في الترجمة يعتمد على بعض العناصر التوصيلية مثل الوظيفة function والصلة relevance والحالة situation والثقافة culture لا على المعايير اللغوية الصورية فحسب . ولكنه يشير في صفحة ٩٤ إلى أن تحديد ما له « صلة وظيفية » في حالة من الحالات يخضع حتمًا للرأي ؛ أي يختلف باختلاف الآراء . ويقول منداي (٢٠٠١ - ص ٦٢) إن محاسن كتاب كاتفورد يمكن إجمالها في أنه وجه الاهتمام إلى الوظيفة التوصيلية للنص باللغة المصدر ، وأنه أرسى مصطلحاته على أسس المنهج الوظيفي في تحليل اللغة . ويجمل مثالب الكتاب في أن أمثلته دائمًا مخترعة invented ؛ أي موضوعة وغير مستقاة من الترجمات الفعلية ، بل إنها دائمًا ما تقدم خارج سياقاتها . والواقع أن كاتفورد لا ينظر

في أي نص كامل مطلقًا بل ولا إلى ما ترتفع « رتبته » عن رتبة الجملة المفردة .

وإذا كان كتاب كاتفورد يكتسب أهميته من تركيزه على الجانب التوصيلي ، ويفتقر إلى الجانب التعبيري ، فلقد برز في الستينيات والسبعينيات من اهتموا بالجانب التعبيري للغة ، بل وعالجوا الترجمة على مستوى النص كله ، لا على مستوى الجملة أو العبارة وحدها ، وكان في طليعة هؤلاء چيري ليڤي Jiri Levy في تشيكوسلوڤاكيا (قبل انقسامها) إذ كتب كتابًا عن الترجمة الأدبية ترجم إلى الألمانية عام ١٩٦٩ ، وهو ذو صلات حميمة بمدرسة براغ لمنهج البنيوية اللغوي ، ويركز في كتابه على البناء السطحي surface structure لنصوص أصلية ومترجمة مع الاهتمام بصفة خاصة بترجمة الشعر ، وهو يرى أن الترجمة الأدبية نشاط يتضمن جانبين ، الجانب الأول جانب « إعادة الإنتاج » reproduction والجانب الثاني جانب « العمل الخلاق » creative labour الذي يهدف إلى إحداث تأثير جمالي معادل . وهو يقدم أيضًا تقسيمًا لفئات مظاهر النص التي تتطلب معادلتها في الترجمة . وهي المعنى المحدد denotative meaning ، وظلال المعاني connotations ، والترتيب الأسلوبي stylistic arrangement ، والتركيب syntax ، والتكرار الصوتي (الإيقاع وما إليه) sound repetition (rhythm, etc. ، وأطوال حروف العلة vowel length ، والربط articulation . ويقول إن أهميتها للترجمة تتوقف على نوع / نمط النص type of text . وقد أثر هذا الكتاب في تطور نظرية الترجمة في بلده ثم في البلدان الأخرى ، إلى جانب مقالته التي سبقت الإشارة إليها وأعاد ڤينوتي نشرها عام ٢٠٠٠ ، فهي التي يقيم فيها العلائق بين « التغيير الدلالي التدريجي » للاختيارات اللغوية للمترجمين وبين نظرية الحساب الرياضي للمكسب والخسارة في اللعب أو التجارة ، وهي ما يطلق عليها game theory (بسبب علاقة كلمة game بالميسر فهي تعني ذلك فيما تعنيه) . وهكذا يرى ليڤي الذي توفي في شبابه أن ممارسة الترجمة في عالم الواقع نشاط براجماتي

قائلاً :

« إن المترجم يقرر اختيار حل من الحلول المتاحة إذا كان ذلك الحل يبشر بإحداث أقصى تأثير بأدنى جهد ممكن ، أي أنه ، استنادًا إلى حدسه وحده ، يقرر انتهاج ما يسمى باستراتيجية الأقصى بالأدنى Minimax Strategy »

(من كتاب فينوتي ٢٠٠٠ ص ١٥٦)

والغريب أن النقاد لم يهتموا بهذا المقال ، ولم ينصفه إلا ڤينوتي الذي أدرجه (في كتابه المذكور) بين مشاهير علماء الترجمة ، ولا يقدر المقال حق قدره إلا المترجم المحترف الذي يحسب حسابًا للوقت ، وهو الحساب الذي لا يأبه له « علماء » الترجمة النظرية الذين لا يدركون أن المترجم قد يقضي وقتًا طويلاً (بل أطول مما ينبغي) بحثًا عن مقابل لكلمة أو تعبير فيفقد في غضون ذلك الإحساس بالنص ، أو قد يخرج من « الحالة » اللازمة لإخراج نص متكامل . والحل الذي اقترحه ڤيناي وداربلنيه هو « العودة » إلى النص للمراجعة أو بتعبير أدق للتنقيح ، فكثيرًا ما يجد المترجم عند هذه العودة أن الكلمة التي كان يمكن أن تستهلك وقته قد جاءت «طواعية » ، ولكم خبرت ذلك بنفسي ، ففي ترجمة أبيات للشاعر وردزورث Wordsworth كنت أبحث عن كلمة تفيد النوم والغفلة معًا أو النوم وحده إذا استعصى الجمع بينهما ، وذلك في ترجمة مطلع الفقرة الخامسة من « خاطرات الخلود » وهو :

Our birth is but a sleep and a forgetting

وكتبت : ما مولد الإنسان إلا غمضةٌ – نومٌ ونسيان !

ولم أجد في كلمة «غمضة » ما يفي بالغرض ، فغيرتها إلى « رقدة » في النص المطبوع (انظر مختارات من الشعر الرومانسي الإنجليزي – القاهرة ٢٠٠٢)

وصدر الكتاب ولكن الكلمة ظلت تقلقني حتى كنت في مرحلة تنقيح حكايات من الواحات (وهي الجزء الرابع من سيرتي الذاتية واحات العمر) و وجدتني أشير إلى نفس القصيدة والمطلع ، و وجدت الكلمة المنشودة وهي « غفوة » ! فخرجت القصيدة بصياغة مختلفة في الكتاب الأخير ! وتذكرت ما قاله ليڤي في هذا الصدد وقلت إن ذلك هو التطبيق العملي لاستراتيجية « الأقصى بالأدنى » !

ويتضمن كتاب هومز Holmes المشار إليه (١٩٧٠) دراستين أخريين لكاتبين تشيكيين ، الأول هو فرانتيشيك ميكو Frantisek Miko الذي يناقش التغييرات في « التعبير » أو في « الأسلوب » في الترجمة قائلاً إن الحفاظ على الطابع التعبيري (أي أسلوب) النص الأصلي هو المقصد الأول (وربما كان المقصد الوحيد) الذي يرمي إليه المترجم (ص ٦٦) ، ويقترح ميكو تحليل الأسلوب من عدة زوايا هي ما يسميه الفعالية operativity والأيقونية iconicity (أي الصور النمطية) والذاتية subjectivity والتصنّع أو التكلف affectation والإبراز prominence والتضاد أو التقابل contrast .

والدراسة الأخرى في الكتاب المذكور للكاتب أنطون پوپوڤيتش Anton Popovic الذي يؤكد لأول مرة أهمية مفهوم التغيير في التعبير قائلاً :

> « إن تحليل التغييرات في التعبير ، إذا طبق على جميع مستويات النص ، من شأنه الكشف عن النظام العام للترجمة بعناصره السائدة والثانوية »

(ص ٨٥ من كتاب هومز)

وأقول « لأول مرة » لأن التغيير هنا يتعلق بالتعبير وهو الذي يتضمن عناصر جمالية لا تستطيع دراسة التغييرات في المظاهر النحوية أن تفصح عنها ، كما أنها تغييرات تتعلق بخلفية المترجم التعليمية والثقافية وجو عصره

ومفاهيمه السائدة ، ومن ثم فهي تكشف عن « نظام المعايير» الذي يحكم عملية الترجمة في عمل ما أو مجموعة أعمال معاصرة ، وسوف نناقش ذلك تفصيلاً فيما بعد . وعلينا ألا ننسى أن پوپوڤيتش وليڤي قد كتبا ذلك في الستينيات ، فهما من الرواد إذن في هذه « المعالجة الجمالية » للنصوص المترجمة ، ولذلك فنحن لا ندهش حين نراهما يبديان التأثر بالمقابلة القديمة بين الترجمة الحرفية والترجمة الحرة ، وكان پوپوڤيتش يعتبر أن الصراع بين الاتجاهين ناشئ من الجهود الذي يبذلها المترجم واعيًا لإخراج الصورة الجمالية الكلية للأصل إخراجًا أمينًا . وقد طور پوپوڤيتش مذهبه بعد هذه المقالة بعدة سنوات في كتاب صغير أسماه **معجم تحليل الترجمة الأدبية** (١٩٧٦) حيث يوازى بين كفاية الترجمة adequacy of translation وبين « الأمانة للأصل » و « التعادل الأسلوبي في الترجمة » ويعرِّف « التعادل الأسلوبي » في ذلك المعجم قائلاً إنه « التعادل الوظيفي للعناصر في الأصل والترجمة وهو التعادل الذي يهدف إلى التطابق التعبيري بينهما ، مع ثبات عنصر آخر وهو مطابقة المعنى في الترجمة للمعنى في الأصل » (ص ٦٣ في كتاب منداي ٢٠٠١) ، ولكننا لا نجد في كتابات ليڤي أو پوپوڤيتش أي تطبيقات لمناهجهما في تحليل النصوص المترجمة ، ولم يبدأ ذلك إلا على أيدي نايدا ونيومارك ، وقد سبق الحديث عنهما ، وعلى يدي باحثة تدعى كيتي فان لويڤن - زڤارت ، وهي من أمستردام ، وقد اتخذت نقطة انطلاقها من بعض « الفئات » التي اقترحها ڤيناي وداربلنيه ، ومن قبلهما ليڤي ، وجعلت تطبقها على التحليل الوصفي للترجمة في محاولة لوضع أسس المقارنة المنهجية ، وبناء إطار لتحليل الكلام (الخطاب) يتجاوز مستوى الجملة المفردة .

وكانت فان لويفن - زفارت قد نشرت رسالتها للدكتوراه باللغة الهولندية عام ١٩٨٤ ، ثم نشرت ملخصًا لها بالإنجليزية في مجلة تارجت *Target* في مقالين عامي ١٩٨٩ و ١٩٩٠ ، فأصبحا المرجع المعتمد لبحوثها في هذا المجال .

وهي تقول إن « النموذج » الذي وضعته في الرسالة « يقصد منه وصف الترجمات المتكاملة لنصوص القصص الخيالية » ، وهو نموذج يتكون من نموذجين فرعيين ، الأول نموذج مقارن a comparative model والثاني نموذج وصفي descriptive model . وهي تعتقد مثل پوپوفيتش أن هذين النموذجين المتكاملين يحددان الاتجاهات التي تشير إلى معايير الترجمة التي يهتدي بها المترجم . أما خصائص كل نموذج فهي كما يلي :

١ - النموذج المقارن (١٩٨٩ ص ١٥٥ - ١٧٠) يعني إجراء مقارنةٍ تفصيلية بين النص المصدر والنص المستهدف ، وتصنيف لجميع التغييرات على المستوى البنائي الصغير microstructure (في الجمل والعبارات وأشباه الجمل) ، ومنهجها هو :

تبدأ الباحثة بتقسيم قطع مختارة إلى « وحدات نصية مفيدة (أي لها معنى مفهوم) » تسمى « الخيوط » (أو الترانسيمات إن شئت) transemes ، ونحن نترجمها هنا بالخيوط لأن النسيج النصّي يتكون منها ، وإذن فالخيط النصي هو في نظرها أيّ « وحدة » لها معنى مستقل ، فجملة he quickly ran off تعتبر خيطًا ، (ترانسيم) ومقابلتها (في إحدى الترجمات لديّ) « وانطلق يعدو » (وهي ، ونقولها عرضًا ، ترجمة مقبولة ، ومترجمها ضليع له مكانته الراسخة في قلوب أبناء العربية) .

ثم تعرف الباحثة ما تعنيه بالخيط الأم architranseme وهو الجوهر الثابت للمعنى في الخيط في النص المصدر ، وهو الذي سوف يستعمل في الموازنة بين اللغتين أو ما يسمى بالموازن الثالث *tertium comparationis* (انظر الفصل السابق) ويعتبر في المثال الذي ضربناه هنا فعل « العدو » أو الجري (أو الفرار) .

وبعد ذلك تقارن الباحثة بين كل خيط على انفراد وبين الخيط الأم ، وتحدد على ضوء ذلك العلاقة بين الخيطين .

فإذا كان الخيطان يتسمان بعلاقة الترادف مع الخيط الأم انتهت الباحثة إلى أنه لم يحدث أي « تغيير » shift ، أما إذا غاب الترادف فذلك يشير إلى تغيير في الترجمة . وهي تقسم التغيير إلى ثلاث فئات رئيسية والعديد من الفئات الفرعية ، فأما الفئات الرئيسية فهي تختار لها مصطلحات سبقها غيرها إلى استعمالها بمعان مختلفة ، وكان ذلك من الصعوبات التي واجهتُها في تقريبها إلى قارئ العربية ، فكثرة المصطلحات وتضاربها في هذا العلم / المبحث الجديد قد اشتكى منها نيومارك ، ونشتكي نحن منها لأننا نسعى إلى الوضوح وتقريب أسس شتى النظريات الجديدة إلى قارئ لم يألفها بعد . وأما المصطلحات التي وضعتها « كيتي ڤان لويفن - زفارت » لهذه الفئات الثلاث فهي تغيير النظرة modulation . (انظر ڤيناي وداربلنيه - المنهج الخامس) والتعديل modification والتحوّل mutation . وهاك تعريفًا لكل من هذه الفئات وفقًا لهذه الباحثة : فأما تغيير النظرة فيعني أن أحد الخيطين يتفق مع الخيط الأم ، ويختلف الخيط الآخر معه ، إما في الدلالة أو في الأسلوب ، والمثال الذي ضربناه آنفًا وهو « انطلق يعدو » يعتبر من الشواهد على تغيير النظرة ، لأنه يحذف quickly وكان يمكن أن يبقيها ، وإن كان المترجم قد استعاض عنها بالفعل العربي الموحي بالقوة دون أن يوحي بالسرعة ، وفي التراث لا يوحي الفعل بالسرعة (انظر قصة موسى عليه السلام في سورة الكهف) .

وأما التعديل فيعني أن الخيطين - في النص الأصلى والنص المترجم - يختلفان اختلافًا شديدًا عن الخيط الأم ، دلاليًا أو أسلوبيًا أو تركيبيًا أو تداوليًا أو في عدد من هذه العناصر معًا ، ومعنى هذا أن الخيط الأم نفسه غير واضح ، حتى إذا اتفق الخيطان في عنصر من العناصر السالفة الذكر . وقد يرجع عدم وضوح الخيط إلى أسباب تتعلق بصياغة الخيط المصدر ، كأن يتسم بالغموض ، أو يشتمل على تورية ، أو يتضمن انحرافًا عن مصطلح اللغة المصدر ، وقد يتضمن الخيط المترجم هنا تعديلاً لما اعوجّ في الخيط المصدر بحيث يطمئن

الدارس إلى ما يوحي به ويضع على أساسه « الخيط الأم » ، وبهذا يستطيع الباحث أن يحكم بأن تعديلاً ما قد وقع . والمثال الذي يضربه الشراح لهذا اللون من التعديل هو خيط to take arms against في مونولوج هاملت الشهير ، في مسرحية هاملت لشيكسبير ، إذ إن الخيوط المقابلة له في الترجمات الفرنسية (انظر ست ترجمات فرنسية لهاملت Romy Heylen, *Translations, Poetics and the Stage : Six French Hamlets*) توحي بخيط أم أوحد هو « السلاح » ، وأما الخيوط في النصوص الفرنسية فتتفاوت بين « رفع السلاح » و « حمل السلاح » . ويقول الباحثون إن التعديل هنا محتوم لأن نص شيكسبير يحيل القارئ إلى عادة اسكندنافية قديمة ، وهي أن البطل المغوار حين يُهزم يعجز عن مواجهة المجتمع فينتحر بأن يحمل سلاحه كاملاً ويلقي بنفسه في البحر ، وهذا بالمناسبة هو ما أوحى به لورانس أوليڤييه عندما جعل هاملت يطل من علٍ على البحر أثناء إلقائه هذا المونولوج . إذن فإن « الخيط الأم » يرشدنا أو يساعدنا في إدراك التعديل الذي أجراه المترجمون الفرنسيون والعرب ، وقد فعلته أنا نفسي - وهذه هي الأبيات التسعة الأولى من ذلك المونولوج :

To be, or not to be : that is the question :
Whether 'tis nobler in the mind to suffer
The slings and arrows of outrageous fortune,
Or to take arms against a sea of troubles,
And by opposing end them ? To die : to sleep;
No more; and by a sleep to say we end
The heart-ache and the thousand natural shocks
That flesh is heir to, 'tis a consummation
Devoutly to be wished. To die, to sleep;
III. i. 56-64

أكون يا تُرى . . أم لا أكون ؟ هذا هو السؤال !
فهل من الأشرف للإنسان أن

يكابد السهام والنبال عندما ترمي بها أقداره الرعناء ؟
أم يحمل السلاح ثم يلقي نفسه في لجة الأهوال
فينتهي النزال بالهلاك أي بموت لا يزيد عن رقاد ؟
وبالرقاد تنتهي كما يقال أوجاع الفؤاد
وألف صدمة مما تورث الطبيعهْ
لهذه الأجساد !
نهاية ما أجدر الإنسان أن يطلبها : موت هو الرقاد !

وإذا طبقنا مبدأ التعديل هنا استنادًا إلى التفاوت بين الخيوط ، فسوف نتوقف عند المطلع (إذا كان الخيط الأم هو « الوجود ») وعند السطر الرابع ، فالتعبير الإنجليزي a sea of troubles يعنى البحر الهائج (انظر حواشي الجزء الرابع من الفردوس المفقود - ٢٠٠٢) . ولكن الشراح قد يذهبون إلى أن الخيط الأم هو « البحر » فيجدون اختلافًا بين الخيوط جميعًا !

وأما التحول فيحدث عند استحالة تحديد « خيط أم » مشترك بين الخيط المصدر والخيط المستهدف ، إما بسبب كثرة الإضافات أو الحذف أو ما تسميه الباحثة « بالتغيير الجذري في المعنى » . وأظن ذلك هو ما نصفه في العربية بالابتعاد عن النص ، فالتحويل الذي يخرج عن « الأصل » كثيرًا ليس من مناهج الترجمة المقبولة مهما تكن دوافعه ، ونحن نثبت فحسب ما قالته الباحثة .

وتقول الباحثة إن تحديد التغييرات على هذا المستوى « البنائي الصغير » وتصنيفها ، يتلوه إحصاء لعدد تواتر كل فئة ، وإصدار حكم على التأثير التراكمي باستخدام نموذج وصفي على النحو التالي :

٢- النموذج الوصفي the descriptive model هو نموذج للبناء الكبير macrostructure ويهدف إلى تحليل الأدب المترجم ، وهو يستند إلى مفاهيم

مستقاة من علم السرد narratology وعلم الأسلوب (ليتش وشورت ١٩٨١) Leech and Short ، ويحاول أن ينسج معًا خيوط المفاهيم الخاصة « بمستوى الكلام » (الخطاب discourse level) ومعناها التعبير اللغوي عن العالم الخيالي ، وأن يمزج بينها وبين المفاهيم الخاصة « بمستوى القصة » story level ومعناها سرد الأحداث في النص ، بما في ذلك وجهة نظر السرد ، والنظر إلى ثلاث وظائف رئيسية metafunctions للغة (فيما بين الأشخاص interpersonal وخاصة بالأفكار ideational ونصية textual) . وهي تدعم ما تقول بخرائط معقدة (في المقالة الثانية - ١٩٩٠) لا سبيل إلى إيرادها هنا ، بل سنكتفي بمثال توضيحي واحد من ترجمة عربية جميلة لإحدى القصص الإنجليزية :

[He] bore no grudge against anybody, nor ever felt he hated a single person; he rather disliked to see what had become of him. It was nobody's fault that he lost all his possessions, and he knew it to be an inevitable outcome of a certain social transformation. This was behind the behaviour of those people; they were, like him, victims of transformations attributable only to fate. It was this consciousness that helped him reach peace with all about him.

لم يكن يحمل في نفسه حقدًا على أحد ، ولم يكن يكنُّ ضغينة لمخلوق ، بل كان يكره فحسب ما آل إليه حاله ، دون أن يحمّل أحدًا إثم ما حدث ، فهو يعلم أن فقدانه الثروة كان نتيجة محتومة لتحوّل ما في المجتمع ، وأن ذلك التحول هو الذي جعل الناس تسلك هذا السبيل ، وأنهم ضحايا مثله للتحولات التي لم يستطع أن ينسبها إلا إلى الأقدار ، وكان في هذا الوعي مرساة الطمأنينة التي أحس بها إلى من حوله .

أهم ما يمكن رصده وفقًا لخريطة « لويفن - زفارت » المشار إليها هو التحولات الطفيفة slight shifts في وجهة النظر ، فالجملة الثانية مقدمة من وجهة نظر « البطل » دون التصريح بذلك ، وإن كانت بقيتها (الجملة التي تلي

الفاصلة المنقوطة) تؤكد ذلك ، وكان يمكن للمترجم أن ينقلها كما هي ، مع إضافة « قال في نفسه » مثلاً ، لكنه حوّل العبارة المباشرة إلى تعبير غير مباشر reported speech ، وهذا مألوف في العربية مثلما هو مألوف في الإنجليزية ، ويتبدى تأثير ذلك بوضوح أكبر في الجملة الثالثة التي لا تتضمن في الانجليزية أي إشارة إلى أنها من وجهة نظره ، وإن كنا واثقين بذلك ، واستخدام التعبير غير المباشر indirect speech بعطفها على الجملة العربية السابقة يتضمن تحويلاً طفيفًا في وجهة النظر أو في التعبير عن وجهة النظر ، إذ يجعل العبارات العربية الثلاث المبدوءة بالحرف « أن » مرتبطة بالفعل يعلم ، وفي هذا « تفسير » للمعنى الكامن في النص الإنجليزي ، وإن لم يكن تفسيرًا خاطئًا ، ولكن كل هذه التعديلات الطفيفة ، في رأي لويڤن-زفارت ، تغير من التأثير العام للنص ، وهي تؤكد صحة ما انتهت إليه في بحوثها التي استعانت فيها بطلاب الدراسات العليا من أن كثيرًا من الترجمات الأدبية الحديثة موجهة للقارئ ؛ بمعنى أنها تراعى أولاً تقبّل القارئ للترجمة ، بل تسعى إليه جاهدة ، وهي تصفها بأنها « موجهة إلى اللغة المستهدفة » TT - oriented . ويقول منداي (٢٠٠١ ص ٦٥) إن هذه الخطوة التي خطتها « لويڤن - زفارت » « بإقامة علاقة بين نتائج التحليل وبين مستوى أعلى من الاعتبارات النصية ، وبمحاولة تحديد المعايير المطبقة - تعني أن نموذجها يتخطى المقارنات التي تقوم أساسًا على وجهة النظر اللغوية ، وهي التي اتسم بها عمل (ڤيناي وداربلنيه) وعمل (كاتفورد) . وهذا تطور مهم يرتبط بما سوف يفعله « توري » في مجال المعايير ومدى تقبل الترجمة » .

ويقدم منداي - مع ذلك - انتقادات مهمة (٢٠٠١ - ص ٦٦) لنموذج « لويڤن - زفارت » ، وهي انتقادات تتعلق بنظم التقسيم بصفة عامة ، وأولها أن النموذج المقارن بالغ التعقيد ، وهو ما تعترف به « لويڤن - زفارت » إلى حد ما ، وهناك صعوبات عملية في « تسمية » أو « تحديد » أو تقسيم أنواع

التغيير shift تقسيمًا موضوعيًا ، فهي تقدم ثماني فئات من هذا التغيير وسبعًا وثلاثين فئة فرعية ، وهي لا تتميز بوضوح عن بعضها البعض ، ولنرجع إلى المثال الذي ضربته من العربية ، تدليلاً على صحة انتقاد منداي ، فالفئة التي وضعت فيها تحليلي لاختلاف وجهة النظر فئة واسعة عريضة ، تتضمن فئات فرعية تتضمن استخدام الضمائر المختلفة ، والأفعال المختلفة ، والأسماء . . . إلخ ، ففي أي فئة فرعية يمكننا أن ندرج النوع المحدد من تغيير وجهة النظر في تلك الفقرة ؟ إن النص الإنجليزي يتضمن سبعة ضمائر him, he والنص العربي يتضمن خمسة - أربعة منها ضمائر متصلة - ولكننا لا نحسب في هذا الإحصاء الضمائر المستترة ، وهي من خصائص العربية ، فإذا حسبناها ، مهما يكن عددها ومهما يكن مكانها ، وقلنا - مثل لويفن - زفارت - إن ذكر الضمائر يساعد في تحديد وجهة النظر - وجدنا أن زيادة عددها في العربية عنه في الإنجليزية يؤكد « وجهة النظر » ، وهي نتيجة لا تنطبق على ما توصلنا إليه من فحص التراكيب أو أبنية الجمل ، وعلينا إذن أن نضع أولويات بين التغييرات الجزئية ؛ أي في البناء الجزئي microstructure ، فنرجح بعضها على البعض الآخر حتى نتوصل إلى نتائج مقنعة بخصوص البناء الكلي أو البناء الكبير macrostructure .

وينتقد منداي هذا المنهج أيضًا (٢٠٠١ - ص ٦٦) بسبب صعوبات عملية أو تطبيقية ، قائلاً إن فحص نص طويل لاستخراج التغييرات الجزئية عسير ، ويقترح حلا لها هو الاستعانة بالكمبيوتر ، والاستناد إلى الإحصاءات الإلكترونية ، ولكنني لا أعرف إذا كان الكمبيوتر قد تعلم إحصاء الضمائر المستترة ، وربما لا تزال مستترة عليه حتى الآن ! وفي ذلك تنبيه إلى أن ما يصلح للغات الأوربية قد لا يصلح في جميع الأحوال للغة العربية .

ويقدم منداي انتقادًا ثالثًا لهذا المنهج (٢٠٠١ - ص ٦٦) بسبب اعتماده

على ما أسميناه « الخيط الأم » ، فهو لا يصلح في رأيه - وهو محق - معيارًا لقياس التعادل ، على نحو ما رأينا في ترجمة مونولوج هاملت الشهير ، فهو يخضع لنفس العيب الذي يشوب استعمال الموازن الثالث *tertium comparationis* الذي سبق ذكره ، فكيف نضع « خيطًا أمًا » للسؤال الاستهلالي « أكون أم لا أكون ؟ » هل يكون ذلك استنادًا إلى أن هاملت يسأل نفسه « هل أظل حيًا أم أنتحر ؟ » أم إلى أنه يسأل سؤالاً عامًا عن الوجود والعدم ؟ إنه شخصية في مسرحية ، ويقول النقاد إننا يجب ألا نحكم على أقواله إلا في حدود تلك الشخصية في مواقفها الدرامية المحددة ، ولكن نقادًا آخرين يقرءون أشعاره كأنما هي شعر غنائي أي يعبر عن فكر الشاعر مباشرة ، ودون المرجعية الدرامية ، وعلينا إذن أن نقرر ما إذا كان « الخيط الأم » سوف يكون « الوجود أم العدم ؟ » وفقًا للتفسير الأخير ، أم سيكون « أكون أم لا أكون ؟ » فتحديد « الخيط الأم » إذن ليس معيارًا يتسم بالموضوعية اللازمة في مبحث علمي مثل « دراسات الترجمة » .

وآخر انتقاد يوجهه منداي (في الصفحة نفسها من الكتاب نفسه) يتعلق بمنهج الإحصاء نفسه ، وهو انتقاد سبقه إليه « راجوف » Rugoff في كتابه عن الصور الشعرية عند جون دَنْ ، إذ انتقد مذهب « كارولاين سبيرچون » Caroline Spurgeon في عدّ مصادر الصور الشعرية وإحصائها وتقسيمها والخلوص منها بنتائج عن الشاعر . فالعدّ والإحصاء يوازي بين الصورة المهيمنة dominant images وبين غيرها ، وقد تكون الصورة « مهيمنة » إما بسبب « موقعها » أو بسبب تأثيرها غير المباشر في غيرها ، ولقد تكرر هذا الهجوم على المنهج الإحصائي المتبع في علم الأسلوب عدة مرات ، بدأت بهجوم « فيش » Fish عام ١٩٨١ في دراسة نشرت في كتاب بعنوان مقالات في علم الأسلوب الحديث من تحرير Freeman ثم بهجوم ڤيلي فان بير Willie

van Peer بعنوان « الدراسات الكمية للأدب » نشرت في مجلة الحاسوبات والإنسانيات عام ١٩٨٩ ، وها هو منداي في كتابه (٢٠٠١) يكرر الهجوم نفسه ويطالب بوضع نقد تحليلي أو ما يسميه « بالتحليل النقدي لتأثير التغييرات الجزئية أو الصغرى microshifts في تحقيق الحالة التوصيلية والبناء السردي » (ص ٦٦) .

الفصل الرابع
نظريات الترجمة الوظيفية

بعد ما شهدته الخمسينيات والستينيات من محاولات لوضع تقسيمات تفصيلية للتغييرات اللغوية الصغيرة ، التي أطلق عليها « كاتفورد » مصطلح shifts بين النص المصدر والنص المستهدف ، والتي استند إليها « ڤيناي وداربلنيه » في وضع « نموذجهما » الذي أثر في العديد من دارسي الترجمة فيما بعد ، جاءت « لويفن - زفارت » « بنموذج » آخر - وهو نموذج لغوي يتسم بالجمود static - ويعيبه ما عاب النماذج السابقة من عدم وضوح التمييز بين فئات التقسيم والاعتماد على العد والإحصاء ، وإن كانت لويفن زفارت كما رأينا قد حاولت أن ترتفع بالقياس من مستوى « التغييرات الصغرى » إلى مستوى الكلام (الخطاب) ، كما شهدت تشيكوسلوفاكيا مدخلاً آخر إلى تحليل هذه التغييرات في الستينيات والسبعينيات يوجه مزيدًا من الاهتمام إلى ترجمة الأسلوب (ليڤي ، وپوپوڤيتش ، وميكو) .

وسرعان ما تغير اتجاه البحث في السبعينيات والثمانينيات فابتعد عن حالات الأنماط اللغوية الجامدة في دراسة التغييرات الصغرى في الترجمة ، عندما نشأ وازدهر في ألمانيا المدخل الوظيفي والتوصيلي في تحليل الترجمة ، ومن أهم ملامحه الدراسات الأولى التي أجرتها كاترينا رايس Katerina

Reiss عن أنماط النصوص text types و وظائف اللغة ، ونظرية « فعل الترجمة » translation action التي جاءت بها يوستا هولتس - مانتاري - Justa Holz Mänttäri ، ونظرية الترجمة الوظيفية التي وضعها هانز فيرمير Hans J. Vermeer ، ونموذج التحليل النصي التفصيلي الذي وضعته كريستيان نورد Christiane Nord فاستمر بفضله مدخل الترجمة الوظيفية في التسعينيات .

وقد بدأت « رايس » عملها في السبعينيات بالبناء على أسس مفهوم التعادل الذي ناقشناه في الفصل الثاني ، ولكنها اتخذت النص ، بدلاً من الكلمة أو الجملة ، إطارًا لتحقيق التوصيل والتعادل ؛ أي أنها جعلت مستوى النص كله مجال عمل دارس الترجمة . (انظر دراستها المترجمة إلى الإنجليزية والتي كانت قد صدرت بالألمانية عام ١٩٧٧ في الكتاب الذي حرره تشسترمان عام ١٩٨٩ وسبقت الإشارة إليه) . ويهدف مدخلها الوظيفي بدايةً إلى « منهجة » تقييم الترجمة systematization أي إضفاء الطابع المنهجي على دراسات تقييم النصوص المترجمة ، وذلك بتقسيم النصوص إلى أنواع أو أنماط types ، وقد استعارت التقسيم الذي كان كارل بوهلر Karl Bühler قد وضعه بالألمانية عام ١٩٣٤ (وأعيد نشره عام ١٩٦٥) للفئات الثلاث لوظائف اللغة ، واستندت إليها في إقامة علاقة بين كل وظيفة منها وبين « أبعادها » اللغوية ، وبين أنماط النصوص أو الحالات التوصيلية التي تستعمل فيها . وأما الخصائص الرئيسية لكل نمط من أنماط النصوص فتلخصها « رايس » على النحو التالي (من كتاب تشسترمان ١٩٨٩ - ص ١٠٨ - ١٠٩) .

١- « التوصيل البسيط للحقائق » : مثل المعلومات ، والمعارف والآراء وما إليها ، و « البعد » اللغوي المستعمل لنقل المعلومات هو بُعد منطقي وإحاليّ ؛ إذ إن المضمون أو الموضوع content or topic هو بؤرة التركيز الأولى في التوصيل ونمط هذا النص « إخباري » informative .

٢ - « التأليف الإبداعي » : ويستعمل المؤلف فيه البعد الجمالي للّغة ،

ويحتل المؤلف أو « مرسل الرسالة » (المُرسل sender) موقعًا بارزًا ، أي يشغل مكان الصدارة foregrounded وكذلك شكل الرسالة ، ونمط هذا النص تعبيري expressive .

٣ - « طلب الاستجابة السلوكية » : تهدف وظيفة الدعوة the appellative function إلى دعوة قارئ النص أو متلقي الرسالة أو إقناعه بالقيام بعمل ما ، وشكل اللغة حِواريّ dialogic وتركيزها ينصب على الدعوة ، وتُطلق رايس على هذا النمط من النصوص مصطلح النص الداعي للعمل operative .

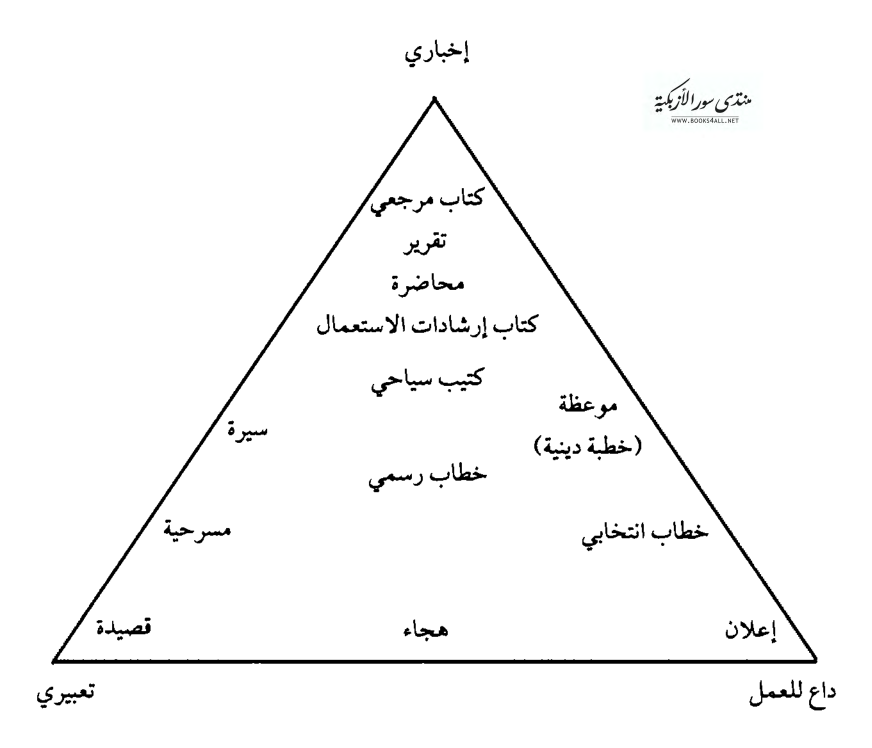
٤ - النصوص السمعية الوسائطية audiomedial مثل الأفلام والإعلانات المرئية والمسموعة ، وهي التي تضيف إلى الوظائف الثلاث الأخرى صورًا بصرية أو موسيقى وما إلى ذلك بسبيل ، وهذا هو النوع الرابع الذي أضافته رايس إلى ما استعارته من بوهلر ، ولا يورده شسترمان ، بل يشير إليه منداي (٢٠٠١ - ص ٧٣) .

وسوف نلخص ما يترتب على هذا التقسيم بالنسبة للمترجم ولطبيعة النص المترجم استنادًا إلى الجدول الذي وضعه منداي (٢٠٠١ - ص ٧٤) . فأما النص الإخباري فوظيفة اللغة فيه « إخبارية » ؛ أي تقتصر على تقديم الحقائق والأشياء ، والبعد اللغوي لها منطقي ، كما سبق أن قلنا ، والنص يركز على المضمون ، ومن ثم فيجب أن يقتصر النص المترجم على المضمون الإحالي referential content ، وأن يكون أسلوب الترجمة هو النثر البسيط مع الإيضاح التصريحي explicitation إذا اقتضى الأمر ذلك .

وأما النص التعبيري فوظيفة اللغة فيه تعبيرية ؛ أي تعبر عن موقف المُرسل ، والبعد اللغوي له جمالي ، كما سبق أن قلنا ، وتركيز النص على الشكل ، ومن ثم يجب أن يقوم النص المترجم (المستهدف) بنقل الشكل الجمالي ، وأن تتسم طريقة الترجمة بمحاكاة « منهج » النص ، واتخاذ وجهة نظر النص

المصدر أو المؤلف . وأما النص الداعي للعمل فهو تخاطبي أو حواري ويركز على ما يدعو القارئ إليه ، ويجب على المترجم من ثم أن يخرج نصًا قادرًا على تحقيق الاستجابة المنشودة ، وأن تتسمك طريقة الترجمة بالتطويع adaptive ؛ أي بالتعديل والتحوير ؛ ابتغاء تحقيق تعادل التأثير (الأثر المعادل equivalent effect) .

وسوف يرى القارئ في الصفحة المقابلة خريطة لنماذج من أنواع النصوص أو أجناسها بالألمانية *Textsorte* المرتبطة بكل نمط من أنماط النصوص التي حددتها رايس ، والتي قدمها تشسترمان في كتابه في شكل توضيحي مبسط . فإذا تأملنا هذا الشكل وجدنا أن الكتاب المرجعي هو أصدق ما يمثل النمط الإخباري من النصوص ، وأن القصيدة تمثل النص التعبيري ، فهي النمط الذي يركز على الشكل ، وأن الإعلان هو أوضح مثال للنص الداعي ؛ إذ يحاول دعوة القارئ (أو المتلقي) أو إقناعه بشراء شيء أو عمل شيء ما . وفيما بين هذه الأقطاب الثلاثة توجد مجموعة كبيرة من الأنواع الهجين من أنماط النصوص ، فالكتاب الذي يروي سيرة شخص ما يقع في مكان ما بين النمط الإخباري والنمط التعبيري ، فهو يقدم معلومات في موضوعه إلى جانب أداء الوظيفة التعبيرية (ولو إلى حد محدود) للنص الأدبي . وكذلك فإن الموعظة أو الخطبة الدينية تقدم معلومات (عن الدين) وتقوم في الوقت نفسه بتحقيق وظيفة الدعوة ، بمحاولة إقناع المستمعين باتخاذ مسلك معين في « العمل » . وعلى الرغم من وجود هذه الأنواع الهجين – أو المختلطة – فإن « رايس » تقول : إن « نقل الوظيفة المهيمنة للنص المصدر هي العامل الحاسم الذي نحكم بمقتضاه على النص المستهدف » (تشسترمان ١٩٨٩ – ص ١٠٩) وتقترح أساليب ترجمة محددة لكل نمط من أنماط النصوص ، وفقًا لما أوردناه في الفقرة قبل السابقة .



مفهوم رايس لأنماط النصوص وأنواعها (من كتاب تشسترمان ١٩٨٩ - ص ١٠٥ ، استنادًا إلى ورقة أعدها رولاند فرايهوف Roland Freihoff)

والواقع أن رايس كانت قد وضعت معايير محددة للحكم على الترجمة ومدى كفاءتها في كتاب لها صدر بالألمانية عام ١٩٧١ وصدرت ترجمته الإنجليزية عام ٢٠٠٠ من ترجمة E. F. Rhodes بعنوان نقد الترجمة : **الإمكانات والحدود** (انظر المراجع) وهي :

١ - المعايير اللغوية الداخلية intralinguistic criteria - دلالية ، ولفظية ، ونحوية وأسلوبية .

٢ - المعايير الخارجة عن اللغة extralinguistic criteria - الحال ، ومجال

الموضوع ، والزمن ، والمكان ، والمتلقي ، والمرسل ، و « الإيحاءات الشعورية » (الفكاهة ، والسخرية ، والعاطفة ، وما إلى ذلك) .

ورغم الترابط فيما بين هذه المعايير ، فإن أهميتها تتفاوت وفقًا لنمط النص ، على نحو ما قلناه بأن ترجمة أي نص يرتكز على المضمون يجب أن تهدف أولاً إلى الحفاظ على تعادل الدلالة ، ولكن « رايس » تضيف أنه إذا كان من المحتمل أن يضع مترجم النص المستهدف لنبأ من الأنباء المعايير النحوية في المرتبة الثانية ، فمن المحتمل أن يهتم مترجم الكتب العلمية الشعبية (المبسطة) بمحاكاة النص الأصلي ؛ تقريبًا لمفاهيمه من القراء . وعلى غرار ذلك تقول « رايس » إن الحفاظ على الاستعارة في الترجمة أهم في حالة النص التعبيري منه في حالة النص الإخباري المستهدف ، حيث تكفي ترجمة « القيمة الدلالية » وحدها . وهاك نماذج قصيرة لأنماط النصوص والمعايير المستعملة في الحكم عليها وفقًا لنظرية رايس ، ومدى تداخل هذه المعايير في الحكم على الترجمة :

صدرت عن الحكومة الإسرائيلية تصريحات أمس تعبر عن « غضبها » إزاء ما أسمته بالتصريحات « غير اللائقة » التي تصدر عن مصر ضد أريل شارون رئيس الوزراء الإسرائيلي ، وذكر راديو لندن أن شارون أصدر بيانًا أمس جاء فيه أن مصر تحاول التدخل في الشئون الداخلية لإسرائيل ، مشيرًا إلى الدعوات التي وجهتها القاهرة إلى خمسة من أقطاب حزب العمل الإسرائيلي لزيارة مصر .

وفي رده على التصريحات الإسرائيلية أعلن أحمد ماهر وزير الخارجية أن مصر لا تتدخل في الشئون الداخلية لإسرائيل ، وإنما تتدخل في شئون السلام ، وقال إن حزب العمل جزء من الحكومة الإسرائيلية ، وإن الذين زاروا مصر من حزب العمل هم وزيرا الدفاع والخارجية والكنيسيت .

(الأخبار ١٢/ ٨/ ٢٠٠٢)

Statements by the Israeli government yesterday expressed anger over what it called Egyptian inappropriate statements against Ariel Sharon, Israel's Prime Minister. London Radio said that Sharon made a statement yesterday in which he accused Egypt of trying to interfere in Israeli internal affairs, citing the invitations to visit Egypt, extended by Cairo to five leading Israeli Labour party members.

Responding to the Israeli statement, Egyptian Foreign Minister Ahmad Maher said that Egypt did not interfere in Israel's internal affairs but rather interfered in the affairs of peace. " The Labour Party ", he said, " is part of the Israeli government, and those who visited Egypt were two Israeli cabinet ministers - of Defence and Foreign Affairs - and *Knesset* members ".

هذا – بوضوح وجلاء – نص إخباري ، وهو يتضمن « حقائق » معينة لا بد من نقلها في النص المستهدف بأكبر قدر من الدقة ، لنقل المضمون ، وللمترجم أن يغير ما شاء من الأبنية النحوية وغيرها في سبيل إخراج الدلالة ، بل له أن يجور على الصياغة الاصطلاحية (الفصحى) idiomatic للغة المستهدفة إذا اقتضى الأمر ذلك ، فالأفضل في الإنجليزية المعاصرة أن نقول في هذا السياق described بدلاً من called والأفضل أن نقول references to بدلاً من statements against في الجملة الأولى ، والأفضل أن نقول في الجملة الثانية according to the BBC ولكن ذلك قد يعدّل من المعنى تعديلاً طفيفًا لأن ذكر لندن في الخبر له « إيحاءات » معينة سوف تضيع إن حذفنا الكلمة ، ولكن للمترجم أن يعدل – كما تقول رايس – البناء النحوي وهو ما حدث في الجملة الأخيرة التي تحولت من صيغة الحديث غير المباشر إلى صيغة الحديث المباشر ، وأضافت كلمة members إيضاحًا للمعنى إلى كلمة « الكنيسيت » الأخيرة – فهذا هو المقصود . وهكذا تدخلت بعض المعايير « الأخرى » في الحكم على

النص المستهدف أو على الترجمة . وإليك نموذجًا آخر من كتاب علمي مبسط :

We have already learnt that the stars are great spheres of incandescent gas - objects of the same general type as the sun. When we consider how much brighter the sun is than even the most brilliant star, we will naturally and correctly conclude that the stars are many times more distant from the earth than the sun is. It is possible by various methods to determine the distance of the stars with considerable accuracy.
Sidgwick, *Introducing Astronomy*, p. 85

سبق أن علمنا أن النجوم كرات ضخمة من الغاز المتوهج ؛ أي أنها تنتمي إلى النوع العام نفسه الذي ينتمي إليه الشمس . فإذا تأملنا مدى زيادة سطوع الشمس حتى عن أشد النجوم سطوعًا ، استطعنا أن نتوصل إلى نتيجة طبيعية وصحيحة ، وهي أن النجوم تبعد عن الأرض مسافة تزيد عدة مرات على بعد الشمس عنها ، ويمكننا استخدام طرق مختلفة لتحديد مدى بعد النجوم عنا بدقة كبيرة .

النص إخباري أيضًا ، ولكنه مكتوب بأسلوب مبسط لأن الكتاب موجه إلى القارئ غير المتخصص ، ولهذا كان لا بد - كما تقول « رايس » - من مراعاة الأسلوب المبسط في النقل حتى مع إيلاء الأولوية القصوى للدلالة ؛ أي أن معيارًا آخر قد طبق هنا وهو « البساطة » ، أي أنه معيار « أسلوبي » محض ، وهو يعتبر في الواقع « إضافة » إلى معيار نقل « المضمون » . ولننظر الآن إلى نماذج من النصوص التعبيرية حيث يكون المعيار الأسلوبي جزءًا لا يتجزأ من الشكل ، لا إضافة إليه ، وأصدق النصوص التعبيرية هي النصوص الشعرية ، وسوف أقدم مقطوعة قصيرة للشاعر ابن القرن العشرين روبرت جريفز Robert Graves ، اخترتها من دراسة عميقة كتبها الأديب والباحث ماهر شفيق فريد :

Since now I dare not ask
Any gift from you, or gentle task,
Or lover's promise - nor yet refuse
Whatever I can give and you dare choose -
Have pity on us both : choose well
On this sharp ridge dividing death from hell.

" The Love Poetry of Robert Graves," by M. S. Farid, in *Cairo Studies in English*, 1999.

إننا نقول إنه نص تعبيري لأنه قصيدة كتبت بالنظم والقافية ، وتعبر عن موقف شعورى ، ولا بد إذن أن تحافظ الترجمة على الوزن والقافية (إذا شئنا ترجمة صادقة) وأن تخرج الموقف الشعوري نفسه ، ولكن تأمَّل معي الصياغة الدقيقة للعبارات التي تشكل نحويًا - أي من ناحية البناء المحض - جملة واحدة ، تبدأ بأداة الشرط since وتنتهي بفعل الأمر Have وعبارة الأمر التي تتكرر بنائيًا بفعل أمر آخر هو choose ؛ أي أن السطور الستة تشكل فيما بينها بناء دقيقًا يعتبر جزءًا من الشكل الذي تنصح « رايس » بالحفاظ عليه في الترجمة ، وتأمَّل معي ما أسميته دقة الصياغة التي تذكرك بالصياغة القانونية ، بسبب تكرار التحديد في جملة الشرط وتأمَّل تتابع بدايات العبارات :

dare not - any - or - or - nor - can - can dare

ويصل الشكل إلى ذروته في العبارة الأخيرة التي لا يمكن للمترجم أن « يغير » منها شيئًا ، فالموت والجحيم هما الموت والجحيم ولا شيء سواهما ! وهذا الإحساس بالمرارة في ذلك الموقف الذي يصوره الشاعر في ذروة القصيدة لا بد أن ينقل كما هو ، ومن وجهة نظر النص الأصلي - كما تقول رايس - إلى قارئ النص المترجم . ولننظر إلى الترجمة إذن :

ما دمت لا أجرؤ أن أطلب الآن منك
هدية ولا مهمة رقيقة أو عهد حب

حتى ولا أن أحجب
ما أستطيعه مهما تجاسر اختيارك
فأشفقي على كلينا ، أحسني اختيار مطلبك
ونحن فوق حافة مسنونة تفصل بين الموت والجحيم !

ولكن مراعاة الشكل لا تقتصر على رسم الأبيات على الورق ، فقد يزيد الشاعر من عدد الأبيات نشدانًا لما تسميه « رايس » ، « بالشكل الجمالي » aesthetic form ، فهكذا فعل فيتزجرالد في ترجمته لرباعيات الخيام ؛ إذ حول كل رباعية إلى فقرة كاملة تنتمي لنظم الشعر الإنجليزي في عصره ، وقد يقتضي الشكل الجمالي إخراج الفقرة الإنجليزية المكونة من أربعة أسطر في خمسة أسطر في العربية ، على نحو ما فعلتُ في ترجمة سونيتة صمويل دانيال ، إذ لم يتيسر إخراجها في أربعة أبيات . وإذا كانت ترجمة المقطوعة السابقة لروبرت جريفز قد حافظت على عدد الأبيات فهذا ليس ملزمًا ، إذ قد يقتضي « الضغط » التعبيري في النص المصدر عددًا أكبر من الكلمات في النص المترجم (وعددًا أكبر من السطور) . وهذا مثال آخر من روبرت جريفز وجدته في مقال ماهر شفيق فريد نفسه :

With you for mast and sail and flag;
And anchor never known to drag,
Death's narrow but oppressive sea
Looks not unnavigable to me.

(المصدر السابق)

يقول ماهر شفيق فريد في دراسته المشار إليها إن القصيدة تتكون من استعارة واحدة مركبة conceit ممتدة على طول الأبيات الأربعة ، وتنتمي من ثم إلى تقاليد القرن السابع عشر (كالشعراء الميتافيزيقيين مثلاً) . وهو يقتطف رأيًا لناقد يدعى مارتن سيمور-سميث Martin Seymour-Smith يمتدح فيه

البناء التقني technical الذي وصل إلى حد الكمال ولم يبلغه شاعر آخر في اللغة الإنجليزية (ص ١١٢) . وهذا الإحكام التقني أو الإحكام في فن الصنعة البنائية هو مربط الفرس هنا ، فالمترجم مقيد بتفاصيل الصورة (الاستعارة المركبة) حتى وهو يحاول الحفاظ على الشكل الجمالي الذي يتجلى في البناء والوزن والقافية ، ويقتضي ذلك الجمع بين معيارين من معايير « رايس » هما دقة نقل الشكل (بكل عناصره) وهو الأولوية القصوى ، ودقة الصياغة التي تميز أسلوب هذا الكاتب والشاعر عن غيره . وهذه هي الترجمة العربية :

إن كنت سارية السفينّهْ
شراعها والراية الأمينّهْ
وكنت مرساة تحقق السكينهْ
فإن بحر الموت ليس شاسعًا طويلا
حتى ولو ران على النفس ثقيلا
ولا أرى الإبحار فيه مستحيلا

لقد ازداد عدد الكلمات في النص العربي عنه في النص الإنجليزي (من ٢٤ إلى ٢٨) وزاد عدد السطور من ٤ إلى ٦ ، ولكنني أظن أن الفكرة الكامنة في تفاصيل الصورة المترجمة قد خرجت في شكل جمالي معادل لشكل النص الأصلي ، وليس النظم وحده معيار الشكل ، بدليل وجود كثير من النظم بالعربية وبالإنجليزية الذي لا يرقى إلى مصافٍّ الشعر ، و وجود نثر يرقى إلى تلك المصافّ ، ولكن المترجم مضطر إلى الالتزام بالنظم إن ترجم نظمًا مهما يكن حظه من الشاعرية ، وفي هذه الحالة - كما يقول بعض نقاد « رايس » - يختلط نوعان من « أنماط النصوص » ، إذ لا يكون نصيب النص المنظوم من الشاعرية إلا الوزن والقافية ، وفي هذه الحالة لا مناص من معايير أخرى للمترجم ودارس الترجمة معًا ، وانظر معي كيف ترجمتُ أبيات الحطيئة المشهورة فخرج كل سطر في سطرين ، مع الحفاظ على الوزن والقافية :

الشعر صعب وطويل سلمه
والشعر لا يسطيعه من يظلمه
إذا ارتقى فيه الذي لا يعلمه
زلت به إلى الحضيض قدمه
يريد أن يُعربه فيعجمه !

The craft of verse is difficult,
The road to the top is long ;
No one can be a poet
If he gets the metre wrong !
If the uninitiated attempt
Ignorantly the hard ascent
They will certainly slip
And down to the bottom dip !
Trying to make it accessible
They make it incomprehensible !

وكنت أدرجت هذه « الترجمة » في كتابي *Comparative Moments* للتدليل على أنواع الزحاف المسموح بها في بحر الرجز ، واصطحبت الكتاب معي في رحلة إلى الولايات المتحدة ، وعندما قرأ بعض الأساتذة الأمريكيين هذه الأبيات قال لي إنها « هجاء جميل » a beautiful satire فعجبت لأنه لم يكن سمع عن الحطيئة ، بل ربما لن يسمع عنه فيما بقي له من العمر ، وعندما استزدته قال إن الشاعر يسخر من غيره من الشعراء ويهجوهم ، وهو يستخدم صورة شائعة تذكرك بصور ألكسندر بوب Alexander Pope (شاعر الكلاسيكية الجديدة في إنجلترا في القرن الثامن عشر ١٧٨٨ - ١٨٤٤) ، وقد أثبتتْ تلك الملاحظة الأبيات في ذهني وذكرتني بنمط « النص الهجين » الذي وضعته « رايس » في مكان وسط بين النص التعبيري والنص الداعي

فالشاعر يسخر ممن لم يتعلموا حرفة الشعر ويدعو المبتدئين إلى إحكامها ، وقلت فلأستشهد بالأبيات إن احتجت إلى « نص هجين » ! والمعايير التي نقيس بها جودة الترجمة في أمثال هذا النص قد تتطلب دراسة بعض الاعتبارات التي أشارت إليها « رايس » مثل « الإيحاءات » الكامنة في بعض العبارات ، (وأدرجتها في « المعايير الخارجة عن اللغة ») مثل الفكاهة والسخرية ، وربما يفيد المترجم أيضًا من معرفة الشاعر وحياته وسائر مذهبه الشعري .

ولكن مذهب « رايس » لم يسلم من الانتقاد ، وقد تكاثرت انتقاداتها ، وهي ملخصة في كتاب « فوسيت » Fawcett الذي صدر في عام ١٩٩٧ بعنوان « **الترجمة واللغة** » (انظر المراجع) وأهمها اقتصار تقسيم أنواع النصوص على ثلاثة ، استنادًا إلى افتراض وجود ثلاثة أنواع من الوظائف للغة ، وكأنما كانت كريستيان نورد Christiane Nord تشارك فوسيت هذا الانتقاد إذ قالت في كتابها « **الترجمة بصفتها نشاطًا هادفًا** » (١٩٩٧) إننا بحاجة إلى إضافة وظيفة رابعة للغة وهي وظيفة « إقامة الصلة » the phatic function أي إبقاء الصلة قائمة بين المتكلم والسامع ، أو بين الكاتب والقارئ (ص ٤٠) (وهي التي قال بها ياكوبسون - انظر كتابنا : « **المصطلحات الأدبية الحديثة** » الذي سبقت الإشارة إليه) . ويضيف منداي (٢٠٠١ - ص ٧٦) أخيرًا نقدًا يختص بالأسلوب المحدد للترجمة في كل نوع من أنواع النصوص ، قائلاً إن بعض النصوص الإخبارية تتضمن استعارات قد توجد في اللغات الأوربية المتقاربة ، ولا توجد في لغات أخرى ، بحيث يكون ما أوصت به « رايس » من اتباع أسلوب النثر المبسط من قبيل التعميم الذي قد لا يصلح في جميع الحالات ، فالاستعارات قد تنتمي إلى الاتجاه التعبيري ، وينتهي بالتساؤل عما إذا كنا نستطيع التمييز حقًا وبسهولة بين أنماط النصوص ، قائلاً : (ص ٧٦) :

« إن قيام النص المصدر بعدة وظائف معًا في الوقت نفسه ، واستخدام النص الواحد نفسه في عدة أغراض ، دليل على التداخل الذي لا يتفق بسهولة مع التقسيمات الواضحة التي وضعتها « رايس » . وأخيرًا فإن طريقة الترجمة المستعملة تتوقف على عوامل تزيد كثيرًا على نوع النص ، مثل دور المترجم نفسه وغرضه ، والضغوط الاجتماعية والثقافية . . . » .

ويقول « منداي » (٢٠٠١ - ٧٧) إن أهمية هذه القضية ترجع إلى الدراسات التي أجراها كل من « هولتس-مانتاري » وفيرمير في ألمانيا ، وأدت إلى نشأة نظرية فعل الترجمة translation action التي وضعتها هولتس - مانتاري ، ونظرية الترجمة الوظيفية *skopostheori* التي وضعها « فيرمير » انظر كتابنا (مرشد المترجم ٢٠٠٠) ودراسات هذين بالألمانية (أي لم تترجم إلى الإنجليزية) ، فأنا أعتمد على ما ترجمه « منداي » أو ترجمته « كريستيان نورد » أو لخصاه منها . فأما « فعل الترجمة » فيعتبر أن الترجمة تفاعل إنساني هادف موجه لتحقيق نتيجة معينة ، وأنه يركز على عملية الترجمة باعتبارها « تتركب من الرسالة والمرسل » message - transmitter compounds وهي عملية مركبة تتضمن « النقل فيما بين ثقافتين » intercultural transfer إذ تقول « هولتس-مانتاري » إن الترجمة « لا تدور حول ترجمة كلمات أو جمل أو نصوص ، ولكنها في كل حالة تدور حول توجيه التعاون المنشود عبر حواجز ثقافية ابتغاء التواصل الموجه إلى تحقيق وظائف معينة » (ترجمة منداي) . وهي تصف الترجمة فيما بين لغتين باعتبارها **فعل ترجمة** من جانب نص مصدر ، وعملية تواصل تتضمن سلسلة من الأدوار و « اللاعبين » ، على النحو التالي : هناك صاحب المبادرة أو المبادأة the initiator وهو الشركة أو الشخص الذي يحتاج إلى الترجمة ، ثم مُصدر **التكليف** the commissioner أي الفرد الذي يتصل بالمترجم لتكليفه بالترجمة ، ثم يأتي **منتج النص المصدر** the ST producer أي

الفرد (الموظف بالشركة) الذي يتولى كتابة النص المصدر ، ولا علاقة له بالضرورة بإنتاج النص المستهدف ، ثم يأتي **منتج النص المستهدف** the TT producer وهو المترجم ، وبعده يأتي **مستعمل النص المستهدف** the TT user وهو الشخص الذي يستعمل النص المترجم باعتباره من المواد التعليمية مثلاً أو من مطبوعات الدعاية للمبيعات ، وأخيرًا يأتي **مستقبل النص المستهدف** the TT receiver وهو المتلقي النهائي للنص المترجم ، مثل الطلاب في فصل دراسي من فصول « مستعمل النص المستهدف » أو الزبائن الذين يقرءون مطبوعات الترويج للسلعة .

ويعرض « منداي » للمثال الذي تضربه « هولتس-مانتاري » لتلك العملية (وهو طلب نص يشرح تعليمات خاصة بتركيب شيء ما) ، ثم ينتهي إلى القول بأن نظرية فعل الترجمة تركز تركيزاً شديدًا على إخراج نص مترجم قادر على أداء وظيفته التوصيلية إلى المتلقي ، وهذا يعني - على سبيل المثال - أن شكل ونوع form and genre النص المترجم يجب أن يهتدي وينشد ما هو مناسبٌ وظيفيّا لثقافة النص المترجم ، لا بنقل النص الأصلي فحسب . وأما ما يناسب الثقافة فيجب على المترجم نفسه أن يتولى تحديده ، فهو ينهض بدور الخبير في « فعل الترجمة » وعليه أن يتيقن أن « النقل بين الثقافتين » قد جرى على خير وجه . ويقول « منداي » : إن « هولتس - مانتاري » تستعمل مصطلح « العمليات الترجمية للنص » في وصف إنتاج النص المستهدف ، وسأورده بالإنجليزية - من ترجمة منداي عن الألمانية translational text operations - لعل في هذا تذكيرًا للقارئ بمدى ولوع الألمان بالتعقيد ، فهي تقول إن هذه العمليات تتضمن قيام المترجم بتحليل النص الأصلي من حيث بنائه و وظائف كل جزء من أجزائه ، وتصف هذه الأجزاء في إطار التقسيم القديم بين الشكل والمضمون ، فأما المضمون فتقول إنه يقوم على أسس الأبنية المنتظمة tectonics وأنه ينقسم إلى قسمين هما (أ) المعلومات الواقعية و (ب)

استراتيجية التوصيل العامة ، وأما المضمون فتقول إنه يعتمد على أسس « النسيج » texture وينقسم إلى (أ) المصطلحات و (ب) عناصر الربط والتماسك cohesive elements . وتنتهي إلى القول بأن متطلبات المتلقي هي العوامل التي تحدد ما يكون عليه النص المستهدف ، فقد يوجد مصطلح فني في النص الأصلي يتطلب إيضاحًا في الترجمة لصالح القارئ غير الملم به ، وتحقيقًا للترابط والتماسك لا بد من ترجمة كل مصطلح في النص بنفس المقابل في النص المستهدف ، حتى لا يتشتت ذهن القارئ .

ويقول « منداي » (٢٠٠١ - ص ٧٨) إن قيمة عمل « هولتس - مانتاري » ترجع إلى وضعها الترجمة (أو على الأقل الترجمة غير الأدبية الممارسة في شتى المهن - وهي المجال الذي تتحدث عنه) في سياقها الاجتماعي والثقافي ، بما في ذلك علاقة المترجم بصاحب المبادرة ؛ أي الجهة التي تحتاج إلى إجراء هذه الترجمة . وتورد موسوعة راتلدج للترجمة (١٩٩٧) عبارة لشافنر Schaffner يمتدح فيها هذه النظرية امتداحًا متوقعًا قائلاً :

> « يُعتبر مفهوم فعل الترجمة الذي جاءت به هولتس-مانتاري ذا صلة بجميع أنماط الترجمة ، كما نرى أن النظرية تتضمن الخطوط الإرشادية اللازمة لكل قرار يتخذه المترجم » (ص ٥) .

ويقول « منداي » إن توسيع الإطار ليشمل القيود القائمة في حالات الترجمة التجارية الواقعية مفيد في تحليل بعض القرارات التي يواجهها المترجم وتفهمها ، ولكن النظرية لا تخلو من المثالب ، منها تعقيد مصطلحاتها (مثل مصطلح المركبات من الرسالة والمرسل message-transmitter compounds الذي ترجمناه آنفًا بتحويل الاسم إلى الفعل ابتغاء الإيضاح ، فهو تعبير لا يُجدي في شرح حالات الترجمة العملية ، كما أنها لا تناقش الاختلافات الثقافية التي تؤثر في « الرسالة » مناقشة تفصيلية . وأما كريستان نورد فتعنى

في كتابها الأول (١٩٩١) تجاهل « هولتس - مانتاري » للنص المصدر ، قائلة (ص ٢٨) إنه إذا كانت « الوظيفية » functionality ، أي أداء النص المترجم لوظيفة النص الأصلي نفسها ، هي أهم معيار للحكم على الترجمة - فإن ذلك لا يمنح المترجم « رخصة مطلقة » ؛ أي حرية كاملة في التصرف في النص المصدر ، فلا بد من وجود علاقة ما بين النص المصدر والنص المستهدف ، وهذه العلاقة هي التي يحددها الغرض من الترجمة *skopos* .

وقد نجد نحن العرب مثالب أخرى في هذه النظرية ، ولكنها مفيدة في تفسير بعض ظواهر الترجمة إلى العربية في الهيئات والمنظمات الدولية كالأمم المتحدة و وكالاتها المتخصصة ، « فالغرض » من ترجمة وثائق هذه الهيئات هو إطلاع المندوبين العرب على آراء غيرهم المكتوبة بلغات أخرى . وقد نشأت على امتداد الأعوام الثلاثين الأخيرة لغة نمطية للترجمة تحاكي الأصول الأجنبية في كل شيء ، في البناء مثلاً وتنظيم أجزاء النص واستخدام الترقين punctuation . « فالوظيفة » أو الغرض هو إخراج صورة صادقة للنص الأجنبي ، وصاحب المبادرة هو الأمم المتحدة أو وكالتها المتخصصة ، وهي أيضًا مصدر التكليف الذي يكلف أحد المتخصصين أو مجموعة منهم بكتابة الوثيقة أو التقرير ، وهذا المتخصص هو منتج النص المصدر ، ويسمونه المصدر فحسب في الأمم المتحدة originator ، ومنتج النص المستهدف هو المترجم الذي يعمل مع المراجع أو يراجع هو بنفسه النص (أي يتولى تنقيحه) ، وأما مستعمل النص المستهدف فهو الدولة الممثلة في الأمم المتحدة ، وأما مستقبل النص المستهدف فهو مندوب تلك الدولة ، والمترجم يراعي دائمًا توقعات المندوبين عند الترجمة بالمحافظة على اتساق consistency المصطلحات دائمًا ؛ أي عدم تغيير ترجمة مصطلح ما من وثيقة لأخرى ، بل وعدم تغيير ترجمة أي كلمة شائعة من سياق لآخر لأن المندوب عادة ما يحيل الترجمة التي يعرفها للكلمة إلى أصلها الإنجليزي ، فجميع المندوبين يعرفون هذه المصطلحات والكلمات الشائعة خير

المعرفة ، بغض النظر عن مدى إلمامهم أو تعمقهم في اللغات الأجنبية ، وهكذا نرى أن أي تطويع للنص الأصلي (أي المصدر) ليتفق مع الثقافة العربية الأصيلة مستبعد ، بل يجب تطويعه ليتفق مع الثقافة الخاصة لهؤلاء المندوبين ، وهي الثقافة التي تضم المعرفة بمصطلحات اللغة الأجنبية وكلماتها الشائعة ، وإذن فإن افتراض « هولتس-مانتاري » أن المترجم دائمًا ما يرجع إلى ثقافة اللغة المستهدفة تحقيقًا للغرض من الترجمة أي لأداء وظيفة النص المترجم افتراض ناقص ، وقد ضربت أمثلة لذلك في كتابي مرشد المترجم ولا أرى داعيًا هنا لضرب المزيد من الأمثلة . والواقع أن الكثيرين من رؤساء أقسام الترجمة العربية بالأمم المتحدة و وكالاتها المتخصصة قد تنبهوا إلى ذلك كله ، ويعمل بعضهم جاهدين على التوفيق بين مرجعية الثقافة العربية الأصيلة والثقافة الخاصة للمندوبين ، ولا بأس من أن أذكر بالخير جهود الأستاذ سمير عفيفي في منظمة الأغذية والزراعة ، ورفعت لطفي في المقر الأوربي للأمم المتحدة في جنيف ، والدكتور نبيل الزهيري رئيس قسم المؤتمرات باللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا (الإسكوا) ، وهم من عملت معهم على امتداد سنوات طويلة .

والواقع أن « هولتس-مانتاري » لم تكن أول الباحثين الذين تحدثوا عن نظرية « الوظيفة » أو « الغرض » من الترجمة ، إذ سبقها « هانز ج . فيرمير » في السبعينيات باستعارة كلمة « سكوبوس » *skopos* اليونانية التي تعني الهدف aim أو الغرض purpose ، وجعلها أساسًا لنظرية أسماها « نظرية الغرض » أو ما أسميته أنا بنظرية الوظيفة *skopostheorie* أو الترجمة الوظيفية في كتابي مرشد المترجم ، وهو يقول إن تحقيق الوظيفة أو الغرض هو أساس كل ترجمة . وقد أصدر في عام ١٩٨٤ كتابًا مع « كاترينا رايس » (التي سبق أن تحدثنا عن تقسيمها لأنماط النصوص) عنوانه « وضع أساس لنظرية عامة للترجمة » ويقول فيه إن الغرض من الترجمة هو الذي يحدد طرائق و « استراتيجيات » الترجمة

الكفيلة بإخراج نص يؤدي الوظيفة المنشودة ، والنتيجة هي النص المستهدف أي المترجم والذي يطلق عليه فيرمير مصطلح *translatum* ، ومن ثم فمن المهم للمترجم أن يعرف - في إطار هذه النظرية - سبب ترجمة نص ما والوظيفة المنوطة بالنص المترجم. وسوف أورد هنا تلخيصًا لتلخيص « منداي » لذلك الكتاب (٢٠٠١ - ص ٧٩ وما بعدها) :

يقول « منداي » إن كتاب « رايس » و « فيرمير » يهدف - على نحو ما يدل عنوانه - إلى وضع نظرية عامة للترجمة يمكن تطبيقها على جميع النصوص ، والجزء الأول من الكتاب مخصص للشرح التفصيلي لنظرية « فيرمير » عن الغرض أو « الترجمة الوظيفية » ، ويضم الجزء الثاني الذي يحمل عنوان « نظريات خاصة » تطويعًا لنظرية « رايس » عن أنواع النصوص لإدراجها في النظرية العامة ، وهو يضع خمس « قواعد » لهذه النظرية العامة يجملها « منداي » فيما يلي :

١- طبيعة النص المترجم أي المستهدف *translatum* يحددها الغرض منه skopos .

٢ - يعتبر النص المستهدف « عرضًا لمعلومات » an offer of information (وهي ترجمة *informationsangebot* الألمانية) في الثقافة المستهدفة وباللغة المستهدفة بخصوص « عرض آخر للمعلومات » في ثقافة المصدر وبلغة المصدر .

٣ - لا يعتبر النص المترجم مُنْشِئًا « لعرضٍ للمعلومات » يمكن إرجاعه بوضوح إلى شيء آخر .

٤ - يجب أن يتحلى النص المستهدف بالتماسك والاتساق الداخلي .

٥ - يجب أن يكون النص المستهدف متسقًا مع النص المصدر.

٦- القواعد الخمس المذكورة آنفًا مرتبة ترتيبًا تنازليًا ؛ أي أن قاعدة

الغرض هي السائدة والمهيمنة .

وإزاء الغموض الذي يكتنف هذا الملخص ، أجد لزامًا علي أن أشرحه اهتداءً بالكتابين اللذين وضعتهما « كريستيان نورد » (بالإنجليزية) . فأما ما يعنيه « فيرمير » بتعبير « عرض المعلومات » فهو تقديم ما يسمى في علم اللغة بالمعلومات اصطلاحًا وإن كان يعني « الإخبار عن شيء » وحسب ، وكلمة « عرض » أوسع دلالة من « تقديم » لأنها تتضمن « أسلوب التقديم » ، وهكذا يمكننا أن نقول إن القاعدة الثانية تعني أن النص المترجم يخبرنا عن أشياء معينة بلغة النص المترجم وفي إطار ثقافته الخاصة ، وأن هذه الأشياء تتعلق بما ورد في النص الأصلي وفي إطار ثقافة مختلفة . وتعبير « تتعلق » ذو أهمية جوهرية ، فالمطلوب وفقًا للقاعدة الخامسة هو الاتساق فحسب بين النصين وفقًا للوظيفة أو اتفاق الغرض ، وهكذا نرى أن « فيرمير » يعهد إلى المترجم - على نحو ما تفعل « هولتس-مانتاري » - بالمهمة الرئيسية في عملية التواصل الثقافي واللغوي في إخراج النص المترجم . وأما القاعدة الثالثة فتؤكد ما ذكرناه وهو أن وظيفة النص المترجم في إطار ثقافته الخاصة لا تنطبق انطباقًا كاملاً - بالضرورة - على وظيفة النص الأصلي في ثقافته الخاصة به. و « الانطباق الكامل » هو ما يسمى « التماهي » هذه الأيام identity أي الاتفاق الكامل « للماهية » ، والماهية مصدر صناعي منحوت من « ما هو » أو « ما هي » بخلاف مصطلح quiddity أو essence الذي يعني الجوهر ، فنفي التطابق التام أو « التماهي » معناه أن معنى النص المترجم قد يقترب اقترابًا شديدًا من النص الأصلي دون أن يكون هو نفسه . ولذلك يقول « فيرمير » في القاعدة الرابعة والخامسة إن النص المترجم يجب أن يتصف بالتماسك الداخلي الذي يتيح توصيل المعنى الكامل بسهولة ، وأن هذا التماسك منبعه الاتساق . ومن الطريف أن الفعل cohere بالإنجليزية له صورتان اسميتان ، الأولى هي coherence التي قد تعني التماسك أو الاتساق ، ولذلك أصبح

استخدام الكلمة والصفة منها coherent دليلاً على وضوح الكلام ، وأما الاسم الثاني cohesion فلا يعني إلا التماسك ، ويطلق في الفيزياء على القوة التي تتماسك بفضلها جزيئات المادة ، واستخدام الصورة الأولى في نص « فيرمير » (من ترجمة « منداي ») يوحي من ثم بوجود الاتساق والتماسك معًا ، وعلى هذا ترجمت القاعدة الرابعة ، واكتفيت في الخامسة بالاتساق . والقاعدتان تتعلقان بطريقة الحكم على نجاح « النقل » في الترجمة ، فقاعدة « التماسك والاتساق » تعني تماسك النص المترجم داخليًا واتساقه في الوقت نفسه مع الغرض منه ، وهو الذي يتحدد في ضوء وظيفته عند قارئه ، وأما قاعدة الاتساق مع النص الأصلي فتعني « الأمانة » fidelity في النقل من نص إلى نص . وإليك المزيد من الإيضاح :

تعني قاعدة الاتساق عند « رايس » و « فيرمير » أن يستطيع القارئ فهم النص وتفسيره بسبب اتساقه مع حاله ، وبتعبير آخر يجب أن يترجم النص - أي نص - بطريقة تجعله مفهومًا لمن يقرؤه في حدود الظروف الخاصة للقارئ ومعارفه .

وأما قاعدة الأمانة فلا تعني أكثر من الاتساق بين النص المترجم والنص المصدر ، أو بصفة خاصة بين ما يلي :

- ما يتلقاه المترجم من « معلومات » من النص المصدر ،
- وتفسير المترجم لهذه المعلومات ،
- والمعلومات التي يقوم بتشفيرها encoding لمن يتلقى النص المستهدف .

ومع ذلك فإن ترتيب القواعد الخمسة السابقة وفقًا لأولويات « فيرمير » يعني أن الاتساق بين النص الأصلي والنص المترجم (القاعدة الخامسة) يقل في أهميته عن الاتساق الداخلي في النص المترجم (القاعدة الرابعة) ، وهو

بدوره ثانوي بالنسبة للغرض من النص المترجم أو الترجمة (القاعدة الأولى) ، كما أن خفض مكانة النص الأصلي أو « خلعه من العرش » بتعبير فيرمير dethroning – انظر « معجم مصطلحات الترجمة الوظيفية » الملحق بكتابي مرشد المترجم (القاهرة ٢٠٠٠) – يعتبر عنصرًا مشتركًا بين نظرية « فعل الترجمة » والترجمة الوظيفية أو « الغرضية » .

ومن أهم مزايا النظرية الغرضية أو الوظيفية هي أنها تسمح بإمكان ترجمة نص واحد بعدة طرق وفقًا للغرض من الترجمة و وظيفتها ، و وفقًا للمهمة التي كُلف بها المترجم . ويورد ڤينوتي في كتابه المشار إليه دراسة لفيرمير (بالإنجليزية) يقول فيها :

> تقول النظرية الغرضية إن على المترجم أن يترجم ، واعيًا وبصورة متسقة ، وفق مبدأ من المبادئ بخصوص النص المستهدف . ولا تفصح النظرية عن هذا المبدأ ، بل لا بد أن يتحدد وفقًا لكل حالة على انفراد .
>
> (من كتاب ڤينوتي – ٢٠٠٠ ص ٢٢٨)

ويضرب فيرمير المثل بورود عبارة غامضة في وصية تركها أحدهم ، فإذا كانت الترجمة لازمة لهذه الوصية ، كأن تكون ثروة المتوفى في بلد أجنبي وعُهد بتنفيذ الوصية إلى محام أجنبي ، فلا بد من ترجمتها حرفيًا ، على غموضها ، مع إضافة حاشية في الهامش تشرح أسباب الغموض أو تزيل بعضه . وأما إذا وردت الوصية في سياق عمل روائي فقد يرى المترجم أنه من الأفضل البحث عن « مثال » مختلف للغموض ، ولو كان الاختلاف طفيفًا ، بحيث « يتسق » مع اللغة المستهدفة دون الحاجة إلى حاشية في الهامش ، وحتى لا تمثل « مقاطعة » للقراءة .

وتنتمي إلى هذا الباب شتى ضروب التورية ، وهي شائعة في اللغة

الإنجليزية المعاصرة شيوعًا لافتًا ، فعندما فازت إنجلترا بكأس العالم في كرة القدم عام ١٩٦٦ وكنت في لندن آنذاك، صدرت إحدى الصحف المسائية بعنوان يقول ! England on top of the world ومعناها بالعامية الإنجليزية أن الفريق أو إنجلترا في غاية السعادة ، ولكن التورية واضحة وهي أن الفريق على القمة ، فإن ورد هذا النص في كتاب تعليمي أوردتُ المعنى الأصلي وشرحتُ التورية في الهامش ، وإن ترجمتُهُ للصحافة قلت إن الفريق في قمة السعادة ! وأذكر أنني كنت أشاهد تمثيلية في التليفزيون البريطاني تتضمن مشهدًا يُبلَّغُ فيه أحد الأشخاص بنبأ حصوله على ثروة لا بأس بها من تركة خلفها له أحد أقربائه ، فقال له من أبلغه النبأ : It's a heaven-sent opportunity ! ، فإن ورد النص في كتاب تعليمي ترجمته « إنها فرصة أتاحتها العناية الإلهية » مع هامش يشرح التورية في heaven ، وإن ورد في عمل أدبي بالعامية لقلت « أنت حظك من السما ! » دون حاجة إلى الهامش ، فالفارق طفيف بين التورية في كل من المثالين ، ولكن كل صورة من صورتي النص العربي تقتضيها « وظيفة » النص ، أو الغرض الذي يترجم النص من أجله ، وفي كل الحالات تكون للنص المترجم الأولوية ، مع « اتساق » المعنى مع معنى النص المصدر .

ويقول « فيرمير » (ڤينوتي ٢٠٠٠ – ص ٢٢٨) إن ملاءمة « فعل الترجمة » لكل حالة من الحالات يتطلب التصريح بالغرض من الترجمة أو الإيحاء به في غضون « التكليف » بالعمل ، فالذي تكلفه الأمم المتحدة بترجمة نص ما يعرف ضمنًا أن عليه الالتزام بمصطلحاتها ، وقد يكون بعضها لم يشع بعدُ في البلد العربي الذي ينتمي إليه المترجم (أو في أي مكان في الوطن العربي) ، وأن الهدف من الترجمة إتاحة ذلك النص بالعربية المعاصرة للمندوبين العرب لا لعامة القراء ، وأنه لا بد أن يلتزم بالموعد المحدد لإنجاز الترجمة ويقبل الأجر المرصود للعمل ، وهذان هما الشرطان اللذان يحددهما « فيرمير » أي (١)

الهدف goal (٢) الشروط ، وقد يكون للمترجم في هذه الحالة قبول الشروط أو رفضها ، كلها أو بعضها ، ولكن المهم في رأي « فيرمير » هو أن طبيعة النص المترجم تتحدد أساسًا في ضوء الغرض منه أو التكليف الصادر بترجمته ، (ڤينوتي ٢٠٠٠ - ص ٢٣٠) . وهكذا يحل مبدأ **الكفاية** adequacy محل مبدأ **التعادل** equivalence (انظر المعجم الموجز الملحق بمرشد المترجم ٢٠٠٠) . ويقول « منداي » إن « رايس » و « فيرمير » في كتابهما (بالألمانية) يقولان إن الكفاية أو الكفاءة *adäquatheit* تصف العلاقات بين النص المصدر والنص المستهدف باعتبار أنها من ثمار مراعاة الغرض في أثناء عملية الترجمة » (٢٠٠١ - ص ٨٠) . وبتعبير آخر لا يحقق النص المترجم الكفاية الوظيفية والتوصيلة إلا إذا حقق الغرض المحدد في « التكليف » ، وقد يصبح **التعادل** مقصورًا على الاتساق الوظيفي بين النص المصدر والنص المستهدف حينما تتفق وظيفة النصين أو الغرض الذي يسعيان إلى تحقيقه ، وإن كان الباحثان يعتبران هذه حالات استثنائية .

وتناقش « كريستيان نورد » في كتابها الأخير (١٩٩٧) مثلما يناقش « شافنر » (في موسوعة راتلدج للترجمة ١٩٩٧) بعض الانتقادات التي وجهت إلى نظرية الغرض أو نظرية الترجمة الوظيفية التي وضعها « فيرمير » وأهمها :

١ - يزعم الباحثان أن النظرية « عامة » ولكنها في الواقع لا تصلح إلا للنصوص غير الأدبية ، وأما النصوص الأدبية فهما يريان إما أنها لا ترمي إلى تحقيق غرض محدد أو أنها تتميز بأساليب أشد تعقيدًا من غيرها .

٢ - منهج « رايس » في الفصل بين أنواع النصوص أو أنماطها يعتبر منهجًا وظيفيًا ، والمنهج الذي يقوم على « نظرية الغرض » عند « فيرمير » وظيفي كذلك ، ولكنهما يتناولان ظاهرتين وظيفيتين مختلفتين ، ومن العسير الجمع بينهما في إطار نظري واحد .

٣ - « نظرية الغرض » لا تولي الاهتمام الكافي بالطبيعة اللغوية للنص الأصلي ولا إلى إعادة إخراج (نقل / ترجمة) ملامحه على المستوى الجزئي / الصغير microlevel في النص المترجم ، وهكذا فحتى لو تحقق « الغرض » بالكفاية المطلوبة ، فقد لا تتحقق فيه الكفاية على المستوى الأسلوبي أو الدلالي لشرائح بعينها من النص .

ويقول منداي (٢٠٠١ - ص ٨١) إن النظرية تعرضت لانتقادات أخرى شبيهة بالانتقادات التي وجهت إلى « هولتس-مانتاري » ، ومنها أن المصطلحات الجديدة (مثل *translatum* = العمل المترجَم) لا تضيف الكثير إلى نظرية الترجمة ما دامت لدينا مصطلحات تفي بالغاية ، ومنها أن النظرية تغفل النظر في القضايا والاختلافات الثقافية ، على أهميتها في تحديد طرائق تحقيق الغرض ، إن كان من الممكن تحقيقه أصلاً .

ولكن « فيرمير » كان قد رد على الانتقاد الأول الخاص بالأدب في دراسة نشرت بالألمانية عام ١٩٨٩ (وهي التي ترجمت إلى الإنجليزية ونشرها ڤينوتي عام ٢٠٠٠) قائلاً إن الأهداف والأغراض والوظائف والمقاصد « تُنسب إلى » attributed to الأفعال ، وهكذا فإن مترجم قصيدة ما قد تكون له أهدافه المتمثلة في نشر ترجمته *translatum* أي القصيدة ، والاحتفاظ بحقوق النشر وكسب المال مثلاً ، وقد يكون راغبًا في إبداع شيء يوجد لذاته ، وقد نضيف نحن أبناء العربية إلى هذا الرد أغراضًا ثقافية لا تتضمن الربح المادي ، بل وبعض الأغراض الفنية الخالصة مثل الاستمتاع برؤية القصيدة في ثوبها الجديد ، أو المقارنة بين النصّين لتأمل براعة المترجم في التحويل والتبديل ، مثلما كان الكلاسيكيون يقولون إن متأمل العمل الفني يجد متعة في تأمل براعة الفنان في التصوير و « المحاكاة » ! وقد تكون هناك أغراض تثقيفية أو تعليمية من وراء ترجمة الأدب ، ولكن بعض النقاد لا يرون في « الغرض »

إلا الجانب المادي !

وأما الانتقاد الثاني فلم يلق الرد المناسب من أحد ، أي : إلى أي مدى يمكن أن يحدد نوع النص طريقة الترجمة ؟ وما هي العلاقة المنطقية بين نوع النص والغرض من الترجمة ؟ وأما الانتقاد الثالث فقد تعرضت له داعية من دواعي النظرية الوظيفية - التي أومن بها - وهي « كريستيان نورد » ، في كتابيها (١٩٩١ و ١٩٩٧) وأهم ما تعرض له في الكتاب الأول - كما يدل عنوانه - هو تحليل النص من وجهة نظر الترجمة - والعنوان طويل بالإنجليزية (انظر المراجع) ، وكان الكتاب قد صدر أولاً بالألمانية في عام ١٩٨٨ ، وسبق لي أن أشرت إليه بعنوان مختصر هو **تحليل النصوص في الترجمة** (١٩٩١) .

ويتضمن هذا الكتاب منهاجًا وظيفيًا مفصّلاً يتضمن عناصر من تحليل النصوص ، وهو يفحص ما يسمى بتنظيم النص text organization إما على مستوى الجملة أو على مستوى أعلى من ذلك . وتبدأ « نورد » بالتمييز بين نوعين أو نمطين أساسيين من أنماط النصوص المترجمة وعملية الترجمة وهما الترجمة الوثائقية documentary translation والترجمة الهادفة instrumental translation ، ولما كنت قد أسهبت في كتابي مرشد المترجم (٢٠٠٠) في الحديث عن كل نوع (في المعجم الموجز في ذيل الكتاب) فسوف أقتصر هنا على تلخيص الفكرة العامة دون الاستطراد في التفاصيل ، ودون تكرار الأمثلة .

تقول كريستيان نورد إن الترجمة الوثائقية « وظيفتها تقديم وثيقة توصيل لثقافة ‹‹ مصدرية ›› بين المؤلف ومتلقي النص المصدر » ، وهو ما نراه مثلاً في الترجمة الأدبية حيث يتيح النص المترجم (المستهدف) لمن يقرؤه أن يطّلع على أفكار كاتب النص المصدر وهو يعي كل الوعي أن ما يقرؤه مترجم . وهاك مثالاً ناصعًا يوضح ما تعنيه : يقول براوننج :

Oh, to be in England
Now that April is there,
And whoever wakes in England
Sees, some morning, unaware
That the lowest boughs and the brushwood sheaf
Round the elm-tree hole are in tiny leaf,
While the chaffinch sings on the orchard bough
In England - now!

وهاك الترجمة العربية :

يا ليت أني كنت في إنجلترا
الآن إذا حل الربيع
وكل من يصحو بإنجلترا
في أي صبح بديع
ودون أن يدري يرى
أدق أفنان على الأشجار
وحزمة الهشيم حول دوحة الدردار
قد أورقت براعمًا صغار
بينا يغني طائر الحسون في البستان
على الأغصان
هناك في إنجلترا - الآن !

وتعتبر « نورد » أن ترجمة مثل هذه القصيدة وثيقة لثقافة أجنبية (وأرجو أن يُقرأ النص العربي بمراعاة همزة القطع في إنجلترا حتى يستقيم الوزن ، فهذا ما فعله أحمد شوقي :

نالت به وحده إنجلترا شرفًا   ما لم تنل بالنجوم الغرّ جوزاء)

وأن هذه الوثيقة تنقل ثقافة إنجليزية إلى القارئ العربي ، ولا أظن أن قارئًا

عربيًا مهما يكن سوف يتصور أن هذه ليست ترجمة . وسوف أرجع إلى هذه القصيدة في غضون عرضي لآراء « نورد » ، التي تحدد عدة أنواع للترجمة الوثائقية ، فمنها ترجمة كل سطر بسطر واحد interlinear translation وتعني ترجمة كل كلمة بكلمة من كلمات السطر (وقد سبق الحديث عنها في ترجمة النصوص اليونانية إلى اللاتينية - خصوصًا نص الكتاب المقدس) ، ومنها الترجمة الحرفية literal translation وهي الترجمة التي يحول فيها المترجم النص الأصلي إلى تراكيب نحوية اصطلاحية خاصة باللغة المستهدفة حتى وهو ينقل الكلمات نفسها ، وهي تسمى أحيانًا grammar translation أي ترجمة تراعي أصول الكتابة والنحو ، ومنها ما يسمى ترجمة العلماء learned translation أو حتى الترجمة الفقهية philological translation - وهي الترجمة التي تهدف إلى تقريب نص قديم إلى أذهان القراء المعاصرين بإضافة شروح للكلمات الخاصة بتاريخ اللغة المصدر أو ثقافتها في الهوامش marginalia أو الحواشي endnotes / notes أو في ثَبَتِ ألفاظ ملحق بالنص على نحو ما يفعل محققو النصوص الأصلية القديمة مثل نصوص أبي العلاء المعري أو حتى مثل نصوص شيكسبير ، ومنها الترجمة التي تؤكد الغرابة أو التغريب exoticizing أو foreignizing والمصطلح الأخير هو الذي سبق وروده في الحديث عن منهج ڤينوتي ، وسوف نعود للحديث عنه ، ويكفي أن يكون المثال عليه من ترجمة قصيدة براونتج السابقة ، فإن تحديد أنواع النباتات والطيور غير الشائعة في مصر (كم عدد من شاهدوا الحسون في مصر ؟) يوحي بالجو الأجنبي ، وإن كنت في ترجمتي - لعدم إيماني بالتغريب - قد أرفقت كلمة توضيحية بكل لفظ غير مألوف - فقلت « بينا يغني طائر الحسون في البستان » والأصح أن أقول « ويصدح الحسون في البستان » ؛ أي أن إضافة « طائر » تخفف من أثر التغريب ، وكذلك حولت « إبريل / نيسان » إلى « الربيع » ، وذلك أيضًا لكسر حدة التغريب ، فالشهر المذكور لا يعادل

الربيع عندنا مثلما يعادله عندهم ، فأنا من أنصار التقريب لا التغريب ، وهو ما سوف نناقشه فيما بعد .

٢- **الترجمة الهادفة** instrumental translation وتقول « نورد » إن « وظيفتها هي القيام بمهمة أداة مستقلة لنقل الرسالة في إطار فعل توصيلي جديد في الثقافة المستهدفة ، والقصد منها تحقيق غرضها التوصيلي دون أن يدرك المتلقي أنه يقرأ أو يسمع نصًا استعمل من قبل ، بشكل مختلف ، في سياق توصيلي مختلف » (ص ٧٣) ؛ أي أن متلقي النص المترجم يقرؤه كأنه نص أصلي كتب بلغته الأصلية ولم يترجم عن نص أجنبي .

وقد تتفق الوظيفة التي يؤديها النص المترجم مع الوظيفة التي يؤديها النص الأصلي ، وفي هذه الحالة توصف الترجمة بأنها مماثلة وظيفيًا equifunctional والمثال على ذلك ترجمة كتيب إرشادات استعمال جهاز من الأجهزة الكهربائية ، أو الكمبيوتر . وهي تشرح التماثل الوظيفي بأنه الترجمة التي تحافظ على وظيفة النص الأصلي ، أما إذا اختلفت الوظيفة وُصفت الترجمة بأنها مغايرة وظيفيًا heterofunctional . والواقع أن التماثل والتغاير في الوظيفة من المسائل النسبية التي يتعذر إصدار أحكام مطلقة بشأنها ، خصوصًا في الترجمة الأدبية ، بسبب العامل الذي يهمله معظم من كتبوا في نظرية الترجمة الحديثة ، ألا وهو قارئ النصوص الأدبية .

لقد أدى انشغال النقاد بهذا العامل في السنوات الأخيرة إلى تخصيص فرع كامل من فروع النقد الأدبي له ، وهو يسمى نقد استجابة القارئ reader-response criticism وتصدى له الأمريكي ستانلي فيش Fish من بعد الألمانيين ياوس Jauss وإيزر Iser ، وظهرت في غضون هذا الفرع تقسيمات كثيرة لأنواع « القراء » رصدتُها أو رصدت معظمها في كتابي « **المصطلحات الأدبية الحديثة** » ، وأضيف هنا كلمة بخصوص الفرق بين القارئ الأوربي

للأدب الأجنبي المترجم عن لغة أوربية وبين الأوربي الذي يقرأ أدبًا مترجمًا عن لغة غير أوربية ، فالأرجح أن يجد الأول تماثلاً في الوظيفة بين أدبه المكتوب بلغته القومية والأدب المترجم من لغة أوربية إليها ، بسبب تقارب الثقافات والمجتمعات بل واللغات ، مثل قارئ الترجمات التي أبدعها الشعراء الألمان مثل جيته لشيكسبير ، ومثل الترجمات الحديثة لمسرحية فاوست لجيته إلى الإنجليزية ، وقس على ذلك التراث الأوربي المترجم إلى الإنجليزية ، فالقارئ الإنجليزي يقرأ روايات « دستويفسكي » الروسي أو « زولا » و « فلوبير » (الفرنسيين) مثلما يقرأ روايات « ديكنز » و « هاردي » الإنجليزيين ، وهو ما تسميه « نورد » الترجمة المجانسة homologous ، ولكنه لا يجد أن الروايات المترجمة عن الصينية أو اليابانية أو العربية تؤدي الوظيفة نفسها - بمفهوم « نورد » - بسبب الاختلافات الثقافية التي تؤثر تأثيرًا واضحًا في الترجمة . وقس على ذلك الاختلاف بين القارئ العربي الذي يقرأ شعرًا مترجمًا عن إحدى اللغات الشرقية (الفارسية أو التركية أو الأوردية) وبين القارئ العربي الذي يقرأ شعرًا مترجمًا عن الإنجليزية أو غيرها من اللغات الأوربية الحديثة . ففي الحالة الأولى تقترب الترجمات من التماثل الوظيفي وفي الثانية تبتعد عنه مهما بلغت براعة المترجم . ومن الغريب أن نلحظ تفضيل الشعراء العرب (والقراء العرب) للشاعر « شلي » إبان الحركة الرومانسية العربية في الثلاثينيات على غيره من الشعراء الإنجليز الرومانسيين ، مثل « وردزورث » ، فكأنما كان القارئ العربي (حتى إزاء الأدب المترجم من لغة واحدة وفي إطار ثقافة واحدة - هي الإنجليزية) يواجه - واعيًا أو دون وعي - درجة ما من التماثل الوظيفي في شعر شلي ، ودرجة ما من المغايرة الوظيفية في شعر وردزورث ، لكن ذلك مشكوك فيه . ولقد شُغلت بالبحث في سبب ذلك في الثمانينيات وبعدها فلم أجد أنه يرجع إلى أن « شلي » يعالج موضوعات إنسانية عامة أو إلى أن « وردزورث » يعالج موضوعات فردية خاصة وإن كان

ذلك صحيحًا إلى حد كبير ، مع ما نعلمه من أن التجربة الفردية ذات الأبعاد الإنسانية أساسية عند كل الرومانسيين ، ومن أن شعر كل من الشاعرين لم يكن يؤدي الوظيفة التي يؤديها الشعر العربي التراثي أي المكتوب أصلاً باللغة القومية ؛ أي أن شعر كل منهما كان يتضمن قدرًا ما من المغايرة الوظيفية ، وقد يرجع تفسير ذلك لسبب بسيط وهو أن المترجمين العرب أخرجوا ترجمات منظومة مقفاة لشلي تحافظ على أشكال الشعر العربي التراثي (وعلى رأسهم الشاعر علي محمود طه) أو تقترب منها إلى حد كبير ، وتجاهلوا إلى حد كبير ترجمة غيره من الشعراء الرومانسيين ! فلم يكن تماثل وظيفة شعر شلي ومغايرة وظيفة شعر وردزورث هو السبب الوحيد ، إن كان ذلك حقًا من أسباب إقبال شعراء مدرسة « أبوللو » على محاكاة « شلي » . وسوف أضرب مثالاً من قصيدتين أولاهما لشلي والثانية لوردزورث للتدليل على صحة ما أقول - يقول شلي :

And what art thou ? I know, but dare not speak,
Time may interpret to his silent years;
Yet in the paleness of thy thoughtful cheek,
And in the light thine ample forehead wears,
And in thy sweetest smiles, and in thy tears,
And in thy gentle speech, a prophecy
Is whispered, to subdue my fondest fears,
And through thine eyes, even in thy soul I see
A lamp of vestal fire burning internally.

وهذه هي الترجمة (من المتقارب) :

وماذا تكونين ؟ أعرف لكن لساني سجين
فليت الزمان تولى الحديث فبدد صمت السنين
ولكنني أسمع الهمس في فكر وجنتك الشاحبة

وفي نور جبهتك العالية
وفي أعذب البسمات وفي العبرات
ورقة ألفاظك الحانية
فهمس النبوءة يطمس كل مخاوفي الساذجة
ومن كوة المقلتين أرى داخل النفس نورا
ومصباح ضوء توقد في القلب نارًا طهورا

(من مختارات من الشعر الرومانسي القاهرة – ٢٠٠٢ – ص ١٠) .

وفيما يلي أبيات للشاعر وردزورث (في « موضوع » مماثل) ولا تزيد كثيرًا في طولها :

يقول وردزورث :

She was a phantom of delight
When first she gleamed upon my sight
A lovely apparition sent,
To be a moment's ornament;
Her eyes as stars of twilight fair;
Like twilight, too, her dusky hair.
But all things else about her drawn
From May-time and the cheerful dawn
A dancing shape, an image gay;
To haunt, to startle and way-lay.

وهذه هي الترجمة (من الرَّمَل) :

كانت الطيف الذي
هلّ بالفرح عليّا
عندما لاح السنا في ناظريّا
طيف حُسْنٍ من وراء الغيب مرسل

رصع اللحظة بالدر جليّا
مقلتاها في جمال نجمتين
تسطعان في الأفق
شعرها مثل الشفق
لونه من الغسق
ما عدا ذاك لديها مستقى من الربيعِ
وابتسامة السحر
قل خيال راقص حولك
صورة ذات مراح تسكنك
فتنة قد تتربصْ . . . أو تفاجئك !
(المصدر السابق - ص ٦٠-٦١)

وأظن ظنّا أن وردزورث لو كان تُرجم ترجمةً وظيفية إلى العربية في الثلاثينيات أو قبلها لنافس شلي في مكانته في قلوب قراء الشعر الأجنبي المترجم الذي يؤدي وظيفة مغايرة إلى حد ما للوظيفة التي يؤديها الشعر العربي المكتوب أصلاً بالعربية ، وسوف نعود إلى هذا الموضوع بالتفصيل في فصل لاحق . وقضية الوظيفة من القضايا التي ينبغي أن تشغل بال كل مترجم ، ولذلك توسعت في عرض آراء أصحابها ، وها أنذا ألخص آراء « نورد » .

فالواقع أن كتاب « نورد » الأول (١٩٩١) يهدف أساسًا إلى تقديم منهج لتحليل النص المصدر يقبل التطبيق على جميع أنواع النصوص أو أنماطها ، وفي جميع حالات الترجمة على اختلافها . وهو منهج يستند إلى مفهوم وظيفي (كما سبق أن قلنا) يتيح تفهم وظيفة شتى معالم النص المصدر واختيار استراتيجيات الترجمة المناسبة لتحقيق الغرض المنشود من الترجمة ، وهذا هو ما تقوله « نورد » في الصفحة الأولى من كتابها المذكور ، وهكذا فإنها تشارك « رايس » و « فيرمير » بل و « هولتس-مانتاري » كثيرًا من آرائهم ، ولكنها

تولي اهتمامًا أكبر بجوانب النص المصدر ، ومنهجها يتضمن تحليل سلسلة معقدة من العوامل النصية الخارجية extratextual والداخلية intratextual .

وأما في كتابها الثاني (١٩٩٧) فهي تقدم صورة تتميز بالمزيد من المرونة في هذا المنهج ، فهي تضم وتجمع بين كثير من العناصر التي سبق وصفها في هذا الفصل ، وتركز على « ثلاثة جوانب للمداخل الوظيفية ذات الأهمية في تدريب المترجم » (ص ٥٩) وهي :

١ - أهمية التكليف بالترجمة commission وهي تطلق عليها تعبير مهمة الترجمة translation brief (انظر مرشد المترجم ص ٢٩٠) .

٢ - دور تحليل النص المصدر .

٣ - هرم الأوليات الوظيفية لمشكلات الترجمة .

وسوف نفصل القول في كل منها .

أولاً - فأما أهمية التكليف بالترجمة (١٩٩٧ ص ٥٩ - ٦٢) فتعني أن علينا أن نقارن قبل الترجمة بين الملامح أو السمات العامة للنص المصدر والنص المستهدف المتوقع ؛ للاهتداء إلى ما قد يختلف فيه النص المترجم عن النص الأصلي ، واستكشاف « ظروف » التكليف بالترجمة قادر على إحاطتنا بالمعلومات التالية عن كلا النصين :

(أ) الوظائف المقصودة لكل من النصين .

(ب) المتخاطبان (المرسل والمستقبل) .

(جـ) مكان وزمن استقبال النص .

(د) الوسائط (الكلام الشفهي أو الكتابة) .

(هـ) الدافع (سبب كتابة النص المصدر وسبب ترجمته) .

وهذه المعلومات تتيح للمترجم أن يحدد الأولويات الخاصة بما سوف يدرجه في النص المترجم ، وهي تضرب مثالاً من التكليف بترجمة كتيب عن الاحتفال بالذكرى الستمائة لإنشاء إحدى الجامعات ، قائلة إن الأولوية تولى بوضوح إلى وقائع الاحتفالات التي ستقام بهذه المناسبة .

ثانياً - دور تحليل النص المصدر (ص ٦٢ - ٦٧) بعد مقارنة الجوانب السابق ذكرها ، يمكن للمترجم أن يشرع في تحليل النص المصدر لتحديد الأولويات اللازمة في استراتيجية الترجمة . والقائمة التي أوردتها « نورد » في كتابها الأول (١٩٩١) للعوامل الداخلية في النص تصلح لهذا التحليل ، وهي :

(أ) **الموضوع أو المادة** subject matter

(ب) **المضمون** content : بما في ذلك ظلال المعاني والاتساق .

(جـ) **الافتراضات المسبقة** presuppositions وتعني العوامل الواقعية الخاصة « بالموقف التوصيلي» أي بظروف تلقي النص المترجم ، والتي يفترض أن المشاركين يعرفونها سلفًا .

(د) **التكوين** : composition بما في ذلك البناء الجزئي microstructure والبناء الكلي macrostructure .

(هـ) **العناصر غير اللفظية** : non - verbal أي الأشكال التوضيحية وأبناط الحروف وما إليها .

(و) **العناصر اللفظية** : lexic بما في ذلك اللهجات الخاصة ، والمصطلحات الفنية بالنطاق الخاص بالنص register وما إلى ذلك .

(ز) **ملامح النص الفوقية** suprasegmental features وهي الملامح الممتدة عبر تقسيمات النص (انظر مرشد المترجم ص ٣٠٥) وتتضمن النبر stress والإيقاع rhythm و « الترقين الأسلوبي » stylistic punctuation .

ثالثًا - هرم الأولويات الوظيفية لمشكلات الترجمة

The functional hierarchy of translation problems

تقيم « نورد » هرمًا للأولويات الوظيفية الواجب مراعاتها عند القيام بالترجمة وهي :

(أ) يجب تحديد الوظيفة المقصودة للترجمة (وثائقية أم هادفة) .

(ب) ويجب بعدها تحديد العناصر الوظيفية التي لا بد من تطويعها لتناسب حالة المخاطبين the addressees' situation باللغة المستهدفة (بعد تحليل تكليف الترجمة أو « مهمة الترجمة » في أولاً عاليه) .

(جـ) ويجب أن يتولى نوع الترجمة أو نمطها تحديد أسلوب الترجمة (موجهة إلى ثقافة المصدر أم إلى الثقافة المستهدفة) .

(د) ويجب بعد ذلك التصدي لمشكلات النص على المستوى اللغوي الجزئي (على نحو ما ورد في تحليل النص المصدر في ثانيًا أعلاه) .

ولا بد من أمثلة لتوضيح هذا المنهج الذي يتميز بمرونة كبيرة ، فهو يجمع بين نظرية « هولتس-مانتاري » بخصوص « اللاعبين » أي المشاركين في « فعل الترجمة » (على نحو ما سبق إيضاحه) وبين نظرية « الغرض » عند « رايس » و « فيرمير » والتي تتجلى عند « نورد » في رصدها لوظائف النص ، دون إيلاء الأولوية القصوى « للغرض ».، كما أن تحليل النص المصدر عند « نورد » ، وهو الذي تأثرت فيه بنظرية « رايس » ، يولي الاهتمام الواجب للوظيفة التوصيلية ومعالم النوع genre الذي ينتمي إليه النص المصدر واللغة ، دون أن يشوبه الجمود الذي يشوب نظم التقسيم والتصنيف الأخرى . وأما المثال الأول فهو من صحيفة الأهرام القاهرية (٢٩/ ٧/ ٢٠٠٢) :

اللجنة العليا المصرية - السودانية تؤكد :

ضرورة إحياء مؤسسات التكامل بين مصر والسودان

توقيع ٢١ اتفاقية وبروتوكولاً للتعاون المشترك غداً

أكدت اللجنة العليا المصرية - السودانية في اجتماعها أمس اقتناعها الكامل بأن السلام العادل والشامل المرتكز على قرارات الشرعية الدولية هو السبيل الوحيد لاستقرار الأوضاع في منطقة الشرق الأوسط . و وجه علي عثمان طه النائب الأول للرئيس السوداني الشكر لمصر لحرصها على وحدة السودان وأمنه واستقراره وتحقيق الوفاق بين بنيه لبلوغ حل سياسي عادل عن طريق التفاوض ، وقال إننا نثق أن مصر ستواصل دعمها لمسيرة الوحدة والسلام في السودان .

وإذا طبقنا ما يسمى بنموذج « نورد » في التحليل النصي للترجمة ، وفقًا لما جاء في القسم الأول (أولاً) عن « مهمة الترجمة » وجدنا أن وظيفة النص « إخبارية » ، وهي تتضمن أيضًا عناصر تعبيرية من خلال تكرار كلمة السلام مرتين ، مرة في سياق الحديث عن منطقة الشرق الأوسط بأسرها ، مما يعني إدراج « مسألة فلسطين » إيحاءً ، ومرة في سياق الحديث عن مشكلة جنوب السودان ، وتكرار كلمة الاستقرار في هذين السياقين ، وتكرار كلمة الوحدة في سياق الحديث عن السودان .

وأما الذين يخاطبهم النص العربي فهم قراء الأهرام في مصر أولاً وخارجها ثانيًا ، وهم على الأرجح يعرفون مشكلة جنوب السودان ، ومن المؤكد أنهم يعرفون قضية فلسطين ، ولذلك فإن الكلمات المجردة ليست عسيرة الفهم لديهم ، وأما زمن استقبال النص ومكانه فإذا كانت الترجمة ستنشر في الأهرام ويكلي مثلاً ، وهي الصحيفة الإنجليزية التي تحمل اسم الأهرام وتصدر

أسبوعيًا ، فلن يتأخر زمن النشر عن أيام معدودة ، مما يخرجه من دائرة اعتباراتنا ، ومكان النشر واحد وهو القاهرة ، وأما الوسائط فالأغلب أن تنشر الترجمة في صحيفة أو في صحف ؛ أي أن « الوسيط » (الكتابة) لن يتغير ، وقد تستعمل الإذاعة الخبر فيتغير الوسيط (الكلام الشفهي) ، وقد يستعمله التليفزيون (شفهي مع صور) ، وقد يقتضي ذلك مراعاة بعض العناصر الخاصة بـ « البناء الجزئي » مثل أطوال العبارات وما إليها . وأما الدافع فهو إخباري في المقام الأول ، وقد يضاف إليه عنصر سياسي أو دعائي في الحدود العادية وفي نطاق المعمول به . والخلاصة أن الترجمة المطلوبة وثائقية .

وإذا طبقنا نموذج « نورد » في القسم الثاني (ثانيًا) لم نجد فيه ما يضيف جديدًا في حالة هذا النص ، فالموضوع سياسي في النص القائم وفي الترجمة المتوقعة ، وكذلك المضمون ، بل والافتراضات المسبقة ، إلا إذا ظن المترجم أن القارئ الأجنبي غير محيط بمشكلة جنوب السودان . وأما عن التكوين فإن لغة الأخبار العربية تتبع في تكوينها النظام العالمي للغة الأخبار . وأما العناصر غير اللفظية فغير موجودة ، وأما العناصر اللفظية فقد عرضنا لها في سياق تكرار بعض الكلمات وما لها من ظلال المعاني ، ولا شك أن ملامح النص الفوقية سوف تكون تابعة للصياغة المعتادة عالميًا لمثل هذه الأخبار .

وهكذا يمكن أن تكون الترجمة على النحو التالي :

Egyptian-Sudanese Integration Institutions Need to be Revived, says the Supreme Egyptian - Sudanese Commission

21 mutual cooperation agreements and protocols to be signed tomorrow

Meeting yesterday, the Supreme Egyptian-Sudanese Commission confirmed it was fully conviced that only just and comprehensive peace, based on the UN resolutions, could lead

to stability in the Middle East. The Sudanese first Vice-President, Ali Othman Taha, thanked Egypt for being so eager to maintain the territorial integrity, security and stability of Sudan, as well as conciliation among all Sudanese citizens with a view to reaching a negotiated, just political solution. 'We are confident that Egypt will continue to support Sudan's advance towards unity and peace in Sudan,' he said.

ودراسة التغييرات الجزئية - أي على مستوى الصياغة اللغوية - سوف تؤكد إمكان الموازنة بين النصين وفقًا للنظرية الوظيفية ، فتغيير كلمة « الوحدة » في الجملة الثانية إلى تعبير « وحدة الأراضي » يقتضيه تغيير « المخاطب » ، كما أن تعبير « أبناء السودان » المحمل بدلالات عاطفية (والمقصود به الإيحاء بأن أبناء جنوب السودان هم أبناء للسودان في آخر الأمر) قد تحوّل إلى تعبير « مواطني السودان » ليلائم المتلقي الأجنبي ، وأما الاحتفاظ بالتعبير الخاص بالعربية وهو « مسيرة الوحدة والسلام » الذي ترجم بالإنجليزية إلى « تقدم السودان نحو الوحدة والسلام » فالمقصود به الحفاظ على طابع الفكر في الأصل ، وكان يمكن أن يترجم إلى « جهود السودان لتحقيق الوحدة والسلام » - وهكذا أدى التحليل النصي إلى هذه الترجمة - وهي صورة تقوم على مفهوم معين ، وقد يستتبع مفهوم آخر صورة أخرى .

والنص الإنجليزي ينهض بالوظيفة نفسها التي كُلّف بها النص العربي - وهذا في الواقع هو ما تعنيه نورد بالتكليف أو المهمة ، وما تختلف فيه عن « هولتس - مانتاري » بعض الشيء - والنص الإنجليزي وفقًا لهذا التكليف ينقل الوثيقة الإخبارية نقلاً دقيقًا وفقًا لمتطلبات القارئ الأجنبي ، أي أن الترجمة الوظيفية هنا وضعت نصب عينيها قارئ النص المترجم ، وأما التعبير الذي لا يزال يحتفظ بمذاق الأصل فالهدف منه في الحقيقة إبراز المعنى الخبيء في استعارة « المسيرة » ألا وهو أن السودان « يسير » فعلاً نحو تحقيق

الوحدة والسلام (بإنهاء مشكلة الجنوب) والنص الإنجليزي الحالي إذن - وهو Sudan's advance towards unity and peace أقرب إلى Sudan's unity and peace process منه إلى التعبير الأصلي Sudan's unity and peace march فكلمة march كلمة عسكرية وهي - طبقًا لمبدأ الحفاظ على النطاق register - تستخدم في الحرب لا في السلام ، ومن ثم فحتى لو كانت تستخدم بالعربية في سياق السلام فإن دلالاتها الإنجليزية أقرب إلى تقدم الصفوف في ساحة الوغى ، ونحن نذكر البيت الافتتاحي لقصيدة تنيسون الشهيرة « هجوم اللواء الخفيف » The charge of the light Brigade وهو :

Marching into the valley of death ....

أي أن الجنود انطلقوا في وادي الموت / بدأوا المسيرة في وادي الموت .

وعندما تستخدم الكلمة في وصف المسيرات الشعبية في الشوارع عادة ما تسبقها الصفة peaceful لنبذ أي ارتباط بينها وبين السياق الحربي ، ومثل هذه المسيرات عادة ذات طابع « نضالي » campaigning والنضال حرب ، وكلمة campaign تعني « حملة » وعلاقتها بكلمة camp أي « معسكر » وأصلها « ميدان » - وكلاهما عسكري - أوضح من أن تحتاج إلى تعليق ، ولذلك أقول إنني أفضل ترجمة العبارة إلى Sudan's efforts to achieve unity and peace على ما في هذا من إزالة للغموض في التعبير العربي ، فمسيرة الوحدة والسلام قد لا تعني أن الوحدة والسلام غائبان ، بل ربما كانت تعني - على ما في ذلك من شطط في التفسير - أنها مسيرة ترفع لواء الوحدة والسلام ! وإنما أطلت هذا التحليل في إحدى الجزئيات النصية حتى أبين أن الترجمة الوظيفية لها نفعها العملي في درس الترجمة .

وأما المثال الثاني فهو قصيدة لشاعر معاصر هو ويليم بطلر ييتس Yeats ، وهي نموذج للشعر الحديث بكل سماته حقًا ! إنها مكتوبة بلغة غير نمطية (على

عكس اللغة الشعرية عند الكلاسيكيين بل والرومانسيين - انظر قصيدة شلي أعلاه) ، وتتميز بالقصد في التعبير وبالإيجاز الشديد ، ولا تحتفل بنظم القافية التقليدية ، ولا بأطوال الأبيات ، بل تقدم موقفًا آنيًا مركزًا يصل في تتابع لاهث إلى ذروة بديعة . يقول ييتس :

How can I, that girl standing there,
My attention fix
On Roman or on Russian
Or on Spanish politics ?
Yet here's a travelled man that knows
What he talks about
And there's a politician
That has read and thought
And may be what they say is true
Of war and war's alarms
But O that I were young again
And held her in my arms !

فإذا اتبعنا خطوات « نورد » وجدنا أن تحليل النص سيؤدي بنا إلى عكس ما قيل تمامًا في الترجمة الوثائقية - فنحن أمام نص تعبيري خالص يتطلب الترجمة الهادفة ؛ أي التي تُخرِج نصًا معادلاً وظيفيًا من وجهة نظر قارئ الترجمة وحده ، فالموضوع (أو المادة) يتصل بموقف شعوري ذاتي هو الحنين للشباب الذي أثاره وجه حسناء ، والمضمون هو التناقض بين العالم الواقعي القبيح (الحرب التي توشك أن تندلع) وعالم الإحساس الجميل (المنفصل عن مشكلات الزمان) ، ولا توجد هنا افتراضات مسبقة إلا فيما يختص بطبيعة المواجهة المحتومة بين العالم الخارجي والعالم الداخلي ، والتكوين تصاعدي من خطوات إلى ذروة تأتي مفاجأة رغم التمهيد لها في المطلع ، وهو ما يهب القصيدة وحدتها وتماسكها واتساقها ، وكلها مصطلحات سبقت مناقشتها ،

ولا توجد عناصر غير لفظية ، وأما العناصر اللفظية فهي محددة بالموضوع ولا تخرج عنه ، وأما ملامح النص الفوقية فهي تكتسب هنا أولوية غلابة بسبب طبيعة الشعر ، فالإيقاع دفاق يوحي ببحر المتقارب في الشعر العربي ، والنبر ينقل المعاني إلى حيث يتكئ الشاعر على اللحظات التي تبرز التناقض ، والترقين الأسلوبي يتطلب عبارات متوازية ومتداخلة معًا حتى يمكن الوصول إلى الذروة بيسر .

وهكذا فنحن أمام وظيفة محددة هي نقل موقف يشبه المواقف الدرامية ، يتميز بالتركيز الشديد ، وبالاقتصاد في اللغة – كما قلنا – وإن كان أسلوب الإيجاز والحذف في العربية لا يصلح عادة في الترجمة بسبب اختلاف المخاطب ، فالعربي يحب الوضوح والقول الصريح ، وينفر من الغموض والالتواء !

وهكذا نجد أن المترجم مكلف بنقل موقف بما يكافئه وظيفيًا ؛ أي يقوم بوظيفة تعادل الوظيفة التي يقوم بها نص الشاعر « ييتس » بالنسبة للقارئ أو السامع الإنجليزي . وربما بدأ المترجم استلهامه لإيقاع عربي يشد السامع مثلما تشده بداية قصيدة « ييتس » ، وربما لم يجد خيرًا من « ألا » الافتتاحية لاستهلال الترجمة – وهكذا قد يذكر قصائد شوقي من المتقارب (نجا وتماثل ربانها / ودق البشائر ركبانها) و (جعلت حلاها وتمثالها/ عيون القوافي وأمثالها) فإذا تيسر ذلك قال :

ألا كيف ينصبُّ فكري
وتلك الفتاة قبالة بصري
على مشكلات السياسة في [illegible]طر ؟
سياسات روما وروسيا وإ[illegible] ؟
وإن كان ذاك الخطيب خبيرًا بها

وكم جاب آفاقها
وذاك السياسي يعرف ما في الصحائف
فذُّ القريحةِ وَقّادُها !
أقول وقد يصدق الراويان بشأن القتال
وإطلال حرب بأوزارها !
ولكن عيني سَبَتها الفتاةُ
فياليتني عدت شابّا ليهنأ صدري بأحضانها !

وأعتقد أن مقارنة النصّين كفيلة بإبراز التقارب في أداء الوظيفة المنوطة بكل منهما ، ومدى الدور الذي تنهض به الوظيفة في تحديد استراتيجية الترجمة ، فمناطق « الافتراق » divergence عن النص الأصلي مناطق تفرضها الوظيفة المنوطة بالنص الجديد ، ولا يكاد القارئ العربي يشعر بالغربة في هذه الترجمة بسبب الحفاظ على النطاق اللفظي الخاص بهذه الأفكار register باللغة العربية . وأعتقد أن هذين المثالين كافيان .

ونخرج من هذا العرض وهذين المثالين إلى أن منهج « نورد » يسمح بإمكان تحديد العناصر المهمة في عملية الترجمة ، وهو منهج يركز على النص المصدر تركيزاً أكبر من تركيز مناهج أصحاب النظرية الوظيفية الآخرين . فهو يتيح للمترجم أن يتعرف على ملامحه التي قد تمثل له مشكلة ما ، وأن يوجه جهوده لحل مثل تلك المشاكل . وهكذا فإن نظريات الترجمة الوظيفية والتوصيلية التي وضعت في ألمانيا في السبعينيات والثمانينيات قد خطت بدراسة الترجمة خطوة جديدة ، فنقلتها من دراسة المظاهر اللغوية الثابتة إلى دراسة الترجمة باعتبارها تواصلاً فيما بين الثقافات . فأما « رايس » فقد أدت جهودها الأولى إلى إقامة الروابط بين وظيفة اللغة ونمط النص و « النوع » genre وبين استراتيجية الترجمة . وما لبث مذهب « رايس » أن اجتمع مع

نظرية « الغرض » التي وضعها « فيرمير » وأحدثت تأثيرًا مدويًّا ، وهي التي تقول بأن استراتيجية الترجمة تحددها وظيفة النص المستهدف (المترجم) في الثقافة المستهدفة . وتعتبر نظرية « الغرض » كذلك جزءًا من منهج « فعل الترجمة » الذي اقترحته « هولتس- مانتاري » التي وضعت ترجمة المحترفين في سياق ثقافي اجتماعي ، مستخدمةً مصطلحات رجال الأعمال والإدارة . فهي ترى أن الترجمة من المعاملات التوصيلية communicative transaction تتضمن صاحب المبادرة ، وصاحب التكليف ، والمنتجين ، والمستعملين والمستقبلين لكل من النص الأصلي والنص المترجم . ويتضمن هذا « النموذج » ما يسمى خلع النص الأصلي عن العرش ، بحيث يتحوّل معيار الحكم على الترجمة من مذهب « تعادل المعنى » إلى مبدأ « الكفاية أو الكفاءة التوصيلية » ؛ أي إلى « مدى قدرة » النص المترجم على تحقيق الغاية الوظيفية المطلوبة ، وهي التي سبق تحديدها عند التكليف بالترجمة . وأما « نورد » فهي كما رأينا تجمع بين شتى عناصر هذه المذاهب في منهج موحد يركز على الوظيفة ، ويولي اهتمامًا أكبر لتحليل النص المصدر ، وإن كان ذلك في إطار تعريف رايس القديم لأنواع النصوص أو أنماطها ، ولكن تحليل النص المصدر ساعد الباحثين في علم اللغة على تقديم منهج جديد لدراسة الترجمة يستمد مبادئه من علم تحليل الكلام - وهو ما لا بد من أن ننظر فيه الآن .

الفصل الخامس

مداخل علوم اللغة الحديثة

أبدأ هذا الفصل بملاحظة ما فتئت أشير إليها وهي أن صعوبة ترجمة المصطلحات الجديدة في العلوم الإنسانية ، وخصوصًا في العلوم الوليدة أو الناشئة منها ، لا ترجع إلى كثرتها المفرطة وتداخل معانيها فحسب ، بل ترجع أيضًا إلى اختلاف معنى المصطلح الواحد عند الباحثين ، ولو في الفرع نفسه ، فلقد شهدنا في الفصل السابق مثلاً كيف اختلف معنى التكليف commissioning عند « كريستيان نورد » عما كان عليه عند « هولتس-مانتاري » ، فالأخيرة تعني به تكليف المترجم بإعداد نص بلغة أخرى ، طبقًا لنهجها الخاص بتحليل الترجمة في ضوء المعاملات التجارية ، وهي التي ضربنا لها مثلاً من الترجمة إلى اللغة العربية لحساب منظمة دولية مثل الأمم المتحدة أو إحدى وكالاتها المتخصصة ، وأما « نورد » فتعني بالمصطلح ما « يُكلَّفُ » النص المترجم به من أداء وظيفة معادلة لوظيفة النص الأصلي ، سواء كانت الترجمة وثائقية أو هادفة ، ويواجهنا في هذا الفصل مصطلح آخر من المصطلحات الحديثة ، يستعمل في النقد الأدبي بمعنى « نطاق الأعراف » (انظر كتابي المصطلحات الأدبية الحديثة) ويستخدم في علم اللغة بمعنى « نطاق اللغة » ألا وهو register . وسوف أشرحه تفصيلاً عند الحديث عنه في

سياقه ، وأشير إليه بمصطلح « النطاق » وحسب ، وإنما أحببت أن أبين استحالة تثبيت ترجمة واحدة لكل مصطلح تريح المترجم والقارئ معًا ؛ لأن علوم اللغة لا تزال في مراحل التغير وأبعد ما تكون عن الثبات ، وناقل هذه العلوم إلى العربية لا يملك إلا متابعة هذا التغير .

ولقد فضلت في القسم الأول من هذا الفصل أن أستعمل « تحليل الكلام» بدلاً من « تحليل الخطاب » ترجمة لتعبير discourse analysis ليس فقط لأن هذه هي الترجمة التي وضعها أساتذة اللغة العرب ، وعلى رأسهم الدكتور سعد جمال الدين ، الأستاذ النابه في جامعة القاهرة، بل لأن كلمة discourse هنا أقرب إلى المعنى الذي وضعه سوسير Saussure وطوره هاليداي Halliday من حيث وظيفته التوصيلية والاجتماعية منها إلى المعنى الذي أرساه فوكوه Foucault والذي لا ضير من ترجمته بـ « الخطاب » نظرًا لشيوع المصطلح بالعربية ، ولدلالته التي تضم الفكر والتفكير إلى جانب الألفاظ والتعابير المستعملة ، وهذا هو ما استعملته في القسم الثاني من هذا الفصل ، والمصطلح إذن مصطلح مشكل ، ولكنني أرجو أن أوضح في عرضي الموجز لتأثير منهج تحليل الكلام في دراسة الترجمة أسباب اختياري لهذه الصورة العربية أولاً .

فلقد برزت في التسعينيات اتجاهات ترمي إلى الربط بين منهج تحليل النص الذي وضعه «كريستيان نورد » وبين مناهج تحليل الكلام ، وجميعها مناهج تدعو إلى فحص النص على مستويات أشمل وأعم من مستوى الجملة المفردة ، ولكن منهج تحليل النص عند « نورد » عادة ما يركز على وصف طرائق « تنظيم » النصوص داخليًا (بناء الجملة ، والتماسك إلخ) وأما تحليل الكلام فينظر في طرائق توصيل اللغة للمعنى وما ينبئ ذلك كله عنه من علاقات اجتماعية وعلاقات السلطة أو « القوة » في المجتمع (وهو مشترك في هذا الملمح الأخير ، على خفوته ، مع المصطلح بمعنى « الخطاب ») . وأما منهج

تحليل الكلام الذي أثر أكثر من غيره في البحوث الجارية في هذا الحقل فهو ما يسمى بالنموذج الوظيفي المنهجي الذي وضعه هاليداي systemic functional model ، وهو مبني على ما أسماه هاليداي بالنحو الوظيفي المنهجي systemic functional grammar الذي وضعه لدراسة اللغة من حيث هي أداة توصيل ، فاختلف في ذلك عن المناهج السابقة لتحليل اللغة (عند تشومسكي مثلاً) من حيث هي مبانٍ ثابتة ، ودون إقامة علائق دينامية بينها وبين غيرها من النظم ؛ أي أن النحو الوظيفي يوسع من دائرة المعنى ، فيجده في الاختيارات اللغوية للكاتب ، ويضع أسسًا منهجية لعلاقة هذه الاختيارات بالإطار الثقافي والاجتماعي الواسع . والدور الأساسي الذي اضطلع به النحو الوظيفي المنهجي هو وضع مصطلحات نحوية دقيقة لتحليل الكلام ؛ أي أنه يدرج التوصيف اللغوي المحدد في الإطار العام للغة باعتبارها أداة توصيل وتعبيرًا عن الحركة الاجتماعية الثقافية . ومن الطريف أن « منداي » (٢٠٠١ - ص ٢٠٠) لم يفته التعليق على معنى « تحليل الكلام » قائلاً إنه مصطلح واسع الدلالة « ويختلف استعماله فيما بين الباحثين » ومهما يكن الأمر فلا بد لنا من التعرض له ولجذوره في النحو الوظيفي - ولو بإيجاز - وإن كنا سوف نقتصر في عرضنا لتأثير هذا الفرع الجديد في دراسات الترجمة على جانبين فقط في هذا الفصل ، وهما :

١ - تحليل النص باعتباره نصًا متكاملاً ، وهو ما يسمى بالتحليل على مستوى النص (باستعمال أدوات النحو الوظيفي المنهجي) .

٢ - وما يتعلق بهذا من تحليل للتواصل الاجتماعي وعلاقات السلطة التي يعبر عنها النص باعتباره فعلاً توصيليًا .

ويستعيرُ هذا المنهجُ من « بوهلر » Bühler ، الذي سبقت الإشارة إليه في سياق عرض نظرية « كاترينا رايس » ، تقسيمه الثلاثي لوظائف اللغة الذي

ناقشناه في الفصل السابق وهي الإخبار والتعبير والدعوة . ويقيم هاليداي علاقة تداخل قوية بين الإطار الثقافي الاجتماعي للغة وبين تحقيق هذه الوظائف على المستوى الظاهر ، وهو الذي أشرنا إليه من قبل في سياق تشومسكي باسم المستوى السطحي وهو المستوى الذي يقابلنا عند قراءة اللغة أو الاستماع إليها لا ما يسمى بالمستوى العميق الذي يُفترض وجوده « تحت » هذا المستوى ؛ أي أن البناء اللغوي المعتاد يحقق هذه الوظائف الثلاث التي ترتبط ارتباطًا وثيقًا بالإطار الثقافي الاجتماعي للّغة نفسها ، وهو الارتباط الذي يناقشه ويشرحه شرحًا واضحًا كتاب إجينز Eggins بعنوان **مقدمة للغويات الوظيفية المنهجية** (١٩٩٤) وفكرته الأساسية هي أن البيئة الثقافية الاجتماعية تؤثر في النوع genre بل تتحكم في حالته وأشراطه ، والمقصود بالنوع اللغوي هنا هو نمط النص text type الذي يرتبط بوظيفة توصيلية معينة، وفقًا للتعريف التقليدي ، ووفقًا لما سبق شرحه عند عرض نظرية « رايس » ، مثل الخبر الصحفي أو الخطبة السياسية ، أو القصيدة ، أو الخطاب الرسمي ، أو الخطاب المرسل من شركة إلى شركة أو إلى أحد العملاء. . إلخ ، و « النوع » هو الذي يحدد عناصر أخرى في الإطار اللغوي المنهجي وهو الذي يطلق عليه systemic framework فحسب ، وأول هذه العناصر هو ما سبق أن أسميناه **بالنطاق** register وهو يتضمن ثلاثة عناصر متغيرة هي **المجال** field وهو الموضوع الذي يتناوله النص ، والثاني هو **الاتجاه** tenor (أي من يوجه الكلام إلى من ؟) والثالث هو **الطريقة** mode (كتابة أو شفاهًا ، إلخ) فإذا طبقنا هذه المتغيرات على خبر صحفي وجدنا أن المجال هو الحادثة المنشورة ، والاتجاه هو من المحرر إلى القارئ ، والطريقة هي الكتابة والنشر ، وإذا طبقناها على الخطبة السياسية وجدنا أن المجال قد يكون إنجازات الحزب مثلاً ، والاتجاه هو من الزعيم إلى أعضاء الحزب ، والطريقة هي الإلقاء الشفهي ، وإذا طبقناها على خطاب « تجاري » فقد يكون المجال تسليم البضاعة ،

والاتجاه من مندوب المبيعات إلى أحد العملاء ، والطريقة هي الكتابة . ولكل عنصر من هذه المتغيرات ارتباط بشريحة من شرائح المعنى، فإذا جمعنا الشرائح بعضها إلى بعض وجدنا أنها تشكل فيما بينها ما يسمى **بالدلالة الكلامية للنص ، أو علم دلالة الكلام في النص** discourse semantics وترتبط بها ثلاث وظائف رئيسية metafunctions وهذه هي **الوظيفة الخاصة بالفكرة** idea-tional **وفيما بين الأشخاص** interpersonal والوظيفة النصية textual .

وسوف أورد مقتطفًا مترجمًا عن موسوعة اللغويات *The Linguistics Encyclopedia* التي حررتها كيرستين مالمكيار Kirsten Malmkjær (١٩٩١/ ١٩٩٦) ومن الدراسة التي كتبتها هي نفسها عن النحو الوظيفي في هذه الموسوعة :

« يقوم النحو الوظيفي عند هاليداي على افتراض أن اللغة لها عند من يستعملها وظيفتان رئيسيتان two major functions, metafunctions فهي وسيلة لتأمل الأشياء و وسيلة للعمل بصدد هذه الأشياء . . . ويسمي هاليداي هاتين الوظيفتين وظيفة « المضمون » **الخاص بالفكرة** ، والوظيفة القائمة فيما **بين الأشخاص** ، وتعتمد هاتان الوظيفتان على وظيفة ثالثة وهي الوظيفة النصّية التي تسمح بتحقيق هاتين الوظيفتين . . وتمثل الوظيفة النصية قدرة تكوين النص الكامنة عند كل مستعمل للغة » (ص ١٤٢)

والواقع أن النظرية المنهجية التي يقوم عليها النحو الوظيفي عند هاليداي - كما يقول هاليداي نفسه في كتابه عن النحو الوظيفي (١٩٨٥) - « هي نظرية للمعنى باعتباره اختيارًا » ويرى هاليداي دائمًا أن النحو له معنى ، قائلاً :

« اللغة نظام لإنشاء المعاني ، فهو نظام دلالي (يعمل) مع نظم أخرى ‹‹ لتشفير ›› encoding المعاني التي تخرجها اللغة ، ومصطلح

‹‹ الدلالة ›› لا يشير فحسب إلى معاني الألفاظ ، بل إنه النظام الكامل لمعاني لغة من اللغات ، ويعبر عنه النحو مثلما تعبر عنه الألفاظ ، وأما ‹‹ شفرات ›› المعاني في الواقع فهي التشكيلات اللفظية ، أي المتتابعات النحوية أو المركبات اللفظية syntagms والتي تتكون من عناصر من النوعين - من العناصر اللفظية مثل معظم الأفعال والأسماء ، والعناصر النحوية مثل أداة التعريف ‹‹ الـ ›› ، وأداة الإضافة of (في الإنجليزية) وأداة الشرط ‹‹ إذا ›› ، إلى جانب أدوات أخرى من نمط يقع فيما بين النمطين in between مثل حروف الجر » .

p. xvii (ص ١٧)

وإذن فإن الوظائف الخاصة بالفكرة ، وفيما بين الأشخاص ، والنصية تعتبر مكونات وظيفية للنظام الدلالي الذي نسميه اللغة ، والنحو يتيح للوظائف الثلاث أن تعمل معًا في كل موقع من مواقع النص ، فالنحو يتلقى المعاني من كل مكوّن component ويربطها معًا في التشكيلات اللفظية ، على نحو ما يبين هاليداي في شرحه للجملة المفيدة البسيطة clause في اللغة الإنجليزية ، ويقول إنه اختارها لأنها تمثل الوحدة النحوية التي نرى فيها « ثلاثة أبنية متميزة ، يعبر كل منها عن أحد أنواع التنظيم الدلالي ، وقد انتظمت معًا واشتركت في إخراج تشكيل لفظي واحد » (١٩٨٥ ص ٣٨)

ولا داعي للإفاضة في تقسيم هاليداي للجملة ، فالتحليل المعقد الذي يضعه يمكن أن يخرج بنا عن الهدف المحدد لهذا الكتاب ؛ ولذلك فسوف نجمل ما انتهى إليه في كلمات موجزة وهو أنه يجمع بين الألفاظ والنحو في مصطلح واحد ، يمكن ترجمته بمصطلح منحوت جديد هو « النحولفظي » lexicogrammar ويفسره بأنه اختيار الألفاظ والبناء التركيبي لها معًا ، وأما الروابط فيمكن تلخيصها بصفة عامة كما يلي (عن إجينز ١٩٩٤ ص ٧٨) .

يرتبط المجال في النص بالمعنى الخاص بالفكرة ، وهو يتحقق عمليًا في اللغة من خلال ما يسمى بأنساق التعدي أي transitivity مثل أنماط الأفعال على اختلافها ، والأبنية للمعلوم أو المجهول ، والأطراف المشاركة في عمل ما وما إلى هذا بسبيل . وأما اتجاه النص فيرتبط بالمعنى فيما بين الأشخاص وهو يتحقق من خلال أنساق الأسلوب الإنشائي modality (في مقابل الخبري) والتي تتضمن الأفعال المساعدة (في الإنجليزية طبعًا) والصفة أو جملة الصفة ، والحال أو جملة الحال ، وأشباه الجمل (مثل : « وكلي أمل » ، « مع الشكر » ، « من باب عطفكم وكرمكم » ، « رجاءً » أو « من فضلك ») وبعض الألفاظ التي تتضمن قيمة تعبيرية مثل « الجميل » و « الرهيب » وما إلى ذلك . وأما الطريقة الخاصة بالنص فترتبط بالمعنى النصّي textual وهو الذي يتحقق من خلال هياكل الأبنية الداخلية والمعلومات thematic and information structures وبصفة أساسية بترتيب العناصر في الجملة وبنائها ، ومن خلال التماسك cohesion أي شكل الترابط اللفظي في النص ، بما في ذلك استخدام الضمائر ، والإيجاز بالحذف ، والتصاحب اللفظي collocation والتكرار وما إلى ذلك .

وقبل الانتقال إلى تطبيق هذا النظام في تحليل الكلام أجد لزامًا عليّ أن أشير إلى أن كتابًا لاحقًا على كتاب « إجينز » المشار إليه ، وهو كتاب باحث يدعى جيف طومسون Geoff Thomson بعنوان مقدمة للنحو الوظيفي ، صادر عام ١٩٩٦ Introducing Functional Grammar يبدأ تقسيمه للوظائف الرئيسية بالوظيفة « الخاصة بالفكرة » في مصطلح هاليداي ideational ولكنه يطلق عليها اسمًا آخر ما لبث أن أصبح مصطلحًا ألا وهو experiential ؛ أي « الخاصة بالخبرة » ، وقد قرأت الفصل الذي يتناول فيه هذه الوظيفة الرئيسية (ص ٧٦ - ١١٥) فلم أجد فارقًا يذكر بين تعريف هاليداي لها وتعريف طومسون المذكور ، ولكن كتابه ذو طابع تعليمي مبسط وزاخر بالأمثلة ويغري بالقراءة ، ولا بد أنه استفاد من كل ما كتب في الموضوع

واستفاد من تدريس المادة كما يقول في التصدير للطلاب والمعلمين والباحثين ، وهو يضيف في الواقع وظيفة رابعة إلى ما جاء به هاليداي ويسميها الوظيفة المنطقية the *logical* metafunction وتختص بالقواعد المنطقية للربط بين الجمل ؛ أي أنه يتجاوز تركيز هاليداي على الجملة المفيدة clause رغم أنه يخصص لتحليلها معظم الكتاب - لمناقشة الرابطة أو الروابط المتاحة للكاتب حتى يصل الجمل بعضها بالبعض ، وما دام الاختيار قائمًا فهو يصب في صلب نظرية النحو الوظيفي ، وليتنا نوجه لها الاهتمام اللازم في مجال اللغة العربية ، خصوصًا عند الترجمة .

ويعتبر تحليل هذه الوظائف الأساسية ذا أولوية مطلقة في هذا « النموذج » ، فالعلاقات الوثيقة القائمة بين الأنساق « النحولفظية » وبين الوظائف الأساسية تعني أن تحليل أنساق « التعدي » والأساليب الإنشائية والتركيب الموضوعي والتماسك في نص من النصوص يكشف عن طرائق تحقيق تلك الوظائف وطرائق إخراج النص لمعناه (إجينز ١٩٩٤ - ص ٨٤) ولكن التعقيد الذي يتسم به مذهب النحو الوظيفي يحتم علينا أن نقتصر على الجوانب ذات العلاقة بالترجمة ، وسوف نتوقف إذن عند تحليل النطاق وهو المفهوم الرئيسي في منهج جوليانه هاوس التي سبقت الإشارة إليها من قبل Juliane House . ولن أخفي على القارئ بداية أنني أختلف معها ، ولكن الموضوعية تقتضي أن أعرض منهجها بأمانة .

كتبت جوليانه هاوس كتابين ، الأول عام ١٩٧٧ بعنوان نموذج لتقييم جودة الترجمة فتعرض للنقد الشديد بسبب طبيعة فئات التحليل التي تستخدمها ، وتعقيدها دون داع ، والمصطلحات التي أتت بها ، وعدم اعتدادها بأي عنصر شاعري أو جانب جمالي للغة (فهي لا تناقش الأدب مطلقًا) وهلم جرًّا ، وقد تصدت « هاوس » لهذه الانتقادات فنقحت كتابها ونشرته من جديد عام ١٩٩٧ (وهي النسخة المتاحة لنا) وأعادت النظر في

بعض النقاط دون أن تغير من موقفها الأساسي وهو رفض النظرية الوظيفية لأنها تميل إلى ترجيح كفة النص المترجم - بمعنى أنها موجهة إلى القارئ ، وهي ترى أن في ذلك ضلالاً جوهريًا fundamentally misguided ولذلك تضع نموذج تقييم جودة الترجمة الخاص بها ، والذي يبين نقاط « الاختلاف » في النص المترجم عن النص الأصلي و « الأخطاء » التي يرتكبها المترجم حين يسمح لنفسه « بالاختلاف » . والنص المنقح - فيما أرى - يعرض نموذجًا للتحليل (وأقصد به تحليل النصوص المترجمة ومقارنتها بالتحليل المقابل للنصوص الأصلية) يقوم صراحة على مذهب هاليداي في تحليل النطاق من خلال فحص المجال والاتجاه والطريقة. وأما النظام الذي تتبعه ، أو ما تسميه « النموذج المقارن » فيقوم على مقارنة النصين باستخدام شتى التقسيمات والتصنيفات التي كثيرًا ما تتسم بالتعقيد ، وإن كنا نستطيع اختصاره في صورة تحليل النطاق لكل من النصين - الأصلي والمترجم - وهو الذي يتحقق من خلال الوسائل اللفظية والبنائية والنصية . وأما الوسائل النصية فتشير إلى ديناميات ابتداء الجمل theme-dynamics وتعني قواعد تحديد البداية في الجملة وقواعد تماسكها ، وإلى الروابط بين الجمل clausal linkage (وهي التي يدرجها طومسون في الوظيفة المنطقية) مثل حروف العطف أو الاستدراك وأدواتهما ، والروابط الأيقونية iconic linkage مثل توازي أبنية العبارات في النص .

وربما لاحظ القارئ ترجمتي لكلمة theme على هذا النحو ، فإذا كان غير ملم بالنحو الوظيفي فربما طالب بأن تترجم بالموضوع ، وهو مصيب في ذلك لأن هذا أحد معاني الكلمة بل أكثر معانيها شيوعًا ، ومن العجيب أن يكون ذلك معنى الكلمة الاشتقاقي قبل أن يكون معناها الاصطلاحي ، فهي ترجع في أصلها البعيد إلى *thema* اليونانية التي تعني ما هو مطروح أو موضوع من الفعل *tithenai* الذي يعني « يضع » ، ونحن نفرق بين هذا المعنى العام الذي

تحوّل في العربية المعاصرة إلى « محور » (للحديث / للنقاش / للبحث) وبين المعنى الخاص في الأدب بمعنى خيط الفكرة أو الصورة الشعرية التي قد تتلون وتتخذ أشكالاً مختلفة، استيحاءً لمعنى الكلمة في الموسيقى ، وأما إذا كان القارئ ملمّا بالنحو الوظيفي فسوف يتساءل عن ملاءمة تلك الترجمة للمقابلة التي يقيمها هاليداي بين theme و rheme ، وكنت حين قرأت كتابه أول مرة أتصور أنه يعني بهما في بناء الجملة معنى قريبًا مما نعنيه بالعربية «بالمسند إليه » و « المسند » ، فهو يصف ما يأتي في بداية الجملة ، سواء أ كان اسمًا أم لم يكن، بأنه « المسند إليه » (كأنه موضوع الجملة حقّا) بل يقول في الطبعة الأولى من كتابه « **مقدمة إلى النحو الوظيفي** » (١٩٨٥) إن theme هو مدار القول في الجملة (ص ٣٩) ثم قرأت في شروح هاليداي - ومنها كتاب طومسون المذكور (ص ١١٩) - أن ذلك وهم ، فما يأتي في بداية الجملة قد لا يكون « مسندًا إليه » وقد لا يكون موضوع الجملة أو محورها أو مدار القول فيها ، فقد يكون شبه جملة ظرفية أو حالية إلخ ، ولهذا يقترح طومسون تعريف theme - وقد عربناها في الستينيات إلى « ثيمة » - بأنها تعني « نقطة انطلاق الرسالة » أو the starting-point for the message استنادًا إلى ما قاله هاليداي فيما بعد ، أي في الطبعة الثانية من كتابه عام ١٩٩٤ ، أي the ground from which the clause is taking off p. 38 وتعني حرفيًا « الأرض التي تنطلق منها الجملة » ، وإذن فلا يمكن ترجمتها « بالمبتدأ » وترجمة rheme بالخبر ؛ لأن المبتدأ بالعربية دائمًا اسم ، فهل يمكن ترجمته بنقطة البداية ؟ وهل « البداية » وحدها تكفي ؟ وإذا صح ذلك فهل نترجم rheme بتعبير « سائر الجملة » أو « بقية العبارة » ؟ وإنما أوردت هذه المشكلة لأننا سوف نعود إليها في سياق « تحليل الكلام » و « الترجمة » .

وتضيف « هاوس » في منهجها عناصر جديدة إلى مفهوم **النطاق** ، أقصد عناصر لم يتضمنها تعريف هاليداي له صراحة ، فتقول إن **المجال** يعني مادة

الموضوع وكذلك « الفعل الاجتماعي » social action ويتضمن الخصائص النوعية للعناصر اللفظية . وأما الاتجاه فنقول إنه يتضمن « الأصول الزمنية والجغرافية والاجتماعية للمخاطب (أي لمتلقي النص) إلى جانب موقفه الفكري أو العاطفي أو الشعوري » (أي « وجهة نظره الشخصية ») (ص ١٠٩). وهي تعني « بالموقف الاجتماعي » الأسلوب الفصيح formal وأسلوب المشاورة consultative وأسلوب الألفة informal الذي قد يكون « عاميًا » . ويتميز في ذلك بطابع فردي ، أي يختص به كل فرد عن سواه ، مثلما يتميز « الموقف » الاجتماعي . وأخيرًا فإنها تعني بالطريقة قناة التوصيل (كتابة أو شفاهًا . . . إلخ) ودرجة المشاركة بين المخاطِب (بكسر الطاء) والمخاطَب (بفتحها) (مناجاة ، حوار . . إلخ) (الصفحة نفسها) .

وتقترح هاوس على من يقوم بتطبيق منهجها أن يضع صورة كاملة لنطاق النص المصدر ، يحدد فيها النوع الذي ينتمي إليه النص طبقًا لذلك النطاق ، ثم يستند إلى النطاق والنوع معًا في تحديد الوظيفة التي يؤديها النص ، بما في ذلك العناصر الخاصة بالفكرة وفيما بين الأشخاص ، أو بعبارة أخرى تحديد المعلومات التي يقدمها النص وعلاقة المُرسل بالمُستقبل ، ثم يكرر ذلك كله مع النص المترجم ، ويقارن بين الصورتين ، ويضع قائمة بنقاط التفاوت mismatches أو الأخطاء errors ثم يصنّف هذه في فئات طبقًا للنوع ولأبعاد النطاق والنوع في كل حالة ، وهي تشير إلى الأخطاء الخاصة بالأبعاد المذكورة بتعبير « الأخطاء المستترة » covertly erroneous errors تمييزًا لها عن « الأخطاء السافرة » overtly erroneous errors وهي الأخطاء في معاني الألفاظ المحددة ، أو الأخطاء في « النظام » اللغوي للّغة المستهدفة ، ويلي ذلك الحكم على جودة الترجمة ، وأخيرًا يمكن تصنيف الترجمة بوضعها في فئة من فئتين هما « الترجمة السافرة » و « الترجمة المستترة » .

وأما الفئة الأولى فهي فئة النصوص المترجمة التي لا تزعم أنها نصوص

كتبت أصلاً باللغة المستهدفة (ص ٦٦) ، أي التي لا تحاول إقناع القارئ أو المستمع أنها موجهة إليه ، أو كانت موجهة إليه أصلاً . ولما كانت هاوس تعتقد بضرورة نشدان التعادل على مستوى اللغة أو النص ومستوى النطاق والنوع ، وتعتقد أيضًا استحالة تحقيق التعادل بين وظيفة نص بعينه ووظيفة نص آخر بسبب اختلاف « عالم الكلام » الذي « يعمل » فيه أحدهما عن « عالم » الآخر ، فإنها تقترح نشدان ما تسميه « بالتعادل الوظيفي على المستوى الثاني » a second-level functional equivalence بحيث يتيح النص المستهدف للقارئ استشعار أو إدراك وظيفة النص المصدر ، أي بحيث يسمح لمن يتلقون النص المستهدف بأن يسترقوا السمع eavesdrop على ما يدور في النص المصدر .

وأما الفئة الثانية فهي فئة « الترجمة التي تتمتع بمكانة نص مصدر أصلي في الثقافة المستهدفة » (ص ٦٩) فالنص المصدر في هذه الفئة لا يرتبط ارتباطًا خاصًا بثقافة النص المصدر أو بجمهوره ، فكل من النص المصدر والنص المستهدف يخاطب جمهوره مباشرة ، والهدف من الترجمة « المستترة » إعادة القيام بوظيفة النص الأصلي في النص المترجم أو تمثيله ، وهي تفعل ذلك دون أن تنقل قارئ النص المترجم إلى « عالم » النص الأصلي ، ومن هنا فلا بد من التعادل على مستوى النوع و وظيفة كل نص على حدة ، وإن كان على المترجم أن يستعمل ما تسميه هاوس « بالمرشح الثقافي » cultural filter القادر على تعديل العناصر الثقافية إلى الحد اللازم للإيحاء بأنها تنتمي إلى ثقافة النص المستهدف ، ومن ثم بأن النص المترجم نص أصلي . وهي تضرب أمثلة على الفئتين من الألمانية والإنجليزية .

وتحرص « هاوس » حرصًا شديدًا على تبيان أن التمييز بين الترجمة السافرة والمستترة تمييز في الدرجة فحسب ، فهما ليسا في نظرها نوعين متقابلين أو ثنائية متعارضة الأطراف ، وإيضاحًا لذلك كله سنضرب أمثلة من

العربية والإنجليزية ، فترجمة رواية لدستويفسكي من الروسية إلى العربية تنتمي إلى الترجمة السافرة ، فالمترجم قد يحافظ على كل ما أوصت « هاوس » بالمحافظة عليه ، وقد تكون لغته العربية ناصعة ، ولكن « عالم الكلام » على حد تعبير « هاوس » يختلف في دستويفسكي اختلافًا شاسعًا عن « عالم الكلام » في العربية ، حتى لو كانت الترجمة بالعربية المعاصرة التي اقتبست الكثير من الطرائق « العالمية » في التعبير ، ولذلك فلن نجد من يتصور (ولو أخفينا اسم المؤلف) أن نصًا مترجمًا لذلك العملاق الروسي نص كتبه أديب عربي أصلاً ، وقس على ذلك ترجمة نجيب محفوظ إلى اللغات الأجنبية ، وأما الترجمة المستترة فعادة ما تكون من نوع الترجمة التي تصطبغ فيها جميع عناصر التحليل عند « هاوس » بالحياد - بمعنى أن الجوانب الثقافية الاجتماعية التي تحدد النطاق مشتركة بين اللغتين ، وقس على ذلك سائر العناصر ، مثل الترجمات الوثائقية (وفقًا لتعريف نورد) أي ترجمة الدراسات الاقتصادية مثلاً ، فإذا كان المترجم بارعًا ظننت أن النص كتبه كاتب أو باحث عربي ، وقس على ذلك الكتابة العلمية « البحتة » ، فكتابات الدكتور أحمد مستجير في الهندسة الوراثية بالعربية لا تختلف في مذاقها عن ترجماته إلى العربية ، وإذا ترجمنا دراسة له إلى الإنجليزية لم يستطع القارئ أن يدرك أنها ترجمة ، لا بسبب جودتها فحسب ، بل بسبب اتفاق الأصل والترجمة في المجال والنطاق اتفاقًا يكاد يكون تامًا .

وسوف نضرب أمثلة لكل من النوعين (مع التحليل الذي أوصت به جوليانه هاوس) قبل أن ننتقل إلى نقطة أخرى ، والمثال الأول مأخوذ من نص إنجليزي معاصر ، وهاك إياه :

Comparative literature is being re-defined in this age of globalization and acculturation, as well as the paradoxically intensifying clash of cultures. The old models of comparing

individual works or examining possible influences are increasingly felt to be inadequate : new horizons have opened to include intertextuality across different cultures, the study of cultural constants and variables in literature, conglomerations of primes and universals, and even translation.

(from the blurb of *The Comparative Impulse*, M. Enani ed., Cairo, 2001)

نبدأ بالتحليل من القاعدة إلى القمة bottom-up فنرى أن المجال هو معنى الأدب المقارن ، فهذا هو موضوع الفقرة ، وأن الاتجاه هو من باحث إلى غيره من الباحثين (أو إلى الطلاب) وأن العوامل الاجتماعية لا تكاد تلعب أي دور في هذا أو ذاك ، وأن الطريقة تعتبر بسيطة - فالوسيط هو الكتابة ، والأسلوب مباشر ، والمشاركة المتوقعة بسيطة فهي لا تتجاوز تأمل ما يقال ، دون انتظار « فعل » من جانب القارئ ، وتؤدي هذه العوامل الثلاثة إلى تحديد النطاق ، وهو يتكون على المستوى اللفظي من مصطلحات نقدية وثقافية حديثة تكاد تكون عالمية ، بمعنى أنها مشتركة بين اللغات الحديثة جميعًا ، ومنها العربية المعاصرة ، فمجال الأفعال بعيد عن صيغة التعدي ، فالأبنية في الجمل تعتمد على البناء للمجهول ، والزمن aspect هو إما الحاضر التام أو الحاضر المستمر ، والطرائق المتبعة في ترتيب عنصري كل جملة thematic structure (وسوف نعود لهذا) متماثلة ، فالجملة تبدأ بمدار القول ، أي أن بداية كل جملة نحويًا تتفق مع بدايتها الدلالية ، مما يساعد على اتساق الدلالة وانتظامها ، ويساعد في التماسك الداخلي للنص . ودراسة النطاق تؤدي إلى اعتبار النص نصًا علميًا محايدًا ، أي أن النوع الذي ينتمي إليه هو النوع الإخباري ، وهو ما يحدد أيضًا وظيفته فهي نقل معلومات معينة إلى القارئ ، وهكذا نجد أن الغرض الخاص بالنوع يحدد الوظيفة العامة ، وهذه هي التي تحدد طريقة الترجمة المطلوبة . فما هي هذه الطريقة ؟ إنها - بوضوح - الترجمة المستترة

أي التي لا يشعر معها القارئ بأنه يقرأ نصًا مترجمًا ، وهذا معناه استعمال أدوات التماسك cohesion markers في ربط الجمل داخليًا في النص العربي ، والإتيان بأفعال لازمة لتمثيل ابتعاد النص عن صيغة التعدي ، والالتزام بالزمن الحاضر في العربية (المضارع البسيط) وتحويل المبني للمجهول إلى مبني للمعلوم فذلك أقرب إلى طرائق العربية المعاصرة ، وما إلى هذا بسبيل .

وسوف أورد ترجمتين ألتزم في الأول منهما بما ذكرت ، وأبتعد في الثاني بعض الشيء عن توصيات « هاوس » حتى يضاهي القارئ بين الطريقتين وإن كانتا تنتميان إلى الترجمة « المستترة » :

١- تجري في هذا العصر إعادة تعريف الأدب المقارن - عصر العولمة والتثاقف ، ومن المفارقات أن يكون أيضًا عصر اشتداد الصراع بين الثقافات - إذ يزداد إحساس الدارسين بعدم كفاية الطرائق القديمة المتبعة في الأدب المقارن ، مثل مقارنة أعمال أدبية معينة بعضها بالبعض ، وتنفتح أمامهم آفاق جديدة تتضمن دراسة التناص عبر شتى الثقافات ، ودراسة الثوابت والمتغيرات الثقافية في الأدب ، ومجموعات العناصر الأولية والعالمية ، بل وحتى الترجمة .

٢ - يتعرض تعريف الأدب المقارن للتغيير المستمر في هذا العصر ، الذي نسميه عصر العولمة والتثاقف ، وإن كان في الواقع عصر اشتداد الصراع بين الثقافات ، وهذه من المفارقات ؛ إذ ازداد إحساس الدارسين عمقًا بقصور الطرائق القديمة القائمة على مقارنة الأعمال الأدبية بعضها ببعض ، فانفتحت أمامهم آفاق جديدة تتضمن دراسة التناص فيما بين الثقافات المختلفة ، ودراسة الثوابت والمتغيرات الثقافية في الأدب ، ومجموعات خاصة من العناصر الأولية والعالمية ، بل والترجمة أيضًا .

الطول واحد تقريبًا (٦٤ و ٦٧ كلمة) ولكن بعض المعاني قد تغيرت

فالمترجم في كل حالة لا ينقل نصًا لغويًا بل ينقل مفهومه لمعناه ، والمفهوم يتطلب شكلاً جديدًا ما دام يوجه كلامه الآن إلى مستمع أو قارئ مختلف ، فهذا هو سر الترجمة المستترة التي يقتضيها تحليله للنص ، ولو شاء أن ينقل النص بأسلوب الترجمة السافرة لنقل العبارات الأولى مثلاً على النحو التالي :

٣ - يُعاد تعريف الأدب المقارن في هذا العصر ، عصر العولمة والتثاقف ، وعصر اشتداد الصراع بين الثقافات أيضًا ، وهذه من المفارقات . ويزداد الإحساس بعدم كفاية الطرائق القديمة في مقارنة الأعمال . . . إلخ .

وسوف أترك التعليق على هذه الترجمة - على صدقها وأمانتها للنص الإنجليزي - إلى ما بعد الأمثلة ، ويكفي أننا أوضحنا أن منهج « هاوس » ليس المنهج الوحيد القادر على إخراج ترجمة مستترة ، فما دام المترجم هو الفرد المنوط به تحويل النطاق الأجنبي إلى نطاق اللغة المحلية، فلا مناص من الاختلاف بين طرائق هؤلاء الأفراد . وفيما يلي نص عربي تنطبق عليه خصائص النص الإنجليزي كلها تقريبًا ، وإن كان الموضوع اقتصاديًا ، وهو منشور في صحيفة الأهرام القاهرية (١٧/ ٨/ ٢٠٠٢) وموجه إلى القارئ المصري أولاً والعربي ثانيًا ، والنطاق مقصور على المصطلحات العالمية الطابع ، والتراكيب « إعلامية » أي خبرية ، والزمن هو الحاضر والمستقبل ، وهذا هو النص :

برنامج للإصلاح المالي بإعادة هيكلة الدين العام
وتحديث الهيئات الاقتصادية
الالتزام برعاية محدودي الدخل
ونقل ملكية ٣٣ هيئة إلى بنك الاستثمار القومي

انتهت الحكومة من إعداد برنامج شامل للإصلاح المالي عن طريق إعادة هيكلة الدين العام وتطوير وتحديث إدارة الهيئات الاقتصادية

والاستثمارات العامة ، وكشفت دراسة أعدتها الحكومة في الفترة الأخيرة عن مجموعة من المقترحات تستهدف تحويل صافي حقوق ملكية الخزانة العامة في ٣٠ هيئة اقتصادية . . . والبالغة ٤٦ مليار جنيه إلى بنك الاستثمار القومي ، مقابل تخفيض مديونية الخزانة العامة للبنك بقيمة هذا المبلغ .

ولقد تعمدت - كما هو واضح - أن آتي بنص يتناول مادة مصرية « محلية» حتى أبين الاختلاف بين مفهوم المجال (الموضوع) والمادة (المضمون) فالموضوع اقتصادي ؛ ولذلك فهو محايد ويتطلب الترجمة المستترة وفقًا لتعريف « هاوس » مهما بلغت محلية المضمون ودلالاته الثقافية الخاصة ، فتعبير « الهيئة » اسم كلي عربي جديد وُضع ليشمل المؤسسات والشركات (بل والمصالح الحكومية أحيانًا مثل « هيئة البريد » the postal service (انظر مرشد المترجم ٢٠٠٠) ولا مثيل له في الإنجليزية المعاصرة بالدلالة نفسها (حتى لو قلنا entity أو establishment فالنظم الاقتصادية مختلفة) ؛ ولذلك فسوف يشعر القارئ حتمًا بأنه (باعتباره جزءًا من المضمون) أجنبي ، ولكن ذلك لا يمنع من أن يحس القارئ أن النص المترجم مكتوب أصلاً له ، ولو تناول ما يجرى في البلاد الأجنبية ، وسأقدم الترجمة وأترك للقارئ مهمة المقارنة :

A Financial Reform Programme involving the Restructuring of Public Debt and the Modernization of Economic Establishments

Continued Welfare measures for the lower-income groups, a government commitment

Public property rights in 33 establishments to be transferred to the National Investment Bank

The government has finalized a comprehensive financial reform programme involving the restructuring of public debt, management development and modernization in economic

establishments and public investments. A recent government study has unveiled a package of proposals for the transference of the net Treaury property rights in 33 establishments, totalling LE 46 m. to the National Investment Bank, in return for a reduction in the Treasury's debt by the same amount

الواضح أن هناك فروقًا بين النصين ، ولكن النص محايد في نطاقه ، والإضافات والتغييرات في النص المترجم لا تُعد من قبيل الأخطاء (سافرة كانت أو مستترة) فهي أساسية لإيضاح المعنى دون إسراف - فتعبير « الالتزام » يقصد به التزام الحكومة ، ومن ثم فإن إضافة كلمة « الحكومة » ليست في الحقيقة « إضافة » ، وهكذا فإن القارئ يعرف أنه يقرأ عن بلد أجنبي ، ولكنه مطمئن إلى أنه هو الذي يُخاطب في « المستوى الأول » لا « المستوى الثاني » وفقًا للمصطلح الذي وضعته « هاوس » .

ولكي ندرك مدى حياد النصين السابقين سأورد نصين « غير محايدين » من روايتين للكاتب البريطاني هـ. أ. بيتس H. E. Bates والكاتب العربي نجيب محفوظ . أما الأول فمن رواية عنوانها « عندما تضحك الغابات الخضراء » *When the Green Woods Laugh* وهو مكتوب بالإنجليزية الدارجة (وخصوصًا في الحوار) ويتناول موضوعًا مشبعًا بالدلالات الثقافية المحلية ، وأما مضمون الفقرة فيتعلق بما يسمى رياضة صيد الثعلب the hunt وفيها يخرج المتريضون على ظهور الخيل ، وأمامهم كلاب الصيد hounds ونافخو أبواق المسير ، ويطاردون الثعلب حتى يجدوه ، وإن كان الركوب في ذاته هو الرياضة المقصودة . وسوف نرى في نطاق النص ألفاظًا وتراكيب تشتبك مع المجال في خلق « عالم كلامي » خاص بالثقافة الإنجليزية في بريطانيا وحدها ، وتقتصر في الغالب على أبناء الطبقة الراقية ، ويروي المؤلف الرواية دائمًا من وجهة نظر أحد الشخصيات ، بحيث نحس كأنما نستمع نحن مباشرة إلى ما يعبر عن فكر الشخصية بلغته (الوظيفة فيما بين الأشخاص) كما نلاحظ أن

التماسك في النص مرده إلى الاتصال في النطاق العامي للغة بين الوصف والسرد والحوار .

Pop didn't answer. The hunt really didn't interest him this season. He was very busy and the present crowd were pretty rag-tag-and-bobtail. The country, too thickly wooded, with too many orchards, wasn't really good for hunting either.

Nor did Mrs Perigo interest him very much. Nobody could say he wasn't interested in women; he was ready and willing for them any time you cared to name. But Mrs Perigo wasn't quite his kind. Something about her, more especially the voluptuous glances, irked him. He didn't want to go hunting with her either, one way or the other.

" Well, anyway, even if I can't go," she said, " you could drop in for a stirrup-cup in the morning, before you went, couldn't you ? "

" Never drink in the mornings."

" No ? Simply can't believe it."

pp. 80-81

وها هي الترجمة « السافرة » - أي التي تطلعنا على ما يصوره بيتس في روايته دون أن تنسينا ولو للحظة واحدة أنها ترجمة ، مهما أحكمنا الصياغة العربية :

لم يجب « بوب » . فلم يكن يهتم برياضة الصيد في هذا الموسم ، بسبب مشاغله الكثيرة ، إلى جانب إحساسه بأن المشاركين هذه المرة من الطبقة الدنيا ، كما كانت تلك المنطقة الريفية تكتنفها الغابات اللّفاء وتنتشر في أرجائها البساتين فتجعلها غير صالحة لرياضة الصيد .

بل ولم يكن يولي اهتمامًا كبيرًا للسيدة بيريجو ، ولا يعني ذلك أنه لم يكن يهتم بالنساء ، بل لقد كان دائمًا مستعدًّا لهن وراغبًا فيهن في

أي وقت شئت ، ولكن السيدة بيريجو لم تكن من النوع الذي يحبه ، بل لقد كان يضيق بشيء ما فيها ، خصوصًا لفتاتها ونظراتها المثيرة ، ولم يكن يريد أن يخرج للصيد بصحبتها بأي حال من الأحوال .

وقالت له « طيب ! حتى إذا لم أتمكن أنا من الخروج ، فلماذا لا تمرّ عليّ في المنزل لشرب قدح من النبيذ قبل الركوب في الصباح - أقصد قبل الخروج ؟»

« لا أشرب مطلقًا في الصباح »

« حقّا ؟ لا أصدق ذلك» .

وإذا طبقنا منهج « هاوس » وجدنا أن على دارس الترجمة هنا أن يرى كيف اختلفت عناصر النطاق (وهو الذي يحدد النوع genre) اختلافًا شاسعًا بين النصين ، حتى مع الحفاظ على « المعنى الإحالي » للألفاظ ، ولكن المعنى لا بد أن يبدو لنا ناقصًا وفقًا لنظريات « تحليل الكلام » القائمة على النحو الوظيفي وما تضيفه « هاوس » إليها من أبعاد ثقافية اجتماعية ، ومن ثم فمن المحال أن نعتبر أن هذه الفقرة قد كتبها كاتب عربي لقارئ عربي ، بغض النظر عن صحة الألفاظ وصحة التراكيب النحوية ، فالنطاق مختلف ، وقد تقترب العامية العربية من نقل بعض ما استعصى نقله بالفصحى ، مثل كلمة « يهتم » والأقرب لها «غاوي » العامية ، و « الطبقة الدنيا » يمكن إبدالها بكلمة « بلدي » ، وكلمة « يحبه » يمكن إبدالها بتعبير « تدخل مزاجه » ، وهكذا - فحتى في السرد نجد أن نطاق الفصحى يعجز عن خلق الجو الخاص الذي يجعل الترجمة مقبولة أدبيًا ، فهي ترجمة ، والقارئ يعرف أنه يقرأ نصًا مترجمًا ؛ ولذلك فإن هاوس تطلق عليها تعبير « الترجمة السافرة » .

ولكن هناك سببًا آخر لم تذكره « هاوس » وإن كانت قد ألمحت إليه في غضون ذكرها للعوامل الثقافية الاجتماعية ، وهو أن طرائق التفكير والكلام

تختلف باختلاف الثقافة والمجتمع ، وهكذا فإن المترجم مهما ينجح في تطويع « طرائق » النص حتى تتلاءم مع « طرائق » اللغة المستهدفة ، فلن يستطيع أن ينجح نجاحًا كاملاً في الإيحاء بأن الفكر الذي يتحقق ، أي يتجسد في البناء « النحولفظي » فكر عربي ، وقد يجد القارئ العربي أن النص المترجم الحالي صحيح لغويًا ، أي قد يجده نصًا عربيًا سليمًا ، ولكنه لا بد أن يشعر بأنه ثمرة ذهن أجنبي لا وصف لموقف أجنبي فقط ، والقراء العرب الذين اعتادوا قراءة الترجمات يعرفون أنها تمثل فكرًا غير عربي وإن كانت الكلمات والأبنية عربية ، بل لو كانت تتحدث عن مواقف عربية ، وهذا هو ما ناقشته في كتابي « **مدخل ثقافي لترجمة اللغة العربية** » (٢٠٠٠) الذي كتبته بالإنجليزية (ص ٥٣ - ٦٨) .

وربما كان أنصع مثال على تأثير العامل الثقافي الاجتماعي في البناء « النحولفظي » - وهو كما سبق أن أوضحنا يتضمن الأبنية النحوية والألفاظ ، فالأبنية لها معنى مثلما تحمل الألفاظ معانيها - هو استخدام نجيب محفوظ للحوار بالفصحى في رواياته . إنه يحول الفكر وأبنيته من العامية إلى الفصحى ، أحيانًا بتحويل البناء والألفاظ لتتفق مع الفصحى ، وأحيانًا دون تغيير البناء ، استنادًا إلى أن الألفاظ فصحى . وها هو مقتطف من مشهد حواري من زقاق المدق :

قالت لها دون أن تحول عنها عينيها :

- مولودة في ليلة القدر والحسين !

فأمسكت حميدة عن تمشيط شعرها الأسود اللامع وسألتها ضاحكة :

- لم ؟ ماذا وراءك ؟ هل من جديد ؟

فخلعت المرأة ملاءتها وطرحتها على الكنبة ثم قالت بهدوء وهي

تتفرس في وجهها لتمتحن أثر كلامها فيه :

- عروس جديد !

فلاح في العينين السوداوين اهتمام ويقظة تخالطهما دهشة ، وتساءلت الفتاة :

- أ تقولين حقا ؟

- عروس كبير المقام يتمنع عن الأحلام يا بنت الكلب

- من عساه يكون ؟

- خمني . .

- من ؟

- السيد سليم علوان على سن و رمح

- سليم علوان صاحب الوكالة ؟

- صاحب الوكالة وصاحب الأموال التي لا يفنيها المحيط

- يا خبر أسود

- يا خبر أبيض ، يا خبر مثل اللبن والقشدة .

وها هي الترجمة وسأترك للقارئ مهمة المقارنة :

Fixing her eyes on her, she said :

- By Al-Hussein ! you must've been born in the night of power !

Hamida stopped combing her glossy black hair and asked with a laugh :

- What for ? What've you got ? what's new ?

The woman took off her *milaya* and flung it on to the sofa. Quietly, with her eyes fixed on Hamida's face to see the impact of her words, she said :

- A new suitor !

In the black eyes a glint of interest and eagerness shone, mixed with surprise, as the girl cried :

- It isn't true !
- A suitor in a great position, not to come by in dreams, you, daughter of a bitch !
- Who could it be ?
- Make a guess ?
- Who ?
- Selim Olwan, the great man, himself !
- Selim Olwan who owns the *wikalah* ?
- Who own the *wikalah* and has as much money as oceans have water !
- Awful, isn't it ?
- Rather wonderful, happy, delightful !

وأرجو أن يلاحظ القارئ في المقارنة كيف تختلف أبنية العبارات لا الألفاظ فقط في عملية التحويل ، سواء في هذه القطعة أم في القطعة السابقة ، وهذا ما تعتبره « هاوس » عيبًا أو خطأ ، ربما لأن نماذجها هي الألمانية والإنجليزية أساسًا ، واختلافات الأبنية بين اللغات الأوربية اختلاف سطحي لأنه لا يعكس اختلافات جوهرية في أبنية الفكر التي هي وليدة الثقافة ، ومن ثم كان اختلافي مع منهج « هاوس » .

والواقع أن منهج « هاوس » معقد ، وهو يطالب دارس الترجمة بعمل مضن شاق ، وإن كانت مزيته هي التأكيد على العامل الثقافي الاجتماعي في

تطبيقه لمنهج هاليداي في النحو الوظيفي ؛ ولذلك فهي تعتبر رائدة في هذا المجال ، وإن لم تصل شهرتها إلى شهرة منى بيكر ، التي سبقت الإشارة إليها، والتي وضعت كتابًا تعليميًا كان ولا يزال ذا تأثير كبير في دراسة الترجمة وعنوانه هو « بعبارة أخرى » أو **في كلمات أخرى** *In Other Words* (١٩٩٢) وتحاول فيه دراسة التعادل على عدة مستويات يأخذ بعضها برقاب بعض ، فالأول هو الكلمة ، يتلوها ما بعد الكلمة أو ما فوقها ، ثم النحو ، فالبناء الترتيبي للجملة ، والتماسك والتداولية ، ويهمنا هنا أن ننظر في تطبيقها لمنهج النحو الوظيفي في دراسة التماسك والبناء الترتيبي thematic structure (لاحظ كيف ترجمت الصفة الإنجليزية وانظر مناقشة ترجمة theme وصاحبتها rheme في فقرة سابقة) .

وتعتبر منى بيكر نموذجًا لكثير من الباحثين في الترجمة الذين يعتمدون اعتمادًا كبيرًا وتفصيليًا على مصطلحات النحو الوظيفي وتحليل الكلام ، فهي توجه جل اهتمامها للوظيفة النصية ، وهي تتعلق - كما قلنا - بديناميات بناء الجملة من حيث « البداية » theme و « سائر العبارة » rheme وقواعد التماسك ، والواضح أن بعض الدارسين الذين فُتنوا بقواعد النحو الوظيفي وجمال التحليل الذي نصادفه في الكتب التي تتناوله (وإن كنت لم أطلع إلا على عدد محدود منها) حاولوا تطبيق هذه القواعد على لغات أخرى (غير الإنجليزية) ومنها لغات قد تبدأ بالفعل لا بالاسم ، وقد يختلف فيها شكل الفعل باختلاف الفاعل ، وقد يختلف نظام الجملة فيها عن الإنجليزية ، وقد تختلف من ثم نظم التأكيد فيها على عنصر من عناصر الجملة ، والتأكيد (أو التميز) في مصطلح هاليداي هو markedness ومعنى التأكيد إذن هنا « تمييز » هذا العنصر بوضعه في موقع « بارز » في الجملة ، كأن يُقدَّم على غيره في البناء فتكون له الصدارة ، وقد يختلف هذا من لغة إلى لغة ، والحكم بمعيار البناء الإنجليزي وحده لا يصلح في جميع الأحوال . وهاك ما يقوله منداي

(٢٠٠١ - ص ٩٦) .

« الحقيقة هي أن نموذج هاليداي في تحليل الترتيب thematic analysis يعتمد على اللغة الإنجليزية ، وهي حقيقة لا بد أن تثير بعض الشك في صلاحية هذا النموذج للترجمة . وتقبل منى بيكر هذه الحقيقة (ص ١٦٠ - ١٦٧) كما تضع الخطوط العريضة لنموذج بديل لبناء الجملة هو المنظور الوظيفي للجملة functional sentence perspective وهو يأخذ في اعتباره ما يسمى « بالدينامية التوصيلية » إلى جانب ترتيب الكلمات ، ومن ثم فقد يكون أصلح للتطبيق في اللغات التي يكثر فيها الابتداء بالفعل قبل الفاعل ، ومع ذلك فإن منى بيكر تخلُص (ص ١٤٠) إلى أن إحدى المزايا المهمة للمدخل الوظيفي المنهجي هي أنه أيسر في التطبيق وأقل التواء ، فالموقع الأول يأتي فيه « موضوع » الجملة theme ، وليكن ما يكون . »

وللتدليل على عدم صلاحية تطبيق ذلك « النموذج » على العربية ، سأورد العبارة التي أوردها طومسون في كتابه المذكور (١٩٩٦ ص ١١٨ - ١١٩) لشرح ما يعنيه هاليداي ببناء البداية وسائر الجملة theme and rheme (انظر مناقشة ترجمة المصطلحين أعلاه) إذ يقول إنه رأى جملة وردت في إحدى الصحف البريطانية تقول :

1. For centuries, yellow canaries have been used to test the air in mining.

١ - (على مدى قرون ، كانت طيور الكناريا الصفراء تستخدم وما تزال « لاختبار » الهواء في المناجم) ويضيف قائلاً إن العبارة الاستهلالية « إضافية » أو « إضافة وصفية » adjunct وهي قد تُعرب وفقًا لنظم مختلفة ظرفًا أو حالاً أو صفة ، ولكنها تشغل نقطة البداية وتعتبر من ثَمّ « موضوع » الجملة theme وينتقل بعد ذلك إلى تقديم أشكال أخرى للجملة نفسها بغير

فيها من موقع هذه العبارة :

2. Yellow canaries have been used to test the air in mining for centuries.

٢ - كانت طيور الكناريا الصفراء تستخدم في « اختبار » الهواء في المناجم على مدى قرون طويلة .

3. Miners have used yellow canaries to test the air for centuries.

٣ - كان عمال المناجم يستخدمون طيور الكناريا الصفراء في اختبار الهواء على مدى قرون طويلة .

4. In mining, yellow canaries have been used to test the air for centuries.

٤- في المناجم كانت طيور الكناريا الصفراء تستخدم « لاختبار » الهواء على مدى قرون طويلة

5. To test the air in mining, yellow canaries have been used for centuries.

٥- بغية اختبار الهواء في المناجم ، كانت طيور الكناريا الصفراء تستخدم على مدى قرون طويلة

6. The air has been tested in mining for centuries by using yellow canaries.

٦ - كان الهواء « يختبر » في المناجم ، على مدى قرون طويلة ، باستخدام طيور الكناريا الصفراء .

وهو يعلق على ذلك قائلاً (ص ١١٩) إنه بدأ الرسالة في كل مرة من نقطة مختلفة ، أي إنه اختار موضوعاً أو بداية theme مختلفة لكل صورة من صور

الجملة المذكورة ، ويمضي بعد ذلك في تحليل أهمية موقع البداية قائلاً إن الجملة (١) تجعل « على مدى قرون » موضوعها فهي تتناول الموضوع من وجهة نظر تاريخية ، ولكن الجملتين (٢) و (٣) توحيان بأن « طيور الكناريا الصفراء » أو « عمال المناجم » هما موضوع الجملة ، وأما الجملة (٤) فتوحي بنقطة بداية « أضيق » ، وكذلك شأن الجملتين (٥) و (٦) . وتعليقنا على ذلك أنه مُوجّه إلى البناء في اللغة الإنجليزية وحدها ، ولكن مقارنة الترجمات العربية التي تحاكي البناء الإنجليزي قدر الطاقة تثبت أن بعض الأبنية الواردة لا تتفق وطبيعة اللغة العربية ، فأما الأبنية التي تتفق معها فهي التي تبدأ بالفعل « كان » أو « كانت » سواء كان الفعل بعدها مبنيّا للمعلوم (٣) أو للمجهول (٢) ؛ ولذلك فإن الحكم على نقطة البداية - باعتبارها الموضوع - وما يستتبع ذلك من تأكيد له ، أمر غير موثوق به في العربية ، وفي الترجمة منها وإليها .

وسوف أضرب الآن مثلاً إيضاحيّا موجزاً : إن جميع دارسي النحو الوظيفي بلا استثناء يركزون على بناء الجملة البسيطة clause - وقد تكون هذه الجملة جزءا من جملة طويلة sentence قد تتكون من عدة جمل بسيطة أو أشباه جمل وعناصر لفظية أخرى ، وإن لم تبد كذلك لأول وهلة ، فإذا طبقنا ذلك على اللغة العربية وجدنا اختلافات ترجع إلى الفارق بين طبيعة العربية والإنجليزية ، فالجملة البسيطة بالإنجليزية لا بد من وجود فعل فيها ، وفي العربية قد توجد أفعال لا مقابل لها بالإنجليزية (مثل « يعدل » و « يجهل » - أي to be just / fair و to be ignorant) ومن ثم تستحيل المضاهاة بنائيا بين اللغتين . انظر ما قاله مندوب كسرى حين رأى عمر بن الخطاب نائمًا بلا حرس عند المسجد : « حكمت فعدلت فأمنت فنمت يا عمر ! » إنها مجموعة من الجمل البسيطة المتوالية (يربطها رباط التتابع أولاً ثم رباط السببية - الذي يسميه طومسون « منطق » الربط) ولا سبيل إلى تغيير بناء هذه الجملة الطويلة وفقًا لقواعد النحو الوظيفي ، إلا إذا شئنا الابتداء بحرف النداء والمنادى ! وليس هذا

بالتغيير الكبير !

You have ruled, (have) been just, (have) felt safe, and so (have) slept, O Omar !

أي إن دينامية البناء هنا محكومة بتسلسل المعاني ، واستناد بعضها إلى بعض ، وانظر إلى التغيير الذي أحدثه حافظ إبراهيم حين أخرج هذه المعاني نظمًا :

أمنت لما أقمت العدل بينهمو   فنمت نوم قرير العين هانيها

You feel safe, having established justice among your people, and now sleep with an easy conscience and a happy heart

لقد غير حافظ إبراهيم من تسلسل « الأفعال » التي هي جوهر كل «جملة بسيطة » وحذف الفعل الأول (حكمت) لأنه مضمر في إقامة العدل ، إذ لا يعدل إلا من يحكم﴿ فإذا جكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ﴾ (النساء - ٥٨) و « العادل » هو من يعدل في حكمه لأن كلمة الحكم لا تعني السلطة بل تعني الفصل في الأمور ، ومنها الفتوى (وكلاهما بالإنجليزية هو ruling) - وأضاف حافظ ما اقتضاه الشعر من وصف لهناء السريرة والعين القريرة - ولكن تغيير حافظ لتسلسل الأفعال لم يغير من المعنى، وإن كان قد غير من الصورة النثرية المضغوطة ، فحولها إلى صورة شعرية مبسوطة .

وهذا يدلنا على أن لكل لغة بنيانها ، كما يدلنا على أن التغيير في العربية لم يحدث تأثيرًا كبيرًا في المعنى ، وإن كان له تأثيره فيما يسمى « بجماليات النص » ، وهو ما نستفيده من هذا المنهج الجديد ، بل إنه يعتبر أهم ما أتى به تطبيق منى بيكر لمنهج النحو الوظيفي ، أي دفع المترجم إلى إدراك التميّز أو التأكيد النسبي relative markedness لعناصر البناء ، أي لما يسمى بالمعلومات وتنظيمها في الجملة . وهي تقول (ص ١٢٩) إن من شأن ذلك تعميق الوعي

بالاختيارات ذات الدلالة التي يتخذها الكُتّاب والمتحدثون في أثناء عملية التوصيل ، ولكن ذلك لا يعني - في رأيي - أن ما يتميز في لغة ما بسبب موقعه في الجملة سوف يتميز حتمًا في الموقع نفسه إذا اختلفت اللغة ، والترجمة الصادقة لا تعني إخراج نسخ طبق الأصل في البناء وترتيب الألفاظ، وإلا وجدنا أننا نرجع القهقرى إلى عصر ترجمة الكلمة بالكلمة (انظر الفصل الأول) ولكننا نستفيد من المنهج فحسب في الاهتداء إلى ما في النص الأصلي من مواطن التميز أو التأكيد الراجع إلى مواقع الكلمات دون الالتزام بالحفاظ على تلك المواقع في اللغة العربية . وانظر مطلع قصيدة كنيسة تِنْتِرْن Tintern Abbey للشاعر و وردزورث :

Five years have passed; five summers with the length
Of five long winters ! and again I hear
These waters, rolling from their mountain springs
With a soft inland murmur.

خمسة أعوام سَرَبَتْ ، خمسة أصياف في طول الأشتاء الخمسة
وإذا بي ثانية أسمع هذه الأمواه المنحدرة
من بعض ينابيع الجبل
باعثة همسات الرقة في جنبات الأرض !

إن الترجمة العربية تحافظ على موقع البداية في البيت الأول ، ربما بسبب التميّز الواضح في موقع الاسم هنا ودلالته على الزمن ، وكان يمكن أن تقول « مرت خمسة أعوام » أو « سَرَبَتْ خمسة أعوام » دون الإخلال بالمعنى أو بالوزن ، ولكن الشعر تطلب التميّز نفسه ، وكذلك حافظت الترجمة على الترتيب في الجملة الثانية ، وكان يمكن أن نقول « وإذا بي أسمع ثانية » دون إخلال بالمعنى أو الوزن ، ولكن ذلك ليس قاعدة عامة ، فقد لا يصلح في النثر ، بل قد تقتضي الترجمة الشعرية نفسها تغيير البناء والابتداء بالفعل حين

يفرض « التفسير » الشعري هذا التغيير ، وانظر إلى مطلع قصيدة The Rainbow (أي قوس قزح / قوس المطر / قوس الغمام) للشاعر نفسه :

My heart leaps up when I behold
A rainbow in the sky

إن للمترجم أن يحافظ على الفاعل في موقع الابتداء ، كأن يقول « قلبي يرقص طربًا . . . » أو (قلبي يتواثب في صدري / إن لاح لنا قوس المطر) وله أن يقول أيضًا - وفقًا لتفسيره الخاص :

ما زال قلبي يستخفه الفرح
إذا رأيت في السما قوس قزح

وتعرضت كتب كثيرة ، كما يقول منداي (٢٠٠١ - ص ٩٦) ، إلى العيوب الكامنة في محاولة فرض نظام الجملة الإنجليزي على الترجمات إلى اللغات الأخرى ، مثل كتاب ڤاسكويز - أيورا Vazquez-Ayora (بالإسبانية) وكتاب جيرزيميش-أربوجاست Gerzymisch-Arbogast (بالألمانية) ويقول الكتاب الأول الصادر في عام ١٩٧٧ (وفقًا لما يقوله منداي): إن المحاكاة الصارمة لبناء الجملة الإنجليزية عند الترجمة إلى الإسبانية وهي لغة تبدأ الجملة بالفعل قبل الاسم ، يؤدي إلى إخراج نص رتيب مفتعل ، وتقول مؤلفة الكتاب الثاني (الصادر في عام (١٩٨٦) إن محاكاة نظام الجملة الإنجليزية المشطورة cleft sentences تؤدي إلى ركاكة الأسلوب بالألمانية ، ويضيف منداي أن هذه الانتقادات تصور المعضلة التي تتمثل في محاولة إيجاد التوازن بين « ديناميات الإخبار » (أي صور التغيير في عناصر الإخبار عن شيء ما في الجملة) وبين الاهتمام المشروع بأنساق البناء الأساسية في اللغة المستهدفة (النصوص المترجمة).

ويقول منداي (٢٠٠١ - ص ٩٦ - ٩٧) بعد عرضه للآراء المعارضة لهذا

المنهج إن السبب في تركيز الباحثين في نظرية الترجمة على « الوظيفة النصية » وخصوصًا على البناء الداخلي للجملة قد يعزى إلى الكتب التي وُضعت في مبحث لغويات النص ، من وجهة نظر لغة واحدة monolingual والتي اهتمت بهذه الوظيفة دون غيرها وكان لها تأثيرها الواسع المدى ، وخصوصًا كتاب إنكفيست Enkvist (١٩٧٨) وكتاب بوجراند ودرسلر Beaugrande and Dressler (١٩٨١)؛ إذ كان لهذين الكتابين تأثير كبير في أصحاب نظريات الترجمة (انظر قائمة المراجع) ولكن بعض الباحثين قد نظروا أيضًا في التماسك وهو العنصر الآخر من عنصري الوظيفة النصية ، مثل الدراسات التي قامت بها س. بلوم - كولكا S. Blum-Kulka ونشرتها أول مرة عام ١٩٨٦ وأدرجها ڤينوتي في كتابه المشار إليه (٢٠٠٠) بعنوان « التغيرات في التماسك والاتساق في الترجمة » ، وهي تفترض في هذه الدراسة أن المترجم عادة ما يزيد عند ترجمته من أدوات الربط والتماسك ، وهي - في رأيي - على صواب ، فالمترجم دائمًا ما يساوره القلق على تماسك النص الذي « يكتبه » ، بغض النظر عن الاختلافات الطبيعية بين اللغات ، وهو لذلك حريص على ألا ينقطع خيط الفكرة بانتهاء الجملة ، وقد خبرت ذلك بنفسي في الترجمة من الإنجليزية أو إليها .

ولكن أدوات الترابط والتماسك قد تختلف فيما بين اللغات ، وهو ما تشير إليه منى بيكر (ص ٢٠٦) وتؤيده بنصوص من البرتغالية والعربية وترجمتها ، فالعربية تفضل تكرار اللفظة نفسها على تكرار المعنى بلفظة مختلفة ، وهذا صحيح إلى حد كبير ، ولكنه يصدق على العربية المعاصرة فحسب ، وهي على أي حال اللغة المستعملة في الترجمة . وأما الاتساق النابع من التماسك فهو يرجع في رأي منى بيكر إلى « الوظيفة التداولية » pragmatics وهي تنظر في شتى جوانب « التعادل التداولي » في الترجمة ، وتطبق المفاهيم اللغوية المناسبة على الترجمة ، وتبدأ بتعريفها « للتداولية »

قائلة إن مبحث التداولية يدرس استعمال اللغة ، فهو يختص بدراسة المعنى ، لا المعنى الذي « يولده » النظام اللغوي ، بل المعنى الذي يقوم المشاركون في « موقف توصيلي » بإخراجه وتوصيله والتحكم فيه . (ص ٢١٧) ، وأما المفاهيم اللغوية التي تدرسها ، والجديرة بالنظر في هذا الكتاب ، فهي مفهوم الاتساق coherence والافتراض المسبق presupposition والإضمار implicature .

وتقول منى بيكر (ص ٢١٩) إن اتساق النص ، الذي يرجع إلى التماسك ، « يعتمد على توقعات السامع أو المستقبل وخبرته بالدنيا » ، وهو ما قد يختلف فيه قارئ النص الأصلي عن قارئ النص المترجم ؛ ولذلك فقد يميل المترجم إلى إضافة ما يحتاج إليه النص المترجم من معلومات (على نحو ما فعلتُ عندما أضفت كلمة « طائر » إلى « الحسون » في القصيدة المترجمة عن براونج ، وتحاشيت استعمال « الحُباحب » في ترجمة قصيدة بليك في الفصل السابق) ويتصل الافتراض المسبق اتصالاً وثيقًا بالاتساق ، وهو يعني ما يفترضه المتحدث أو الكاتب سلفًا في السامع أو القارئ من علم أو خبرة بالموضوع ، وقد يكون ذلك خارج نطاق النص أو داخله ، أي قد يكون لغويًا أو خارج نطاق اللغة extralinguistic وتعرفه منى بيكر (ص ٢٥٩) بأنه القدرة على « الاستنباط التداولي » pragmatic inference بمعنى قدرة السامع أو القارئ على استنباط المعنى لا من سياق النص وحده بل من ظروف القول ، شفاهة أو كتابة ، فعندما يشير محمد سلماوي في مقال له في الأهرام إلى «نواب القروض» ، فهو يفترض سلفًا أن القارئ يحيط بقضية الذين اقترضوا ملايين الجنيهات من البنوك دون ضمانات وصدرت عليهم أحكام رادعة ، ولكنه إن ترجم هو نفسه مقاله إلى الإنجليزية أو الفَرنسية وهو يجيدهما إجادة تامة ، فقد يضطر إلى « إضافة » ما يفسر قوله لصالح القارئ الأجنبي . والذي يراجع ترجمتي للخبر الخاص بالمحادثات بين مصر والسودان لن يجد أي إضافات بسبب ثقتي في معرفة القارئ الأجنبي بمشكلة جنوب السودان .

ومنى بيكر تناقش هذا الجانب مناقشة موجزة ، ولكن فوسيت Fawcett الذي سبقت الإشارة إلى كتابه الصادر عام ١٩٩٧ يخصص له فصلاً كاملاً ، ويضرب أمثلة من ترجمة بعض نصوص اللغة المجرية إلى اللغة الإنجليزية لإثبات ضرورة وعي المترجم باختلاف خلفية متلقي النص المترجم عن متلقي النص الأصلي ، وعدم توازي الافتراضات المسبقة في الحالتين . وقريب من أمثلته من يضطر إلى ترجمة عبارة بالعامية المصرية مثل « معلهش ! أصله صعيدي ! » ، فاستعمال الصفة هنا قد يوحي بمعنى « السذاجة » ، ولكن عبارة أخرى « كلام نهائي ! أنا صعيدي ! » تجعل الصفة تحمل معنى صلابة الرأي أو العناد ، وهكذا يجد المترجم أن عليه أن يرجع إلى افتراضات مسبقة خارج النص عن تلك الصفة ، ثم يترجمها بما يتفق مع السياق ، أي مع النص. وأذكر أن زميلنا المترجم إبراهيم ثابت (في الأمم المتحدة في جنيف) كان حين يغضب من الأجانب أو يشتبك معهم في نقاش تعلو نبرته وتحتد ، يصيح قائلاً بالإنجليزية: ! I am upper-Egyptian فيحارون في فهم مقصده، وكم ضحك زميلنا المترجم النابه رفعت لطفي (الذي كان رئيسًا لقسم الترجمة العربية) من هذه الصيحة !

وأما الإضمار implicature فقد ناقشته تفصيلاً في كتابي **المصطلحات الأدبية الحديثة** (ص ١٠٢) في غضون مناقشة نظرية فعل الكلام speech act theory وعرضت لآراء جرايس Grice (١٩٧٥) وما أضافه براون وليفنسون Brown and Levinson (١٩٨٧) ولذلك فلن أتعرض له هنا ، رغم إفاضة « منى بيكر » فيه ، إلا فيما يتعلق بالترجمة ، فهي تقول إن مراعاة المبادئ الأربعة التي وضعها جرايس (الكم والكيف والصلة والطريقة) والمبدأ الخامس الذي أضافه الكتاب الأخير (١٩٨٧) وهو مبدأ « التأدب » أو « مراعاة الذوق العام » ، تحكم علاقة المتحدث بالمخاطب ، ولا بد أن يكون المترجم على وعي بها ، أي على ما يسمى « **بمبادئ التعاون** » التي قد تتفاوت فيما بين اللغات والثقافات

(ص ٢٣٦) . ولأضرب لها مثلاً من خبرتي الشخصية ، فإذا طلبت طلبًا من إنجليزي (بريطاني) وقال لك – بغض النظر عن النبرة – I'll see what I can do فإنه غالبًا يفيد الموافقة ، فالسامع إن كان إنجليزيًا (بريطانيًا) سوف يتوقع – وفقًا لمبدأ الطريقة – أن يجيبه المسئول إلى طلبه ، ولكن المترجم العربي الذي لا يتوافر له مبدأ التعاون نفسه ، يمكن أن يصوغها على هذا النحو « سأرى ما أستطيع أن أفعل » أو يجد لها ما يظنه مقابلاً بالعامية وهو « ربنا يسهّل » أو « إن شاء الله خير ! » والأخيرتان تنتميان لمبدأ التأدب عادة ، ومن ثم قد لا تتضمنان الوعد بالإنجاز ، وقس على هذا شتى أساليب التخاطب في العربية والإنجليزية ، وهي التي تنتمي إلى النظم الثقافية والاجتماعية التي تحكم استعمال اللغة ، مما يجعلنا مرغمين على النظر إلى اللغة باعتبارها «خطابًا » بالمعنى العام discourse الذي يتضمن الفكر واللغة معًا .

وكان هاليداي نفسه من أوائل من تعرضوا لهذا الجانب في كتابه الذي أصدره عام ١٩٧٨ بعنوان **اللغة باعتبارها نظام علامات اجتماعي** *Language as Social Semiotic* وقد انتفع به دارسان اشتركا معًا في تأليف كتابين كان لهما تأثير واسع النطاق ، والدارسان هما باسل حاتم وإيان ماسون Basil Hatim & Ian Mason اللذان يعملان في مركز الترجمة بجامعة هيريوت واط Heriot-Watt في إدنبره باسكتلندا ، وأما الكتابان فهما « **الخطاب والمترجم** » *Discourse and the Translator* (١٩٩٠) و« **المترجم بصفته مُوصّلاً** » *The Translator as Communicator* وهما يبديان اهتمامًا زائدًا في غضون دراسة الدلالة الكلامية للنص (أو ما يمكن تسميته على ضوء منهجهما بدلالة الخطاب في النص discourse semantics) بدراسة **الوظيفة الخاصة بالفكرة** ideational **والوظيفة فيما بين الأشخاص** interpersonal في الترجمة (بدلاً من الاقتصار على الوظيفة النصية) ويدرجان في منهجهما مستوى جديدًا « للخطاب » يسميانه مستوى العلامات أو المستوى السيميوطيقي a semiotic level of

discourse وهما يحللان نماذج من الترجمة من الفرنسية لإثبات أن التغييرات التي طرأت في الترجمة على « وظيفة التعدي » transitivity function التي تتجلى في اللغة الفرنسية في الأفعال التى تفيد القصد والعمد وإيجابية الحركة (وهو المقصود بالتعدي هنا) قد أثرت في الوظيفة الخاصة بالفكرة في النص ، عندما تحولت في الترجمة الإنجليزية إلى أفعال أحداث events شبه لازمة أقرب ما يماثلها بالعربية أفعال المطاوعة ، والمثال من العربية هو تحويل « صفقت الباب » إلى « انصفق الباب » وإذا كان الباب يوصف بأنه فاعل هنا فهو ليس الفاعل الحقيقي بل هو ما يوصف بأنه patient وهو أقرب الحالات إلى نائب الفاعل . والمثال الآخر قولك « جهز الرّجال أنفسهم وشرعوا يسيرون » التي قد تتحول في الترجمة إلى « تجهز الرجال وبدأت مسيرتهم » ويرى الباحثان أن مثل هذه التغييرات تؤثر في وظيفة التعدي - بمعنى أنها تقلل من صفة العمد لدى الفاعل ، فليس المقصود بالتعدي أن يكون الفعل متعديًا ، وهو ما يوحي به اشتقاق الكلمة الإنجليزية (والعربية) فالفعل « شرع » لازم ، ولكنه يفيد الفعل العامد ، وكذلك الفعل « يسير » فهو لازم ، ولكنه يوحي بأنه فعل إرادي . وأما في الجملة الثانية فإن درجة العمد والإرادة تقل - في نظر الباحثين - وإن لم يختلف المعنى ، مما يؤثر في الدلالة العامة للنص ، بسبب التغير في الوظيفة الخاصة بالفكرة . ويقول الباحثان إننا إذا وجدنا نسقًا pattern كاملاً من هذه التغييرات في ترجمة رواية ما فقد يدل ذلك على تغيير من وجهة النظر الثقافية أو الاجتماعية ، وسواء كان هذا التغيير مقصودًا أو غير مقصود فلا بد من دراسته .

ويتعرض الباحثان أيضًا للتغيير في الطريقة modality وهي التي تتصل بالوظيفة فيما بين الأشخاص ، وتتبدى أكثر ما تتبدى في ترجمة الأفعال وأزمنتها ، وليتهما ضربا أمثلة من العربية (فأحدهما عربي) والعربية زاخرة بالأمثلة ، ولكنهما يقتصران على اللغات الأوربية ، وبخاصة الفرنسية ،

وسوف أقدم نموذجًا أو اثنين لتوضيح ما يعنيان . جاء في الحديث الشريف « لو اطلعتم على الغيب لاخترتم الواقع » فالحرف « لو » ينفي قطعًا إمكان الاطلاع على الغيب ، وهو يختلف عن الحرف « إذا » أو « إن » (انظر المثال السابق من القرآن الكريم) وقد يترجم على النحو التالي :

If you *had* knowledge of the unseen, you would
prefer your present state

ولكنه كثيرًا ما يترجم كما يلي :

If you (could) know the unseen, you would prefer the present state

والوظيفة المشار إليها تتأثر قطعًا هنا ، فالنحو له معنى ، وطريقة بناء زمن الفعل عنصر أساسي من عناصر **الطريقة** modality وسواء أضفنا could إلى المثال السابق أو لم نضفها ، فالتغيير واقع ، ولكن الطريقة في رأي الباحثين قد تتجلى أيضًا في اختيارات لفظية قد يلجأ إليها المترجم دون وعي كامل . وانظر ترجمة هذه الفقرة من أحد كتب التاريخ الحديثة ، وقد وردت الترجمة في سياق كتاب تاريخ أجنبي ، يقول النص العربي :

عندما علم أبناء البلد بنبأ تعيين خورشيد باشا ثاروا واتجهوا إلى منزل محمد علي ونادوه ، وكان القنصل الإنجليزي على اتصال بالباب العالي ، فأخبره بثورة أبناء القاهرة ، وهو ما كان يخشاه ؛ لأن الثورة تعني اضطراب الأحوال .

وهذه هي الترجمة المنشورة :

When the natives heard that Khorshid pasha had been appointed ruler they rose up in revolt. They went to Muhammad Ali's house and called on him. The British consul had been in contact with *La Porte Haute* : he now broke the

news of the natives' revolt fearing that any disturbances would lead to instability.

إن اختيار المترجم لتعبير natives في ترجمة « أبناء البلد » (على صحتها) وموازاتها « بأبناء القاهرة » يدل على وجهة نظر أوربية في تناول الحدث ، فقد ارتبطت الكلمة في العهد الاستعماري بإطلاقها على أبناء الشعوب المستعمرة ، وكان من العبارات الشائعة (ولا تزال) عبارة the natives are restless أي أن أبناء الشعب في قلق ، والمقصود بها الشعب الخاضع للاستعمار ، وكان يمكن للمترجم أن يقول Egyptians أو Cairenes أو citizens وربما تصور أن أبناء البلد تعني العامة من الصناع والتجار (جمع « ابن بلد » العامية) ولكن ذلك مردود عليه بوجود إشارة أخرى إليهم باسم « أبناء القاهرة » ، وانظر أيضًا إلى ترجمة لكلمة الثورة الثانية بكلمة disturbances التي تحط من قدر الثورة ، وكان يمكن أن يقتصر على instability فحسب ، فهي تفي بالغرض ، ولكن الترجمة تؤكد وجهة النظر الأوربية Eurocentric في ترجمة الفقرة .

وهكذا ترى أن ما يسميه حاتم وماسون بالأسس اللازمة لوضع نموذج لتحليل النصوص (١٩٩٧ - ص ١٤ - ٣٥) أسس تتضمن وإن كانت تتخطى تحليل النطاق عند هاوس والتحليل التداولي عند منى بيكر ، فهي أسس تجمع بين التحليل من القاعدة إلى القمة ، وبين التحليل من القمة إلى القاعدة عند النظر في المستوى السيميوطيقي للنص ، فهما يريان أن اللغة والنصوص تجسيد لرسائل ثقافية اجتماعية وعلاقات السلطة أو « القوة » ، وهي التي تمثل الخطاب بأوسع معانيه ، فهما يعرفانه بأنه طرائق الحديث أو الكتابة التي تتعلق بفئات اجتماعية معينة ، وتتميز باتخاذ موقف خاص إزاء مجالات النشاط الثقافي والاجتماعي ، كأن يكون هناك خطاب عنصري ، أو لغة بيروقراطية وما إلى ذلك (١٩٩٧ ص ٢١٦) وأما المستوى السيميوطيقي فيتخطى التحليل الدقيق - أي على المستوى الجزئي الأصغر microlevel إلى التحليل

الكلي ، وهما يضربان المثل بحديث « إلايزا دولتيل » Elisa Dolittle في مسرحية بيجماليون لبرناردشو باعتباره دليلاً على الانتماء إلى طبقة معينة هم أبناء لندن (ولاد البلد) واستحالة ترجمته إلى العربية الفصحى لأنه - كما يقول - المستوى اللغوي الذي لا يقبل غيره في الترجمة الأدبية العربية (ص ٩٠) ولكن هذا يتضمن إغفال الترجمات العامية التي أنجزها البعض لبعض المسرحيات الإنجليزية ، فبعضها حديث مثل مسرحية البيت لدافيد ستوري David Storey التي ترجمها كاتب هذه السطور إلى العامية المصرية (انظر ثلاثة نصوص من المسرح الإنجليزي) وبعضها قديم مثل ترجمات سمير سرحان ونعمان عاشور ومصطفى صفوان لشيكسبير إلى العامية المصرية ، ولكن حاتم وماسون محقان على أية حال في التنبيه إلى هذا المستوى السيميوطيقي ، فنقل العامية اللندنية إلى العامية القاهرية (ولو كانت عامية المثقفين - وفقًا لتعريف الدكتور السعيد بدوي) محفوف بالمخاطر ، ويتضمن تحويلات في نظم العلامات لم يتعرض لها في حدود علمي إلا باحث أو باحثان ، وأحدثهم هو الدكتورة هدى شكري عياد التي أعدت دراسة عن ترجمات عطيل إلى الفصحى والعامية .

ويقول منداي (٢٠٠١ - ص ١٠١) إن حاتم وماسون يقترحان أسسًا لنموذج خاص بتحليل النصوص ، ولكنهما يتعرضان في الواقع لعدد كبير من المفاهيم ، وإنه يشك في كون منهجهما نموذجًا يصلح للتطبيق - بالمعنى المألوف للكلمة - وإن كان من الممكن الرجوع إلى تلك المقترحات باعتبارها مجموعة من العناصر التي على الدارس أن يأخذها في اعتباره ، فهما يركزان مثلاً (ص ٢٧ - ٣٥) على تحديد العناصر « الدينامية » و « الثابتة » في النص ، وهي عناصر يتصل بعضها بالبعض وتتصل باستراتيجية الترجمة ، فالعناصر الثابتة تتطلب الترجمة الحرفية ، والعناصر الدينامية تتطلب التصرف . وقد

سبق أن أوضحنا أن أمثال هذه الأحكام قد تخضع لوجهة نظر المترجم ، وسوف تظل ذاتية مهما اكتست الثوب العلمي . وليس ذلك هو النقد الوحيد الذي يوجه إلى مناهج تحليل الكلام والنطاق في الترجمة ، على ما سنرى .

من أهم الانتقادات التي وجهت إلى تطبيق « النماذج» (أي المناهج الثابتة) لتحليل الكلام في دراسة الترجمة ، وهي القائمة على « نموذج » هاليداي ، ما سبق أن قيل عن التعقيد المفرط الذي يتسم به النموذج الأخير في تقسيم الفئات النحوية وتصنيفها ، وما يبدو للدارسين من جموده في نسبة معنى معين لكل بناء على حدة ، على نحو ما جاء في دراسة فيش Fish المشار إليها ، فذلك الجمود من شأنه أن يجعله عاجزاً عن تحليل الأشكال الأدبية « التجريبية » ، وكان ذلك ما دعا فاولر Fowler إلى اتخاذ موقف يتسم بالمرونة في تطبيقه لذلك « النموذج » (انظر كتابه **النقد اللغوي** ١٩٨٦/ ١٩٩٦) وكذلك فعل كتاب سيمسون Simpson وعنوانه « **اللغة والأيديولوجيا ووجهة النظر** » (١٩٩٣) فالكتابان يقتصران على تطبيق بعض العناصر المفيدة ويدرجان بعض عناصر النقد الأدبي في التحليل اللغوي . وأما كتاب « جات » Gutt بعنوان « الترجمة والصلة : المعرفة والسياق » (١٩٩١/ ٢٠٠٠) فينقضُّ على « نموذج » جوليانه هاوس ، ويبين بعض أوجه القصور التي ألمحنا إليها في تحليلنا لمذهبها في تبيان التفاوت بين النص الأصلي والنص المترجم .

وسوف أورد الآن النقد الذي وجهه منداي (٢٠٠١ - ص ١٠٠ - ١٠١) إلى هذه المناهج جميعًا ، فهو يقول إن أطر التحليل اللغوي التي وضعها أصحاب نظريات الترجمة الذين افتتنوا بمذهب هاليداي تقوم جميعًا على اللغة الإنجليزية ، وهو يصفها بأن لها توجهًا إلى اللغة الإنجليزية English - language oriented وهو يقول إن ذلك يتسبب في مشكلات جمة عندما يتعرض الدارس للغات الأخرى ، خصوصًا في تحليل الأبنية ، على نحو ما سبق

إيضاحه ، ويضيف قائلاً :

« وأما اللغات الأوربية التي تتسم بأبنية مرنة وتصاريف للأفعال تتغير بتغير الفاعل ، مثل البرتغالية والإسبانية ، فلا بد من تطبيق نظم مختلفة في تحليلها ، وتزداد هذه المشكلة خطورة إذا حاول أحدهم فرض مثل هذا اللون من التحليل التقابلي على لغات غير أوربية ، إذ قد يختلف بناء مفاهيمها اختلافات جوهرية . »

وقد تكون اللغة العربية من تلك اللغات الأخرى ، كما سبق لي أن أوضحت في كتبي عن الترجمة بالعربية والإنجليزية ، فالاختلافات بين اللغات محتومة وهي تتصل دون شك بالاختلافات الثقافية ، وقد أفاض الدكتور زكي نجيب محمود في الحديث عن ذلك في مقالاته الأخيرة ، ويُعتبر لورانس ڤينوتي (انظر كتابه فضائح الترجمة : **نحو شرعة الاختلاف** – ١٩٩٨) من النقاد الذين يرون أن المناهج القائمة على علوم اللغة تفرض « نموذجًا محافظًا للترجمة من شأنه وضع القيود – دونما داع – على الدور الذي يضطلع به (المترجم) في التجديد والتغيير الثقافي » (ص ٢١) . ولنضرب نموذجًا من هجوم ڤينوتي على المبادئ التي وضعها جرايس (انظر ما ذكرناه عن الإضمار) فهو يقول إنها لا تصلح إلا للترجمة في مجالات معينة مثل ترجمات الوثائق القانونية والتقنية ، والواقع أن منى بيكر قد أثبتت وعيها بالانحياز الثقافي في هذه المبادئ « إلى العالم الناطق بالإنجليزية » (١٩٩٢ – ص ٢٣٧) .

ولا بد لنا – إنصافًا لحاتم وماسون – أن نذكر أنهما قد بذلا جهدًا كبيرًا لإدراج فكرة أو أفكار هاليداي عن الثقافة والأيديولوجيا في تحليلهما للترجمة ، بل إنهما يخصصان فصلاً كاملاً للأيديولوجيا في كتابهما الأخير (١٩٩٧ – ص ١٤٣ – ١٦٣) وذلك على الرغم من تركيزهما المنوقع على اللغة ، سواء في المصطلحات التي يستخدمانها أو في الظواهر التي يحللانها ،

ولقد ضربنا من الأمثلة العربية التي توضح منهاجهما ما يكفي لإيضاح جوانبه الإيجابية .

وإذا كان هذا التطور نحو إخراج دراسات الترجمة من الأطر اللغوية الضيقة قد ازدهر في التسعينيات ، فلقد ساعد عليه اتجاه نشأ في السبعينيات ولم يلق حظه من الاهتمام حتى عهد قريب ، وهو يتميز بتوسيع نطاق النظرة إلى الترجمة والأدب المترجم ، وربط ظواهرها بغيرها من الظواهر الثقافية والاجتماعية ، ونعني به نظرية تعدد النظم polysystem theory التي نشأت في ذلك الوقت وأدت إلى تغييرات لا بد من رصدها ، وأهمها الاتجاه الثقافي العام في دراسات الترجمة .

الفصل السادس

المداخل العامة والثقافية

ولدت نظرية تعدد النظم Polysystem theory في أواخر السبعينيات ، وكان صاحبها هو إيتامار إيفن-زوهار Itamar Even-Zohar الذي اعتمد فيها على بعض نظريات أصحاب المدرسة الشكلية في النقد الأدبي في روسيا ، إبان العشرينيات ، الذين بحثوا في طرائق كتابة تاريخ الأدب literary historiography وأهم ما قالوا به هو أن العمل الأدبي لا يجب أن يدرس وحده بل باعتباره جزءًا من « نظام أدبي » وهو المصطلح الذي وضعه تينيانوف Tynjanov عام ١٩٢٧ - في دراسة تُرجمتْ إلى الإنجليزية في ١٩٧٨ - (منداي ٢٠٠١ ص ١٠٩) ويعني به « هيكل الوظائف المنوطة بالنظام الأدبي والتي تتداخل علاقاتها على الدوام مع الوظائف المنوطة بالنظم الأخرى » . وهكذا يمكن اعتبار الأدب جزءًا من الإطار الاجتماعي والثقافي والأدبي والتاريخي ، وأما المفهوم الأساسي هنا فهو مفهوم النظام system الذي يشهد حركة تغير داخلي أو ما أسميناه بالتحول اصطلاحًا mutation وهي حركة دائمة ، وتتضمن أيضًا صراعًا دائبًا من أجل احتلال الموقع الأول في الأدب المعتمد the literary canon ويقصد « تينيانوف » بذلك ، طبقًا لما يقوله الشُّراح ، أن التغيرات في الأدب (كالصراع بين القديم والجديد في الشكل أو في المضمون) ترتبط بالنظام الذي تتداخل وظائفه وتتشابك مع وظائف النظم

الأخرى ، فقد يتغلب الشكل الجمالي للقصة أو للرواية ويحتل موقع الصدارة في الأدب المعتمد حين تكون الأمة مشغولة بالتاريخ وكتابته ، وحين يزدهر فن القص ويكتسب ملامح جمالية تراثية ، فالعلاقة بين النظامين تدعم وضع نوع أدبي معين وجمالياته .

ولكن إيڤن-زوهار يعترض في مقاله المنشور عام ١٩٧٨ بعنوان « موقع الأدب المترجم داخل النظام المتعدد » (ڤينوتي ٢٠٠٠) على ما يسميه « خرافات المدخل الجمالي التقليدي » وهي التي كانت تركز على ما يسمى بالأدب « الرفيع » high وتتجاهل نُظمًا أو أنواعًا أدبية أخرى تعتبرها غير مهمة، مثل أدب الأطفال ، وروايات الإثارة ، ونظام الأدب المترجم برمته ، فهو يؤكد أن الأدب المترجم يزاول تأثيره باعتباره نظامًا من زاويتين اثنتين ، الأولى هي ما تختاره اللغة المستهدفة للترجمة إليها ، والثانية هي مدى تأثير النظم الأخرى في معايير الترجمة، وطرائقها وسياساتها . وهو يركز من ثم على العلائق بين جميع هذه النظم في إطار المفهوم الجديد الذي وضعه ، والذي أطلق عليه المصطلح الجديد « النظام المتعدد » أو ما ترجمناه من قبل « بتعدد النظم » ، فالمعنى هو وجود نظام تتعدد داخله النظم ، أي نظام متعدد النظم ، وهو ما يشرحه شَتِلْوِرْثْ وكَوِي Shuttleworth & Cowie في **معجم دراسات الترجمة** (١٩٩٧) على النحو التالي :

> المفهوم من مصطلح « النظام المتعدد » أنه تركيب موحد (أو نظام) غير متجانس العناصر ، وذو بناء هرمي ، يتكون من عدة نظم تتفاعل فيما بينها فيؤدي تفاعلها إلى توليد حركة تطور دينامية دائبة داخل النظام المتعدد كله .
>
> (ص ١٧٦)

وأما البناء الهرمي المشار إليه فهو المواقع الخاصة بالطبقات المختلفة للنظام

المتعدد وتفاعلها فيما بينها في لحظة تاريخية معينة ، فإذا كان أرفع موقع يشغله نوع أدبي « تجديدي » فالأرجح أن تشغل المواقع الدنيا الأنواع الأدبية « المحافظة» . وأما إذا كانت الأنواع المحافظة تشغل المواقع العليا ، فالأرجح أن يأتي التجديد والابتكار من المواقع الدنيا التي تشغلها الأنواع الأدبية الأخرى ، وإلا سادت الأدب فترة ركود ، وهكذا فإن « حركة التطور الدينامية » ذات أهمية حيوية في النظام المتعدد ، فهي تعني أن العلاقات بين النظم التجديدية والنظم المحافظة في تغير مستمر وتنافس فيما بينها ، وهو ما يصفه الباحث بتعبير الفيض flux أي التدفق المستمر ، ويقول إنه السبب الذي يفسر عدم ثبات موقع الأدب المترجم ، فقد يشغل موقعًا أوّليًا وقد يشغل موقعًا ثانويًا في النظام المتعدد ، فإذا كان في الموقع الأوّلي « شارك مشاركة فعالة في تشكيل مركز النظام المتعدد » (فينوتي - ٢٠٠٠ ص ١٩٣) والأرجح أن يكون تجديديًا ومتصلاً بالأحداث الكبرى في التاريخ الأدبي في أثناء وقوعها ، وكثيرًا ما يقوم كبار الكتاب بإصدار أهم الترجمات والترجمات التي تعتبر من العوامل الرئيسية في تشكيل نماذج جديدة للثقافة المستهدفة ، فيقدمون أسسًا فنية وشعرية وفنون صنعة جديدة . ويقول إيفين -زوهار إن هناك ثلاث حالات رئيسية يشغل فيها الأدب المترجم الموقع الأول :

١- إذا كان هناك أدب « حديث العهد » young يسعى إلى توطيد أقدامه ويتطلع إلى نماذج جاهزة في الآداب « الأقدم » .

٢- إذا كان الأدب « هامشيًا » أو « ضعيفًا » ويلجأ إلى استيراد الأنماط الأدبية التي يفتقر إليها . وقد يحدث هذا عندما تخضع أمة صغيرة لهيمنة ثقافة أمة كبيرة ، بل إن إيفين-زوهار يذهب إلى القول بأن « جميع ألوان الأدب الهامشي قد تتكون في تلك الحالات من الأدب المترجم » (فينوتي ٢٠٠٠ ص ١٩٤) ويحدث ذلك على شتى المستويات ، فالمناطق الصغرى في إسبانيا

(مثل غاليثيا) تستورد ترجمات الأدب الإسباني الرئيسي (القشتالي) وتستورد إسبانيا الآداب المعتمدة وغير المعتمدة من بلدان العالم الناطق بالإنجليزية .

٣- إذا كان هناك منعطف حاسم في التاريخ الأدبي ، أدى إلى إشاعة الإحساس بأن النماذج الراسخة لم تعد كافية ، أو حين تنشأ فجوة في أدب بلد من البلدان . فإذا لم يكن لواء الزعامة بأيدي نوع أدبي محدد ، أصبح من اليسير على النماذج الأجنبية أن تشغل مكان الأولوية .

وإذا كان الأدب المترجم يشغل موقعًا ثانويًا ، فإنه يمثل نظامًا هامشيًا في إطار النظام المتعدد ، ويكون تأثيره ضعيفًا في « النظام الرئيسي » central system بل إنه قد يصبح عنصرًا من عناصر الاتجاه المحافظ ؛ إذ يحافظ على الأشكال التقليدية ويتمشى مع المعايير الأدبية للنظام المستهدف . ويشير إيفن-زوهار (ڤينوتي ٢٠٠٠ ص ١٩٦) إلى أن هذا الموقع الثانوي هو الموقع « الطبيعي » للآداب المترجمة . ومع ذلك فإن الأدب المترجم نفسه قد يتكون من طبقات متفاوتة (ڤينوتي ٢٠٠٠ ص ١٩٥) فبعضه قد يكون ثانويًا ، وبعضه (المترجم من مصادر أدبية كبرى) قد يكون أوليًا ، وهو يقول إن موقع الأدب المترجم في « النظام المتعدد » يتحكم في استراتيجية الترجمة . فإذا كان يشغل موقعًا أوليًا لم يشعر المترجمون بالضغط عليهم للالتزام بالنماذج الأدبية في لغة الترجمة ، وأبدوا الاستعداد لكسر قيود الأعراف والتقاليد الأدبية ، وهكذا فكثيرًا ما يخرجون نصوصًا مترجمة تعتبر قريبة إلى أقصى حد من النصوص الأصلية ، من حيث « التعادل » (انظر الفصل الثاني) والعلاقات النصية (انظر الفصل الخامس) بل إن ذلك - كما يقول الكاتب - قد يؤدي إلى نماذج جديدة باللغة المصدر . وأما إذا كان الأدب المترجم ثانويًا ، فسوف يميل المترجمون إلى استلهام النماذج الحاضرة باللغة المستهدفة في صياغة ترجماتهم وإخراج ترجمات تتميز بالمزيد مما يسميه إيفن-زوهار « عدم الكفاية » non-adequate (ڤينوتي ٢٠٠٠ - ص ١٩٧) وهو يحدد معنى محددًا للكفاية

يختلف عن المعنى الذي تستخدم « نورد » المصطلح نفسه فيه ، على نحو ما سوف نبين .

وإذا شئنا تطبيق ما يقوله هذا الباحث على الترجمة في الوطن العربي ، ولو من باب الإيضاح وضرب الأمثلة فحسب ، وجدنا أن حركة الترجمة من اللغات الأجنبية إلى اللغة العربية كانت حتى مطلع القرن العشرين تكاد تستثني الأدب أو تغفله ، وقد يكون ذلك راجعًا في عصر المأمون إلى أن الآداب الكلاسيكية (اليونانية واللاتينية) كانت وثنية ، وهو السبب الذي يقدمه بعض الباحثين، ولكنني أرى سببًا آخر وهو اعتزاز العربي على مدى تاريخه بأدبه، واستمساكه بمفاهيم ذلك الأدب ، وعندما حلت فترة النهضة العربية في القرن التاسع عشر في عهد محمد علي ، فازدهرت الترجمة ، كان كل ما ترجم حصرًا في العلوم الطبيعية والإنسانية، دون الأدب ، ورفاعة الطهطاوي يستمسك بتقاليده الأدبية العربية ويكتب الشعر (أيا كان حكمنا عليه) دون أن يستشعر حاجة إلى أن يأخذ شيئًا منه عن الغرب ، وهو يملأ صفحات كتابه « تخليص الإبريز » بمقتطفات من الأدب العربي القديم ، كأنما ليؤكد هويته العربية وأصالة انتمائه إلى ثقافة أدبية لا تحتاج إلى غيرها مما اطلع عليه في فرنسا . ولقد قرأت ذلك الكتاب مرتين ، وكنت في المرتين أعجب لذلك العربي « بين ثقافتين » - إذا استعرنا تعبير زكي نجيب محمود - الذي ينهل من مناهل ثقافة كاملة غربية، ثم لا يلتفت مطلقًا إلى الأدب.

وقد نضيف إلى هذه العوامل عاملاً آخر لا يقل أهمية ، وهو أن « النظام » الأدبي ، إذا استعرنا تعبير إيفن-زوهار ، لم يكن يشغل موقعًا رفيعًا في الثقافة العربية نفسها ، إذ كان يتصل اتصالاً مباشرًا آنذاك - نتيجة عصور الحكم الأجنبي الطويلة - بتعلم اللغة العربية وحفظ التراث العربي (حفاظًا على الهوية العربية) ، وإتقان الصياغة اللفظية للأفكار ، وكان تعبير الأديب يوازي الكاتب ، ولو لم يكن يكتب أدبًا بالمعنى المفهوم ، أي الأدب الذي

ينتمي إلى أحد الأنواع الأدبية المعترف بها عالميًا ، فوجدنا من يصف الدكتور أحمد زكي بأنه الأديب العالم أو العالم الأديب ؛ لأنه كان يكتب أسلوبًا عربيًا ناصعًا ، وإن كنت دائمًا ما أحسست فيه بعض الافتعال (كإصراره على الفصل بين الصفة والموصوف . . . إلخ) وكان أسلوبه يوصف بأنه الأسلوب الأدبي العلمي أو العلمي الأدبي ، ولم يبدأ مفهوم الأدب في التغير إلا في القرن العشرين ، ومن ثم بدأ يشغل موقعًا قريبًا من الموقع الحقيق به بين « النظم » الأخرى ، ولكن الترجمة كانت قد بدأت وازدهرت .

أقول إن اعتزاز العربي بتراثه الأدبي كان عاملاً أدى إلى تأخر ترجمة الآداب الأجنبية ، لكن النهضة التي وصلت إلى ذرًا جديدة في القرن العشرين جعلت من المحتوم ترجمة بعض تلك الآداب ، وربما يكون الدافع في البداية هو « طلب المعرفة » أو « الاستطلاع » ، فما عسى أن ينتج هؤلاء الغربيون من آداب ؟ تراها توازي آدابنا العربية التي صاحبت سيادتنا على العالم قرونًا طويلة ؟ ترى هل استطاعوا أن يكتبوا شعرًا يجاري الشعر العربي في جزالته وبلاغته ؟ وما فن « المسرح » الجديد ، وما « المسرحية » (التي كانت تسمى « اللعبة » في مطلع القرن) وما « الرواية » - وهل تختلف عن فن القص العربي ورواية الأخبار وأيام العرب ؟ وهكذا بدأت حركة الترجمة ، فصدرت في عام ١٩٠٠ أول ترجمة عثرت عليها لشيكسبير ، وفي العقد الأول من القرن العشرين صدرت ترجمات أخرى له ، وتوالت ترجماته في العشرينيات والثلاثينيات ، وإن كان المترجمون يحاولون الربط بين الترجمة وبين الغرض النافع ، فهو إما لاحتوائها على دروس وعظات أخلاقية ، وإما لأنها جزء من المنهج الدراسي في المدارس التابعة لوزارة المعارف .

ومن المنطقي أن يؤدي ذلك أو يساهم في تحول مصدر الترجمة من فرنسا إلى إنجلترا ، في الأدب على الأقل ، ولكن الأمر لم يكن كذلك ، على نحو ما سنبين ، فلقد كان في كلية الحقوق بالجامعة المصرية القديمة قسم للترجمة

يمنح الدارس دبلوما بعد سنتين ، وهو ما حصل عليه شوقي الشاعر في الترجمة الفرنسية ، بل وترجم قصيدة عن الفرنسية (سعيد الجهر والهمس / قضى الواجب بالأمس) ولكن نظام التعليم العام كان تحت إشراف سلطة الاحتلال ، وكان من الطبيعي أن يتضمن منهج تعليم اللغة الإنجليزية نماذج من الشعر الإنجليزي ، قديمه وحديثه ، وبعض مسرحيات شيكسبير وبرنارد شو وغيرهما . ولكن ذلك لم يغير من اعتزاز العربي بأدبه وتقاليده الأدبية ، فكانت الترجمات الرائعة التي أخرجها إبراهيم عبد القادر المازني لبعض ما أعجبه في الشعر الإنجليزي أقرب إلى الشعر العربي الذي كان يكتبه ، سواء في أوزانه أو في لغته (أي فيما أسمينا « النطاق » وهو نظامه « النحو لفظي ») وأحيانًا ما كنت تجد أنه « تصرف » بأكثر مما ينبغي فأخرج نصوصًا موجهة للقارئ لا أمينة مع الأصل ، وإن كانت تعتبر ترجمات بل ترجمات جميلة على أي حال .

ولكن الاعتزاز بالتراث الأدبي العربي لم يحل بين العرب - في مصر والشام - وبين ترجمة المسرحيات الفرنسية (أساسًا) وتمصيرها ، أو اقتباسها ، مما ولد إحساسًا بأن في الأدب الغربي ما يمكن تقديمه بالعربية فيضاف إلى التراث دون أن ينتقص منه ، أي أن النظام الأدبي المهيمن كان لا يزال تراثيًا ، وهو ما تجلى في مدرسة الإحياء بزعامة البارودي وشوقي وحافظ، وأتباعهم ممن رصدهم العقاد في كتابه العظيم **شعراء مصر وبيئاتهم في الجيل الماضي** ، فتزامن الشعر العربي الذي يستلهم الماضي العربي مع الترجمات المسرحية التي كانت الفرق تقدمها في مطلع القرن ، وكان عزيز عيد قادرًا - كما تقول فاطمة رشدي في مذكراتها (مجلة المسرح القاهرية ١٩٦٤-١٩٦٥) - على ترجمة المسرحية عن الفرنسية في ليلة واحدة ! وقد يكون في هذا مبالغة ، ولكن الواقع هو أن الترجمة عن اللغة الفرنسية في المسرح رجحت كفتها عن كفة الترجمة عن الإنجليزية ، وكانت ترجمات شيكسبير تتعرض لتعديلات

تكاد تخرج بها عن معناها قبل تقديمها على المسرح ، فتحويل روميو وجوليت إلى « كوميديا » غنائية ، وإن كانت تنتهي بالموت بعنوان شهداء الغرام ، وغناء الشيخ سلامة حجازي للمقطوعات الشعرية فيها ، يظهر مدى سيطرة « النظام » الأدبي العربي التراثي ، وهامشية الترجمة .

وقد تكون ضآلة الترجمة عن الإنجليزية في تلك الفترة راجعة أيضًا إلى الصراعات السياسية ، وعلى رأسها الاحتلال الإنجليزي ، وإرغام مصر على الانحياز إلى إنجلترا في الحرب العالمية الأولى ، وعلى معارضة المعارضين . ورغم ازدهار ما يسمى بالحركة القومية ، فكان الصراع بين أصحاب الثقافة الفرنسية (مثل هيكل وطه حسين) وأصحاب الثقافة الإنجليزية (مثل العقاد والمازني) أو ما يسمى بالنزاع بين اللاتينيين والسكسونيين ، من ساحات النزال التي لم تسلم من تأثير العوامل الخارجية .

ولم يكتب للترجمة عن اللغات الأوربية في الأدب أن يشتد ساعدها حتى كتب طه حسين مقدمته الشهيرة لكتاب أحمد أمين فجر الإسلام وأعلن فيها اختلاف مفهوم الأدب في العالم عن مفهومنا التراثي القديم الذي ساد عصور المماليك والحكم العثماني ، ورأى فيه شباب الأدباء بارقة أمل ، فهو يسمح لهم بمحاكاة الأنواع الأدبية الغربية الحديثة ، دون أن يتهموا بأنهم غير أدباء ، والأهم من ذلك – من وجهة نظر هذا الكتاب – هو أنه سمح باستخدام اللغة المعاصرة التي أشاعتها الصحافة في الترجمة . وسرعان ما حسم الأمر عاملان أعتبرهما أهم العوامل : الأول هو كتابة أحمد شوقي للمسرح الشعري والثاني هو كتابة توفيق الحكيم رواية عودة الروح – وكلاهما في العشرينيات . كان العاملان معًا يمثلان قبولاً ضمنيا للأدب الغربي وأجناسه الجديدة ، فالمسرح منذ نشأته فن شعري ، رغم التحول إلى النثر في أواخر القرن التاسع عشر في أوربا على أيدي هنريك إبسن وأوغسط سترندبيرج ومن بعدهما

برنارد شو وأوسكار وايلد ، وكان شوقي « يحاكي » شيكسبير واعيًا ، فمجنون ليلى معالجة لقصة من التراث العربي تحاكي روميو وجوليت الإنجليزية ، ومصرع كليوپاترا معالجة من وجهة نظر مصرية لموضوع أنطونيو وكليوپاترا التي كتبها شيكسبير ، وموضوعاته التاريخية الأخرى محاكاة لمذهب الكلاسيكية في الدراما ، وكذلك فعل عزيز أباظة من بعده ، وفي هذا كله إقرار بأن المسرح الشعري أدب أو هو جدير بأن يضاف إلى « النظام » الرئيسي للأدب العربي ، وأما توفيق الحكيم فقد كتب رواية يتبع فيها المذهب الواقعي الأوربي باللغة العربية المعاصرة ، ففتح الطريق أمام من يريدون أن يترجموا عن ذلك الأدب باللغة نفسها ، فالشكل شكل أدبي معترف به ، واللغة لغة أدبية (وإن خلت من ظواهر الأدب القديم) ومعترف بها ، ومن ثم بدأ التحول الذي كان في رأيي محتومًا .

وقد تولى بعض أساتذة الأدب الأجنبي دراسة ما ترجم منه إلى اللغة العربية على امتداد القرن العشرين (مثل الدكتورة أنجيل بطرس سمعان والدكتورة نور شريف والدكتورة كوثر عبد السلام ، انظر المراجع) ودراسة تأثيره في الأدب العربي ، وليس هذا مدار القول هنا ، بل إننا نريد توسيع نطاق تطبيق نظرية إيفن-زوهار بعض الشيء بحيث تتجاوز لغة الأدب إلى اللغة باعتبارها تجسيدًا لطرائق التفكير ، وهو ما لم يوفّه الدارسون العرب حقه من البحث والتمحيص ، فلقد سبق أن أشرنا إلى ما أسميناه « لغة الترجمة » translationese وهي اللغة التي تأثرت بأساليب الفكر الغربي ، لا من ناحية تعريب المصطلحات الفنية ومصطلحات الحضارة الحديثة ، وهو ما ناقشه الدكتور ضاحي عبد الباقي وغيره ، أو من ناحية « الدخيل » من الألفاظ والتعبيرات المستخدمة ، وهو ما ناقشه الدكتور إبراهيم السامرائي (٢٠٠٠) رحمه الله ، سواء كان الدخيل لفظًا مفردًا أو عبارة أجنبية كاملة ، بل أقصد أبنية الفكر المتجسدة في الأبنية اللغوية ، إذ إن حركة الترجمة التي امتدت

عقودًا طويلة – منذ أواسط القرن التاسع عشر حتى أواسط القرن العشرين – أتت معها بطرائق في التفكير والتعبير لم نَعْتَدْها في العربية التراثية ، وكان أهم ما تتميز به هذه الطرائق هو النزوع إلى استخدام « المجردات » التي ولدتها لغة العلوم الحديثة ، فالتطور العلمي في أوربا منذ القرن السابع عشر كان (ولا يزال) ينزع إلى استخدام « المجردات » ، الكلية منها والجزئية ، والكثير منها جديد على العربية ، والنزوع كذلك إلى أبنية الجمل المركبة comlex والمزدوجة compound (بالمصطلح اللغوي القديم) ومظاهر الحذر والحيطة في التعبير (مثل « معظم » ، « في الغالب » ، « على الأرجح » ، « من المحتمل » ، « فيما يبدو » ، « يمكن القول » ، « يميل إلى » إلخ) وأساليب الاستدراك والاستثناء والتحديد، وما إلى ذلك من بعض ما مر بنا من نصوص قصيرة ترجمناها للإيضاح، ووصفناها بالتعقيد في الكتابة العلمية الحديثة .

وما لبث أسلوب الترجمة أن شاع وامتزج بأساليب العربية التراثية وذاب فيها ذوبانًا شبه كامل ؛ لأنه أصبح جزءًا من جهاز التفكير العربي عند الكاتب والمتلقي ، وإليك مثالاً عليه من كتاب حديث عن محمد القصبجي (الملحن) :

> بالرغم من نجاحه الذي حققه في تلحين الأغاني العاطفية والاجتماعية ، إلا أنه لم يفته خدمة الحركة الوطنية والإشادة بمصر حيث لحن عشرات من الألحان الوطنية التي شدا بها أعظم المطربين والمطربات بداية بعام ١٩٢٢ حيث غنت له منيرة المهدية (شال الحمام حط الحمام) مرورًا بصالح عبد الحي الذي غنى (وطني أنا بالروح أفديه) وحتى (يا دعاة الحق) لفايدة كامل و (ثورة النور) للمطربة نازك سنة ١٩٥٨ .
>
> (د . إيزيس فتح الله – القصبجي ، ١٩٩٦)

إنها جملة واحدة – سلسلة طويلة من الجمل البسيطة clauses المربوطة

بأسماء الموصول (الذي / التي / الذي) وظرفين (حيث / حيث) وبناءين يهدفان إلى إضفاء التماسك على النص العربي هما (بالرغم من . . . إلا أنه) و (مرورًا بـ . . . وحتى) . والظاهرة الواضحة هنا هي محاكاة الأسلوب « العلمي » الذي جاءت به الترجمة وأشاعته فأصبح جزءًا من التفكير - كما سبق أن قلت - والطريف أن تلك الحيل الأسلوبية المستخدمة في الربط ظاهرية فحسب ، أي أنها لا معنى لها - إذا طبقنا منهج النحو الوظيفي - إذ لا يوجد مجال حقيقي للحديث عن « الرغم » (أو الإرغام) بالمعنى التراثي هنا ، وإنما هو أسلوب حديث مقتبس من الترجمة ، وقد يكون الأصل فيه لا although بل while أو .. for all وإليك ما أقصده فيما أتصوره الأصل البنائي لهذا التركيب بالإنجليزية مثلاً :

1. For all his success in composing the music.. he did not fail to..
2. Having been so successful in composing the music... etc.

أي أن التناقض الذي يوحي به التركيب العربي المعاصر وهمي ، وكان باستطاعة المؤلف أن يقول :

١- حقق القصبجي نجاحًا في تلحين الأغاني العاطفية ، وهو إلى ذلك لم يهمل . . .

٢- لم يفت القصبجي أن يخدم الحركة الوطنية ، على نجاحه في تلحين الأغاني العاطفية . .

٣- جمع القصبجي إلى نجاحه في تلحين الأغاني العاطفية اهتمامًا بالحركة الوطنية . .

٤- إن نجاح القصبجي في تلحين الأغاني العاطفية لم يشغله عن خدمة الحركة الوطنية .

والطريف أيضًا أننا حين نترجم ذلك النص إلى الإنجليزية ، سنجد أننا مضطرون إلى تقسيم الجملة الطويلة إلى جمل مستقلة تتمتع بالتماسك دون حاجة إلى أدوات التماسك الظاهرة أو ما يسمى cohesion markers :

Having been so successful in composing the music for love lyrics, and others with a social message, al-Qasabgi did not fail to serve the nationalist movement. Dozens of patriotic songs glorifying Egypt were set to music by him and sung by the greatest singers, from 1922-1953. The first, " Doves fly : Doves come Down !" was sung by Munirah Al-Mahdiyah. Others included " My life for my homeland " by Salih Abdul-Hayy, Faydah Kamel's " O Advocates of Right !, " and Nazek's " Revolution of Light."

فما الذي حدث ؟ لقد حُذِفَتْ « أسماء الموصول » لأنها إما زائدة (بالرغم من نجاحه الذي حققه) (احذف الكلمتين الأخيرتين فهما من قبيل الحشو) أو تحل محل حرف عطف بسيط (عشرات الألحان الوطنية التي شدا بها أعظم المطربين) (استبدل « وقد » بـ « التي ») أو تحل محل إضافة بسيطة (صالح عبد الحى الذي غنى) (قل أغنية صالح عبد الحي) أما « حيث » التي تكررت مرتين ، فتحل محلها نقطة أو فاصلة ، يتلوها حرف عطف بسيط (الواو أو الفاء) وتعبير « مرورًا بـ . . . حتى » من باب الحشو الصريح بل والركيك .

تأثير الترجمة هنا بنائي محض ؛ لأن الأفكار كلها عربية صحيحة ، وما أكثر من يفضلون أن يقولوا إن فلانًا ليس ذكيًا فقط بل ومجتهد أيضًا ، محاكاة لأسلوب الترجمة ، بدلاً من أن يقولوا إنه يجمع بين الذكاء والاجتهاد ، أو كما يقول القدماء إنه ذكي ومجتهد ، دون حاجة حتى إلى « بل » بينهما ، بل قد تجد من يقول « إنه مجتهد بقدر ما هو ذكي » أو « بقدر ما هو مجتهد بقدر ما هو ذكي » ، ونحن قد لا نستسيغ هذه الأبنية « المستوردة » لكنها من « حقائق

الحياة » - كما يقال بالإنجليزية وصفًا لكل ما هو مُرّ ولا مناص من مذاقه !

وسوف يتضح الفارق بين هذا الأسلوب والأسلوب العربي العلمي الأصيل عند الجاحظ ، فتأمل معي هذه السطور من كتاب الحيوان :

الحيوان على أربعة أقسام ، شيء يمشي ، وشيء يطير ، وشيء يسبح ، وشيء ينساح . إلا أن كل طائر يمشي وليس الذي يمشي ولا يطير يسمى طائرًا ، والنوع الذي يمشي على أربعة أقسام ، أناس وبهائم وسباع وحشرات .

Animals may be classified into four categories : Those that run, fly, swim or creep. While every bird can run, it must be able also to fly to be a bird. Running animals are subdivided into people, beasts of burden, wild animals and insects.

فانظر إلى استواء العبارة وتوازي الأبنية دون محاولة الربط بأدوات مقحمة، ونحن نعجب بهذا القصد في التعبير ودقته ، ونحسد ذلك الرجل على تلك القدرة ، وانظر الحرية التي يتمتع بها مترجمه إلى الإنجليزية عندما يواجه ذلك الإيجاز :

1. Animals may be categorized into
2. Animals are of four kinds...
3. There are four kinds of animals...

أو فانظر إلى بعض أساليب العربية التراثية في رواية الأحداث وكيف تتميز بصفاء الفكرة ودقة الصياغة ، والمثال الذي سأضربه يتناول موضوعًا يعتبر في صميم العلوم الإنسانية ، والفقرة تجمع بين الحديث المباشر وغير المباشر ، وتربط العبارات ربطًا طبيعيًا لا أثر فيه لما ساءني في النموذج الأول :

وحضر عندي في بعض الأيام رجل من اليهود ، وكنت في الديار

المصرية ، وكان لليهود في هذا الرجل اعتقاد ، لمكان علمه في دينهم وغيره ، وكان كذلك . فجرى ذكر اللغات ، وأن العربية هي سيدة اللغات ، وأنها أشرفهن مكانًا ، وأحسنهن وضعًا ، فقال ذلك الرجل : كيف لا تكون كذلك وقد جاءت آخرًا فنفت القبيح من اللغات قبلها وأخذت الحَسَن ، ثم إن واضعها تصرف في جميع اللغات السالفة فاختصر ما اختصر ، وخفف ما خفف ، فمن ذلك اسم الجمل ، فإنه عندنا في اللسان العبراني (كوميل) فجاء واضع العربية وحذف منها الثقيل المستبشع ، وقال جمل ، فصار خفيفًا حسنًا ، وكذلك فعل في كذا وكذا ، وذكر أشياء كثيرة .

(ابن الأثير – المثل السائر – تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد – الجزء الأول – ص ١٩١)

Whilst in Egypt, I was visited by a Jew in whom the people of his faith believed because of his vast knowledge of their religion and other matters, which was true. Turning to languages, Arabic was said to be the queen of them all, the highest in status and best in verbal moulds. " Why shouldn't it be so" , the man exclaimed, " when it is the most recent, and has thus shunned the bad and adopted the good features of all its antecedents." " Judiciously adapting the older languages," he added, " the authors of the Arabic tongue reduced some lexical forms and simplified others. Take the word for camel in Hebrew - Coumeel. By removing the ugly cumbersome vowels, it became the lovely, easy-to-pronounce Arabic Gamal. The authors of Arabic similarly dealt, he said, with many other words which he mentioned.

إن الترجمة الإنجليزية تتبع الأسلوب الأجنبي الذي قد يبدأ بجملة ظرفية ، وهي هنا عبارة (تقترب من شبه الجملة الظرفية) وتضم الجملتين « رجل من

اليهود . . . وكان » باستخدام اسم الموصول whom تبعًا لبناء الفكرة في الجملة المترجمة ، ولو ترجم أحد هذا النص ما كتب ما كتبه ابن الأثير ، بل ربما اتبع نمط البناء الأجنبي - وهاك الترجمة العكسية back translation للعبارات الأولى :

بينما كنت في مصر زارني أحد اليهود الذي كان أهل دينه يجلّونه (يعتقدون فيه) بسبب معرفته الواسعة بدينهم وغير ذلك ، وهو صحيح .

وكذلك تحولت الجملة البسيطة « فجرى ذكر اللغات » إلى عبارة ظرفية ، فهذا من طرائق الإنجليزية ، وقس على ذلك تحويل الكلام المباشر إلى الصيغة المعروفة في الإنجليزية من استخدام علامات التنصيص وما إليها ، وأقول عرضًا إنني لم أتوقف في الترجمة إلا عند كلمة « الوضع » و « واضعو العربية » ، فالوضع الأولى لا تعني ما نعنيه بها اليوم - أي الحال أو الموقف - بل تعني الصياغة ، والثانية تعني أصحاب اللغة الذين صاغوها على مر الزمان قبل نزول القرآن ، والمترجم يواجه - كما سبق أن ذكرت - مشكلة تغير معنى الكلمة ما بين لغة التراث واللغة العربية المعاصرة ، وعليه أن يعيها فهي من صميم عمله كما ألمحت في كتابي عن المدخل الثقافي لترجمة العربية (٢٠٠٠) بالإنجليزية .

وإذن فإن الترجمة قد أثرت في اللغة العربية باعتبارها مباني أفكار قبل أن تكون مباني ألفاظ ، إلى الحد الذي نستطيع معه أن نميز بين ما يكتبه كاتب حديث بأسلوبه هو ، وبين ما ينقله عن القدماء وإن لم يستخدم علامات التنصيص ، استنادًا فقط إلى الأبنية اللغوية ، فلا منجاة للكاتب الحديث مهما استوعب اللغة التراثية (إلى حد التفكير بها أحيانًا) من استخدام اللغة المعاصرة حين يكتب كتابة وليدة فكره . وانظر إلى الفقرة التالية المقتطفة من كتاب عربي صدر عام ١٩٩٨ :

لما غزا مروان القرظ بن زنباع قبيلة بكر بن وائل وقع في الأسر ، فطلب من آسره أن يذهب به إلى خماعة بنت عوف بن محلم وكان مروان قد أسدى لها يدًا فيما سلف من دهرها ، فلما ذهبوا به إليها أجارته من كل مكروه . وكان مروان قد أساء إلى عمرو بن هند ملك العرب وطاغية الحيرة ، فأقسم عمرو على ألا يعفو عن مروان حتى يضع يده في يده (أي يملكه من نفسه) وكان عمرو إذا ملك فتك ، فلما علم بمستقره من عوف أرسل إليه ليأتيه به ، فقال عوف : قد أجارته ابنتي وليس إليه من سبيل إلا العفو فأجابه عمرو إلى ما طلب وعفا عن مروان . وما كان ليعفو عنه بعد أن ظفر به لولا أن أجارته المرأة .

(د. محمود عرفة محمود - العرب قبل الإسلام - ص ٣٩٢ - ٣٩٣)

When Marwan Al-Quraz Ibn Zinba' invaded the tribe of Bakr Ibn Wa'il, he was captured and taken prisoner. He asked his captor to take him to (Lady) Khom'ah bint Awf ibn Muhlim, to whom he had once done a favour; and when he was taken to her she declared that he would be under her protection and that she would shield him from any possible threats. Meanwhile, the Arab King and tyrant of Al-Heerah, Amr Ibn Hind, had once been wronged by Marwan and had taken an oath never to forgive him until Marwan surrendered to him. Amr was known, however, to be in the habit of killing his captives. Learning from Awf about Marwan's whereabouts, he sent word to him asking for Marwan to be handed over. " Well, my daughter has granted him protection", Awf said, " there is nothing you can do now but to grant him forgiveness". Amr granted his request and forgave Marwan. He would never have forgiven Marwan, now he was so close at hand, had not the woman given him protection.

هذا أسلوب القدماء ، فكأنه منقول من كتاب قديم ، ومن العجب أن يسيطر الأسلوب القديم على فكر أستاذ شاب فيجعله يستخدم الأبنية القديمة التي تزخر بها الفقرة ، وإن كان هذا مألوفًا لدى الدارسين الذين يتشربون الأساليب القديمة حتى تصبح جزءًا من « جهاز التفكير » لديهم ، ولكن انظر إليه حين يتحدث بلسان عصري فيعبر عن مفاهيم عصرية بأبنية عصرية - وفي الصفحة نفسها من الكتاب المذكور :

كانت المرأة العربية تتحمل مسئولياتها نحو قومها بالتدخل الإيجابي في إطفاء نار الحرب إذا ما استمرت طويلاً وكثر فيها القتلى والجرحى . فمن ذلك أن الحارث بن عوف المري - سيد العرب - قال . . .

(المرجع نفسه - ص ٣٩٣ - ٣٩٤)

Arab women shouldered their responsibilities towards their people by positively intervening to extinguish the fire of war if too prolonged and if the casualties were too many. As an illustration, Al-Harith Ibn Awf Al-Morry, the Arab potentate once, said...

الفارق واضح بين النصين ، فجملة « تتحمل مسئولياتها » تدين بالمعنى والمبنى للنصوص المترجمة ، والمصدر الصناعي نفسه حديث ، وكذلك « التدخل الإيجابي » فهو تعبير عن مفهوم جديد (انظر كتابي مرشد المترجم ٢٠٠٠) . بل إن الصفة نفسها positive مأخوذة من أساليب المترجمين ، وهي - حتى في هذا السياق - « حشو » ، فالتدخل وحده عمل « إيجابي » ، ولا يكون التدخل سلبيًا أو سلبًا وإلا ما كان تدخلاً ، كما أوضحت في كتابي المذكور ، سواء كان الأصل الأجنبي له passive أو negative .

ولقد بدأت الأمثلة بفقرة عن الموسيقى تجلت فيها الأبنية الحديثة المتأثرة بالترجمة ، ولا تكاد تخلو صحيفة عربية منها في هذه الأيام ، ولطالما قلت

لطلابي أن يحذروا من « أسماء الموصول » العربية التي توحي بالربط ظُلمًا ، فهي من الآثار السيئة لمحاكاة أساليب الترجمة ، ولكنني الآن أورد نموذجًا طيبًا للكتابة العربية التي تأثرت بالفكر الحديث وما ترجم عنه دون أن تنجرف إلى محاكاته محاكاة غير طيبة ، الموضوع اقتصادي وهو زاخر بالمفاهيم المترجمة ، ولكنه لا يتجاوز الأبنية الحديثة التي يقبلها المثقف العربي :

القطاع العام (الإنتاج العام) ليس الصورة الوحيدة لتدخل الدولة ، وربما ليس الصورة المثلى لدور الدولة في النشاط الاقتصادي والاجتماعي ؛ ولذلك فإن تقليص دور القطاع العام - في الحدود التي تبرر ذلك - ليس بالضرورة تقليصًا لدور الدولة . وعلى العكس فقد يؤدي ذلك إلى استرجاع هيبة الدولة وفاعليتها عندما تتخصص فيما أهلت له ، وهو استخدام سيادتها لوضع السياسات العامة وقواعد السلوك واستخدام سياسات الإنفاق (وليس الإنتاج) كوسيلة لتحقيق أهدافها .

(حازم الببلاوي ، التغيير من أجل الاستقرار ١٩٩٨ ، ص ١٤٠-١٤١)

The Public Sector (public production) is not the only form of state intervention. It may not even be the ideal form of the role of the state in socio-economic activities. Within the limits that justify it, a reduction of the role of the public sector is not necessarily a reduction of the role of the state. It may, on the contrary, result in a recovery of the prestige and effectiveness of the state. It could help the state perform its proper functions, namely to use its sovereign powers in policy formulation, establishing codes of ethics, and in employing expenditure (rather than production) policies as a means of achieving its objectives.

الأبنية اسمية nominal structures وهو ما يوحي طبقًا لقواعد النحو

الوظيفي بأن الموضوع يأتي أولاً theme وهو الشكل الشائع في الكتابة العلمية، والفقرة خالية من ظواهر التعدي transitivity مما يشير إلى أن الحقائق الواردة تشكل جوهر المضمون الإخباري وهو لذلك ليس مقصورًا على اللغة الإنجليزية ، بل من خصائص اللغة العلمية في العربية أيضًا على نحو ما رأينا في النص المقتبس من الجاحظ ، ولذلك فهو مقبول في اللغتين ، وترجمته يسيرة ، من أي اللغتين شئت ، ولكن شتان بين هذا الأسلوب الذي اعتدناه لقرب مفاهيمه منا وبين الأسلوب « الاسمي » التجريدي في العلوم الإنسانية !

وسوف أورد نموذجًا لهذا الأسلوب التجريدي من تعريف « للتواصل » في علم الاجتماع ، ورد في **معجم مصطلحات علم الاجتماع** ، بالإنجليزية ، وتوقفت عنده طويلاً متسائلاً ماذا عسانا أن نفعل في ترجمته ، على قصره ، وقد اخترته لأن بعض كتابنا يكتبون بهذا الأسلوب، أو هم يترجمون دون أن يعترفوا بذلك ، وأخطر ما فيه هو المصطلحات الشائعة في الكتابة العلمية الغربية اليوم - مثل « نموذج » - التي أكثرت من استخدامها - أنا نفسي - في هذا الكتاب حتى أمثل للفكر الجديد في هذا المبحث الجديد ، ولقد ترجمت هذا النص ترجمتين الأولى وثائقية (أو ما كان يسمى « حرفية ») وهو المنهج المتبع في ترجمات الأمم المتحدة والوثائق السياسية كما سبق أن أوضحنا باعتبار النص إخباريًا محضًا ، والثانية هادفة بمفهوم « نورد » instrumental (أو ما يسميه نيومارك بالترجمة التوصيلية communicative) ، فالهادفة موجهة إلى القارئ العربي ، دون الابتعاد عن النص الأصلي ودون المساس بمصطلحاته الأساسية. وهذا هو النص :

Aristotle saw the state as a community involving communication between a multiplicity of individual perspectives. Whereas this concerns individual purposive action in the political shere, Aquinas introduced into medieval

Christian thought a broader theoretical conception in which God's nature is communicated in the creation of his creatures. This model led to the generalization of the concept of communication to all human beings and at the same time to a differentiation, which became central for modernity, between the particular (political) and the universal (social) communication community.

وأرجو أن يقرأ القارئ هذا النص جيدًا قبل قراءة الترجمة الحرفية ، ثم يقارن بينهما قبل الانتقال إلى الترجمة التوصيلية حتى يدرك ما أعنيه بأسلوب الترجمة :

(أ) كان أرسطو يرى أن الدولة مجتمع يجري فيه التواصل بين العديد من المنظورات الفردية . وإذا كان ذلك يتعلق بالأفعال الفردية الهادفة في المجال السياسي ، فإن الأقويني أدخل في الفكر المسيحي في العصور الوسطى تصورًا نظريًا أوسع يقول إن طبيعة الله يجري توصيلها في عملية خلق مخلوقاته . وأدى هذا النموذج إلى تعميم مفهوم التواصل ليشمل جميع البشر وفي الوقت نفسه إلى تفرقة أصبحت أساسية للحداثة ، أي التفرقة بين مجتمع التواصل الخاص (السياسي) ومجتمع التواصل العام (الاجتماعي) .

(ب) كان أرسطو يعتبر الدولة مجتمعًا يجري فيه التواصل بين العديد من وجهات النظر الفردية ، وكان يعني به التواصل بين الأفعال الفردية المتعمدة في المجال السياسي . ثم جاء طوما الأقويني فأدخل في الفكر المسيحي في العصور الوسطى تصورًا نظريًا أوسع نطاقًا إذ قال بأن عملية الخلق تتضمن توصيل صفات الله أو طبيعته إلى المخلوقات ، مما أدى إلى تعميم مفهوم التواصل بحيث أصبح يشمل جميع أفراد الجنس البشري ، وإن كان قد أدى في الوقت نفسه إلى تفرقة أصبحت تحتل مكانة أساسية في الفكر الحديث ، وهي التفرقة بين التواصل الخاص (في المجتمع السياسي) والتواصل العام (في المجتمع

الإنساني) .

وأنا أدعو القارئ الذي يريد الغوص في تحليل هذا النص وترجمته أن يرجع إلى كتابي :

Graduated Exercises in Translation from Arabic into English

الذي نشرته مكتبة الأنجلو المصرية عام ١٩٩٨ (ص ٤٧ - ٤٩) فليس هذا مجال التحليل النصي ، فكل ما أبغيه إلقاء الضوء على أسلوب الترجمة الذي أثر في أساليب العربية المعاصرة ، والنص عسير بأي لغة كتبته بسبب المجردات وهذا هو مدار حديثي . ولا بد أن أؤكد هذه الظاهرة في الكتابة العربية الحديثة بالإشارة إلى ميل المترجمين ، خصوصًا في الثلاثين عامًا الأخيرة ، أي منذ أصبحت اللغة العربية لغة عالمية رسمية في الأمم المتحدة ، إلى ترجمة كل كلمة بكلمة يتصورونها مرادفة لها ويجهدون أذهانهم في العثور لها على مقابل ، والغريب أن يسود هذا التفكير (انظر فاتحة الفصل الخاص بنظريات المعنى في هذا الكتاب) حتى بين الباحثين العرب ، فهم يقرءون ويترجمون ويضيقون ذرعًا بالمصطلحات المجردة ويضجون بالشكوى طالبين مصطلحات مقابلة (معادلة) وقد يضعونها في صورة ما فتستعصي على القارئ العربي أي استعصاء ، على نحو ما فعل عبد الرحمن بدوي في الفلسفة ، وفعل غيره حتى في مجالات أقرب مأخذًا من الفلسفة . ولنواصل إذن قراءة هذا التعريف للتواصل ونرى بعض عجائبه :

This idealizing extension of the concept of communication to all human beings, and its simultaneous differentiation into political and social communication, made it a favoured point of reference for modern socioligy and social philosophy.

المشكلة هنا - كما هو واضح - تكمن في كلمة idealizing ولقد رجعت إلى معانيها في المعاجم الإنجليزية الموسعة وانتهيت إلى أنه لا بد من ترجمتها

بجملة كاملة ، وهاك الترجمة التي أراها مفهومة (إلى حد ما) :

وهذا التوسع في مفهوم التواصل الذي يرقى به إلى مستوى « المثال » بحيث يشمل أبناء البشر جميعًا ، مع تقسيمه في الوقت نفسه إلى تواصل سياسي وتواصل اجتماعي ، هو الذي جعله نقطة مرجعية مفضلة لعلم الاجتماع الحديث والفلسفة الاجتماعية الحديثة .

ويؤكد ما انتهيت إليه ما جاء بعد ذلك في الفقرة نفسها عن « التواصل » المثالي ، وهاك بقية النص الإنجليزي وترجمته العربية :

Marx, in the *Grundrisse*, uses the differentiation between political and social communication to turn Aristotle's *zoon politikon* into a society of individuals acting and speaking together. C.S. Peirce analyses the scientific community from the perspective of an (idealized) communication community and G.H. Mead brings the social processes of individualization by means of socialization into the framework of a universal discourse.

كان كارل ماركس يستعمل التمييز بين التواصل السياسي والتواصل الاجتماعي ، في كتابه « الخطة الأساسية » ، للقول بأن « الحيوان الاجتماعي » الذي تحدث عنه أرسطو ليس في الحقيقة سوى مجموعة من الأفراد الذين « يعملون معًا ويتحدثون معًا » . وأما بيرس فقد قام بتحليل مجتمع العلماء من منظور مجتمع التواصل المثالي (أو من منظور التواصل المثالي في مجتمع ما) وكذلك نرى أن ج. هـ. ميد يضع عمليات التفرد الاجتماعية (أي اكتساب كل فرد وعيه بفرديته في المجتمع) في إطار ما يسمى بالكلام العالمي (أو التواصل أو الخطاب العالمي) بفضل عملية الانتماء الاجتماعي .

وأنا أضع بين الأقواس شروحًا أو ترجمات بديلة لعبارات هذا النص

العسير ، وإذا نظرنا ثانيًا فيه لم نعجب من الكتابات التجريدية في الكتب العلمية العربية بل وفي الصحف اليومية ، فالترجمة لم تأت بمصطلحات أو أبنية جديدة فحسب ، بل أتت **بثقافة علمية جديدة** - وسوف نعرض لذلك فيما بعد - وأختتم هذه الأمثلة (التي أكثرت منها في كتاب يفترض أنه يناقش النظرية لا الممارسة وإن كانت الأمثلة لا بد منها لشرح النظرية) بنموذجين من كتاب واحد ، يوحي الأول بأن كاتبه يعبر فيه عن فكر أصيل ، ويوحي الثاني بأنه ترجمه عن مصدر أجنبي ، أو نقله من ترجمة ما لذلك المصدر ، وبعدها سوف أورد ترجمتي الخاصة لذلك الأصل الأجنبي المفترض ، قبل العودة إلى الأدب ، وهو ما بدأنا الفصل به . يقول المؤلف في المقدمة :

وتبقى كلمة : هي أن المؤلف لا يجد فارقًا كبيرًا بين مجتمع كان يقبل بوجود علاقات استرقاق داخله في عصور سابقة ، ومجتمع آخر يسمح بالبغاء وينظمه ويفرض عليه ضرائب كخدمة معترف بها ، أو مجتمع يعمل فيه أفراده مقابل أجر لا يقيم أود الحياة .

إن وضع الجارية لا يختلف كثيرًا عن وضع البغي . كما أن وضع العامل الذي تعطيه جهة عمله أجرًا يكفيه فقط لأن يبقى على قيد الحياة ليستأنف عمله في اليوم التالي ليس أفضل كثيرًا من العبد الذي يكفله سيده لنفس السبب . إن العالم لم يتحضر بعد .

(محمد مختار - الأوضاع الاجتماعية للرقيق فى مصر ٦٤٢ - ١٩٢٤ / القاهرة ١٩٩٦)

وهذه هي الترجمة :

One last word : the present writer sees no great difference between a society that had accepted, in ages long gone, relations of slavery, and a society which allows, organizes and

taxes prostitution as a recognized service, or, indeed, a society whose members receive no more than subsistence wages.

The status of a slave girl does not differ much from that of a harlot. The status of a worker who receives from his employer enough wages for survival, so as to resume work in the following day, cannot be different from that of a slave supported by his master for the same purpose. The world is as yet uncivilized.

إن الأفكار واضحة ، والجمل منتظمة تدل على أن الكاتب قد فكر طويلاً قبل أن يخرج أفكاره في صورة لغوية متناسقة ، وعلى طول الجملة الأولى فإن التنسيق يهبها الاتساق في الفكر والتماسك النصيّ ، كما أن قصر الجملة الافتتاحية والجملة الختامية في الفقرة الثانية يدل على تمكن الكاتب من فكرته وثقته بما يريد أن يقول ، وهو ما يختلف عن النص التالي ، إذ يقول المؤلف نفسه في صفحتي ١٥٨ - ١٥٩ من الكتاب ذاته :

ولم تبدأ الجهود المصرية للقضاء على تجارة الرقيق في الأقاليم التابعة لمصر وحتى داخل مصر نفسها تأخذ شكلاً جديًا إلا مع قدوم الخديو إسماعيل ، والذي استغل الرغبة القوية التي ظهرت في الغرب للقضاء على النخاسة لخدمة ما كان يسعى إلى تحقيقه من تطوير لحركة الكشوفات المصرية في الأقاليم الاستوائية وضم المناطق الجديدة التي يتم اكتشافها إلى الممتلكات المصرية ، وهو ما دفع به إلى عقد اتفاق مع السير صموئيل بيكر في ٢٧ مارس سنة ١٨٦٩ م للقيام بقيادة حملة عسكرية في هذه المناطق بدعم من الحكومة المصرية ، كان أحد أهدافها القضاء على الميليشيات المسلحة التي كان يديرها أشخاص من العرب والبرتغاليين لصيد الرقيق ، ثم استغلال الرقيق الذي تم صيده في نقل كميات العاج التي يتم نهبها حتى الساحل ، ثم تصدير

الصنفين معًا أو بيعهما للتجار المحليين .

إن الجملة الافتتاحية تتضمن فاعلاً طال فأمعن في الطول ، والأرجح أنه كان مبتدأ ، أي كان يحتل موقع البداية في الأصل الأجنبي (انظر بناء الجملة من حيث الابتداء thematic structure في الفصل السابق) وأن المترجم اتبع نصيحة أحدهم بضرورة الابتداء بالفعل في اللغة العربية ، فبدأها بتقسيم الفعل إلى أجزاء جعل أولها في البداية وآخرها بعد الفاعل (لم تبدأ / تأخذ) كما أنه لجأ إلى ترجمة المبني للمجهول إلى الفعل تَمَّ + المصدر (يتم اكتشافها / تم صيده) إلى جانب ربط الجمل بأسماء الموصول ، على نحو ما رأينا في النص الخاص بالموسيقى ، (الذي / التي / التي / التي / الذي / التي) وهناك تعابير لا بد أن تنسب إلى أسلوب الترجمة مثل التعبير الركيك « خدمة تطوير » و « كان يديرها » ، فكلها تشير إلى احتمال كون النص مترجمًا وحاولت من ثم إرجاعه إلى الأصل (وقد افترضت أنه بالإنجليزية) فوجدت ذلك بالغ اليسر :

Egyptian efforts to combat the slave trade in the territories under Egyptian control, even in Egypt itself, did not begin in earnest until Khediv Ismail came to power. Taking advantage of the strong desire in the West to abolish the slave trade, he hoped to develop the Egyptian exploration of the equatorial zone and to annex any newly explored territory to the Egyptian dominions. An agreement was therefore made with Sir Samuel Baker, on 27 March 1869, to lead a military expedition in that region, with support from the Egyptian government. One of its aims was to disband the armed militias run by a number of Arab and Portugese merchants who captured slaves, used them in transporting the ivory they had plundered to the coast, then exported or sold both slaves and ivory to local traders.

وهاك ترجمة مقترحة تخفي معالم أسلوب الترجمة المذكورة :

أما الجهود المصرية لمكافحة تجارة الرقيق في المناطق الخاضعة لمصر ، بل وفي مصر نفسها ، فلم تبدأ بداية جادة حتى تولى الخديو إسماعيل حكم مصر ؛ إذ إنه استغل ما أبداه الغرب من رغبة قوية في إلغاء تجارة الرقيق في تنمية حركة الكشوف الجغرافية في المناطق الاستوائية ، وضم ما يكتشف من أراض جديدة إلى الممتلكات المصرية . وهكذا عقد الخديو اتفاقا مع السير صموئيل بيكر في ٢٧ مارس ١٨٦٩ لقيادة حملة عسكرية في تلك المناطق بدعم من الحكومة المصرية . وكان من أهداف هذه الحملة تشتيت العصابات المسلحة التي كانت تحت إمرة عدد من التجار العرب والبرتغاليين ، وكانوا يستخدمونها في صيد الرقيق ، ويستخدمون هذا الرقيق نفسه في نقل العاج الذي نهبوه إلى الساحل ، ثم يصدرون الرقيق والعاج معًا إلى الخارج ، أو يبيعون هذا وذاك إلى التجار المحليين .

وأعتقد أن الاختلاف واضح ، ولو أن النص - مهما كانت صورته - لا بد أن يشي بأسلوب الترجمة بسبب أبنية الفكر التي تتحكم في أبنية العبارات ، وفي تماسك النص بصفة عامة تماسكًا يوحي بالثقافة العلمية الغربية ، وأعتقد أن هذه المسألة قد اتضحت .

ومعنى ذلك كله - في إطار نظرية النظام المتعدد - أن الترجمة كانت مسئولة عن وضع طرائق جديدة للكتابة ما لبثت أن أحدثت تأثيرها في الأدب ، فبدأ في الابتعاد عن أساليب الزركشة اللفظية ، واتباع ما دعا إليه طه حسين من تصوير الإنسان في صور « جمالية » لا تكمن في الصياغة اللفظية ، بل في دقائق الصورة وصدقها ، وهو ما فعله توفيق الحكيم ، ومن اتبعه من كُتّاب الرواية والقصة القصيرة ، وكُتّاب « الخاطرة » خصوصًا ، فازدهر النثر

العربي الحديث واتخذ له طريقًا جديدًا ، وكان الرائد الأول هو نجيب محفوظ ، الذي تطور تطورًا مذهلاً ، تعرضت له في دراستي بالإنجليزية عن تطور اللغة لديه (انظر **نجيب محفوظ في عيون العالم** ٢٠٠٢) ؛ ومن ثم فلن أعرض لذلك التطور ، بل سألمح فحسب إلى أن تيار الكتابة الواقعية في الفترة التي تطور فيها كانت تصاحبه ترجمات لعيون الأدب العالمي ، وأن التيارين كانا يمثلان « نظامين » متجاورين - وفقًا لتعريف « إيفن-زوهار » - يغذي كل منهما الآخر ، وأذكر عندما صدرت في الخمسينيات ترجمة **العجوز والبحر** لهيمنغواي ، تعجب الكثيرون كيف يحصل ذلك الكاتب ذو الأسلوب « العادي » على جائزة نوبل !

ويؤكد جنتزلر Genztler في كتابه المشار إليه آنفًا (١٩٩٣) أن نظرية تعدد النظم (أو النظام المتعدد) تمثل تقدمًا مهمًا في دراسات الترجمة (ص ١٢٠ - ١٢١ ، ص ١٢٤ - ١٢٥) وهو يعدد هذه المزايا قائلاً إن أولاها هي إتاحة دراسة الأدب نفسه إلى جانب القوى الاجتماعية والتاريخية والثقافية ، وثانيتها أن إيفن-زوهار يبتعد عن دراسة نصوص مفردة بمعزل عن بعضها البعض ويقترب من دراسة الترجمة في إطار النظامين الثقافي والأدبي اللذين تتحقق وظيفتها فيهما ، وثالثتها هي أن تعريفها للتعادل والكفاية بريء من وضع القواعد ، أي (non-prescriptive) ومن ثم فهو يسمح بالاختلافات وفقًا لموقف النص تاريخيًا وثقافيًا .

ويؤيده منداي (٢٠٠١ - ص ١١١) قائلاً إن المزية الأخيرة قد هيأت لنظرية الترجمة مهربًا من « الحجج اللغوية المتكررة التي كانت قد بدأت تُتابع بإصرار مفهوم التعادل في الستينيات والسبعينيات » . ولكن جنتزلر في الواقع يلمح إلى بعض مثالب في هذه النظرية وهي ميلها إلى التعميم دون أدلة كافية ، وأعتقد أنني أتيت بشواهد كثيرة تدحض هذا الزعم ، كما أنه ينعى

عليه استلهامه للمنهج الشكلي القديم ، قائلاً إنه قد لا يصلح لأدب السبعينيات ، والرد على ذلك يسير ، ففي السبعينيات حين ازدهرت في العالم العربي ترجمات النصوص التجريبية في المسرح والشعر والقصة ، استجاب الأدباء العرب فأخرجوا نماذج تجريبية في شتى الأنواع الأدبية تضاهي تلك الترجمات ، وازدهرت حركات التجديد ، وهذا ما يبطل انتقادات « جنتزلر » الأخرى لنظرية تعدد النظم ، فلقد كانت الترجمات المذكورة سندًا وإلهامًا للثائرين من شباب المبدعين الذين خرجت إبداعاتهم في إطار معارضة بعض ما اختلفوا معه من « نظم » اجتماعية وثقافية بل وسياسية، فكانت بشائر ذلك جماعة « إضاءة ٧٧ » ومن بعدها « الجراد » إلى آخر ما ازدهر حقًا في السبعينيات ، وعندما ترجمتُ مختارات من شعر هؤلاء وقدمتها للنشر في أمريكا رحب بها كبار النقاد ورأوا فيها امتدادًا لروح السبعينيات الثورية ، وكانت اللغة (ولا تزال في ظني) لغة استكشافية تحاكي ما قدمته الترجمات ، وما كان يبدو من إبداع كبار الأدباء - مثل أدونيس - كأنه ترجمة عن لغة أوربية .

وأعتقد أن نظرية « تعدد النظم » كانت من وراء كثير من الاتجاهات الحديثة في التسعينيات التي حررت دراسة الترجمة من التركيز الممل على الحوار القديم بين ترجمة الألفاظ وترجمة المعاني ، وكان لها تأثيرها الكبير في معظم من كتبوا بعده ، ومنهم « جدعون توري » Gideon Toury الذي بدأ عمله مع « إيفن-زوهار » في دراسة العوامل الثقافية الاجتماعية التي تحدد مسار ترجمة الأعمال الأدبية الأجنبية ، ثم افترق عنه وأخرج في عام ١٩٩٥ كتابه الشهير بعنوان «**دراسات الترجمة الوصفية وما بعدها** » والذي يحاول فيه وضع نظرية عامة للترجمة. وهو يطالب في هذا الكتاب (ص ١٠) بإنشاء فرع وصفي منهجي حقيقي لهذا المبحث ، بدلاً من الدراسات الفردية المتفرقة التي شاعت.
ويقول في صفحة ٣ :

« إننا لا نفتقر إلى المحاولات الفردية التي تمثل ثمارًا لطاقة الحدس الفذة ، وتقدم نظرات عميقة بديعة (إذ يتوافر ذلك في كثير من الدراسات الحالية) ولكننا نحتاج إلى فرع منهجي ، تكون نقطة انطلاقه افتراضات واضحة ، وبحيث يكون مسلحًا بالمنهج العلمي وطرائق البحث العلمي ، وبحيث يتميز بالنص على ذلك كله صراحة وتكون له مبرراته الكافية داخل إطار دراسات الترجمة نفسها . ولا يستطيع إلا فرع كهذا أن يضمن إمكان اختبار ومقارنة نتائج الدراسات الفردية فيما بين الدارسين ، وبحيث يمكن تكرار إجراء أمثال هذه الدراسات . »

ويبدأ توري كتابه المذكور بأن يؤكد أن الترجمات تشغل موقعًا ما في النظم الاجتماعية والأدبية للثقافة المستهدفة ، وأن ذلك الموقع يحدد استراتيجيات الترجمة المطبقة ، وهو بهذا يبني نظريته على أساس نظرية « تعدد النظم » ، وما سبق أن قاله في أعماله السابقة (١٩٧٨ ، ١٩٨٠ ، ١٩٨٥ ، ١٩٩١) ولكنه يقترح الآن منهجًا علميًا يتكون من ثلاث مراحل للدراسات الوصفية المنهجية للترجمة (وسوف أشير إليها فيما يلي باسم **الدراسات الوصفية فحسب**) تتضمن وصف العمل المترجم والدور الواسع النطاق للنظام الثقافي الاجتماعي : أما المرحلة الأولى فهي وضع النص في إطار نظام الثقافة المستهدفة ، والنظر إلى دلالته أو قبوله) ، والمرحلة الثانية هي مقارنة النص المصدر بالنص المستهدف لتحديد التغييرات ، ورصد العلاقات بين ثنائيات مختارة من أجزاء النصّين ، ومحاولة إصدار أحكام عامة على مفهوم الترجمة الذي يقوم عليه العمل ، وأما المرحلة الأخيرة فهي استنباط ما يستفاد من ذلك للاهتداء به في الترجمة في المستقبل ، وأهم ما في هذه المقترحات هو تكرار المرحلتين الأولى والثانية لشتى الأنواع الأدبية والمؤلفين والفترات التاريخية وما إلى ذلك ، وصولاً إلى رصد المسار العام ، وهو ما ترمي إليه الدراسات

الوصفية .

وقد أثارت المرحلة الثانية - أو قل الخطوة الثانية - جدلاً عنيفًا ، فانتقده جنتزلر (١٩٩٣ ص ١٣١ - ١٣٢) وهيرمانز Hermans في كتابه الترجمة في إطار النظم (١٩٩٩ - ص ٥٦ - ٥٧) لأنه يستند إلى أحكام لغوية خلافية ، وانتقده منداي (٢٠٠١ - ص ١١٢) لأنه كان قد عاد في كتابين سابقين له إلى فكرة « الموازن الثالث » *tertium comparationis* بعد أن ثبت فشلها (انظر مناقشتنا لها في إطار نموذج ترجمة مونولوج هاملت) ولأنه يصر على مفهوم الترجمة الكافية adequate translation ثم يعود فيقول إن الكفاية الكاملة محالة . ولكن « توري » يتخلى في كتابه الجديد (١٩٩٥) عن فكرة الموازن الثالث أو العنصر الثابت the invariant في مقارنة النص الأصلي بالنص المترجم ، ويقتصر على مقارنات « مخصصة » للدرس *ad hoc* بحيث يبتعد المنهج عن التقنين ويتسم بالمرونة ، ومن مزايا المرونة أنها تسمح بفحص جوانب مختلفة من النص المترجم ، ولنضرب مثلاً من دراسة ترجمات الشعر الإنجليزي إلى اللغة العربية ، فقد تتخصص دراسة في فحص الترجمات النثرية وتأثير ضياع الوزن أو القافية أو ضياعهما معًا ، وتقارن ذلك بالترجمات المنظومة ، وقد تتخصص دراسة أخرى في فحص المعجم الشعري للمترجم ، إذ قد يبدي غرامًا بتكرار ألفاظ شائعة في شعره هو أو في شعر معاصريه (مثل غرام علي محمود طه باستخدام الفعل « يهفو » ومشتقاته في ترجماته للشاعر الإنجليزي شلي) وما إلى ذلك ، فإذا وضعت هذه الدراسات جنبًا إلى جنب ، استطاع الباحث أن يستنبط اتجاهًا عامًا للترجمة .

ومعنى الاتجاه العام للترجمة هو ما يسميه الباحثون بالمسلك الخاص بالترجمة translation behaviour وهو يتكون في الواقع من عدة اتجاهات تحددها القرارات التي يتخذها المترجم وفقًا لمعايير اجتماعية أو أعراف ثقافية معينة ، ولو دون وعي كامل بها ، وعلى الدارس إذن أن يستنبط تلك المعايير

norms التي حددت « مسلك » الترجمة ووضع الافتراضات التي يمكن اختبار مدى صحتها في الدراسات الوصفية بعد ذلك . وأما تعريف « المعايير » عند « توري » فهو ترجمة قيم أو أفكار عامة يشترك فيها مجتمع من المجتمعات - أي فيما يتعلق بما هو صواب أو خطأ ، أو ما هو كافٍ أو قاصر - إلى تعليمات الأداء المناسبة لكل حالة ، والتي لا تسري إلا في هذه الحالة (١٩٩٥ - ص ٥٥).

ويعني بها « توري » في الواقع القيود الثقافية الاجتماعية التي تفرضها ثقافة معينة ، أو مجتمع معين أو زمان معين ، ويعي الفرد المعايير من عملية التعليم - كما سبق أن أوضحنا - والاندماج في المجتمع ، وأما عن قوة هذه المعايير فإنها تحتل مكانًا وسطًا بين القواعد والميول الفردية الخاصة التي تميز كاتباً عن كاتب ومترجمًا عن مترجم ، قائلاً إنها تتحكم في أنشطة الترجمة و « تحدد (نوع ومدى) التعادل الذي تحققه الترجمات نفسها » (ص ٦١) ويقول منداي (ص ١١٣) إن ذلك قد يوحي ببعض « اللبس » في معنى المعايير، شارحًا ذلك بأن « توري » يصفها بأنها أداة تحليل وصفية قائلاً (في **موسوعة دراسات الترجمة** ١٩٩٧ ص ١٦٤) « إنها الاختيارات التي يعمد إليها المترجم في سياق اجتماعي تاريخي معين ، وبصفة منتظمة » وبأنها تبدو في الواقع قوى تمارس ضغوطًا من نوع ما ، وتقوم بوظيفة تقنينية معينة prescriptive function . والتناقض بين « الاختيارات » و « الضغوط » في تحديد معنى « المعايير » ظاهري - في رأيي - لأن المترجم قد يعمد إلى اختيارات منتظمة ، يمكن الاستناد إليها في تحديد مذهبه في الترجمة ، نتيجة « ضغوط » معينة قد لا يكون واعيًا بها كل الوعي .

ويقول « توري » إن المعايير تنقسم إلى ثلاثة أنواع : المعايير **المبدئية** initial وهي التي تشير إلى الاختيارات العامة التي يعمد إليها المترجم في الترجمة ، فإما أنه يقبل معايير الثقافة أو اللغة المصدر فيخرج ترجمة **كافية** adequate أو

يقبل معايير الثقافة أو اللغة المستهدفة فيخرج ترجمة **مقبولة** acceptable . ولكن المقابلة بين هذين « القطبين » نسبية ، فلا توجد نصوص تقتصر على أحدهما دون الآخر . وأما النوع الثاني فهو المعايير **التمهيدية** preliminary وهي تحدد ما يسميه بسياسات الترجمة بمعنى اختيار نصوص بعينها للترجمة في زمن معين وثقافة معينة ، وتحدد أيضًا ما يسميه بدرجة المباشرة في الترجمة ، بمعنى الترجمة عن لغة وسيطة ، كترجمة تشيخوف إلى العربية من خلال ترجمة إنجليزية ، ومدى تقبل الثقافة المستهدفة لذلك ، وأنواع اللغات الوسيطة وما إلى ذلك ، والنوع الثالث هو **المعايير العملية** operational norms وهي الخاصة بصورة تقديم النص المستهدف والمادة اللغوية التي يتكون منها ، وإيضاحًا لذلك يفصل « توري » القول في معنى « صورة التقديم » قائلاً إنها تعني مظهر النص المترجم ، أو شكله أو إطاره العام ، وهو لذلك يصف المعايير التي تتحكم في ذلك بأنها **معايير إطارية** أي matricial norms . فالمترجم قد يقرر حذف فقرة ، أو عبارة أو كلمة من النص المترجم ، وقد يقرر إضافة فقرة أو حواش للترجمة ، مما يحدد صورة تقديم النص المستهدف آخر الأمر ، وهذه المعايير هي القسم الفرعي الأول من المعايير العملية ، أما القسم الفرعي الثاني فهو ما يسميه **المعايير النصية اللغوية** textual-linguistic norm. وهي التي تحدد اختيار المترجم للمادة اللغوية على تنوعها وثرائها .

وأما دراسة « التعادل في الترجمة » translation equivalence ، وهو ما يطمح إليه الدارس الذي يطبق هذه المعايير جميعًا ، فإنها لا تهدف إلى الحكم على تعادل المعنى بالمفهوم القديم بين النصين (انظر الفصل الخاص بنظرية المعنى) بل [illegible]و « **مفهوم وظيفي علائقي** » functional-relational بمعنى أنه يقوم على افتر[illegible] التعادل بين النص المصدر والنص المستهدف ، ولذلك الافتراض أهميته ال[illegible]غة ، لأنه لا يجعل الدارس يركز على ماهو « صواب » أو « خطأ » في النقل[illegible] بمعنى موازنة تعبير بتعبير لبحث درجة التعادل بينهما ، بل إنه يركز

على كيفية تحقيق التعادل المفترض ، ويعتبر أداة يستخدمها الدارس للكشف « عن المفهوم الكامن للترجمة » - أي عن الدوافع وراء القرارات المتخذة والعوامل التي شكلت قيودًا عليها . (ص ٨٦)

والمثال على ذلك هو الدراسات التي أجريت في مصر لترجمة شيكسبير إلى اللغة العربية ، ابتداء من كتاب الدكتور رمسيس عوض **شيكسبير في مصر**، وانتهاء برسائل الدكتوراه في الموضوع نفسه ، فلقد كانت **المعايير المبدئية** تميل دائمًا في مطلع القرن ومنتصفه إلى إخراج ترجمة مقبولة أى ترجمة تتفق مع معايير الثقافة العربية واللغة العربية ، لأن صورة شيكسبير في عيون العرب كانت صورة الشاعر الفحل ، فإن لم نستطع أن نترجمه شعرًا عربيًا فلنترجمه نثرًا عربيًا فصيحًا يحقق الكفاءة (أي الاقتراب من النص الأصلي) إلى حد كبير ، ولكنه يصب في تيار النثر العربي والثقافة العربية التقليدية ، وأما **المعايير التمهيدية** فتقول إنه قد اختير بسبب ما شاع عن فحولته الشعرية ، وأيضًا بسبب بعض مفاهيمه ، وهو ما أوحت به ثقافة النصف الأول من القرن العشرين ، ولا أقول فرضته فرضًا ، وأقصد بها مفاهيم الحب والحرية والعدل ، وهي المفاهيم التي كانت تكمن في باطن « الحركة القومية » و « الحركة الرومانسية » معًا ، بل كانت المفاهيم الكامنة في شعر مدرسة « الإحياء » الشعرية العربية ، وفي نقد النقاد « الثوريين» لهذه المدرسة (العقاد وشكري والمازني) في الوقت نفسه ! وقبل كل شيء ، كانت مفاهيم شيكسبير عن « النظام » الثابت للدولة وفكرة « الحق » (حتى بالمعنى القانوني) تتفق مع التيار الثقافي العام الذي يريد تأكيد استقلال مصر الذي تحقق اسميًا في القرن التاسع عشر ولم يتحقق فعليًا إلا في القرن العشرين ، وتأكيد سيادة « النظام » و « الحق » ، معًا وفي الوقت نفسه ، في إطار إنساني صادق من نوع الأطر التي يرسمها الأدب الرفيع ، وكان شيكسبير يمثله آنذاك خير تمثيل .

وأما **المعايير العملية** فكانت تشهد بغلبة الثقافة المحلية وسيطرتها ، فلم يجد

المترجم في مطلع القرن بأسًا في أن يحذف المشاهد التي لا تتفق مع الثقافة العربية ، أو العبارات التي تنافي الأعراف السائدة ، أو في دمج المشاهد أو اختصار بعضها ، وأما عن المعايير النصية اللغوية ، فقد كانت مرجعيتها هي العربية التراثية ، كما يتجلى في ترجمة الشاعر الفحل خليل مطران لشيكسبير، ولم يبدأ التفكير في الترجمة المنظومة وباللغة العربية المعاصرة إلا في منتصف الثلاثينيات ، عندما أصدر علي أحمد باكثير ترجمته الرائعة لروميو وجولييت ، ثم أصدر في الخمسينيات محمد فريد أبو حديد ترجمة منظومة لمسرحية ماكبيث ، وترجم الشاعر صلاح عبد الصبور فصلاً من الملك لير نظمًا، ثم توالت في الثمانينيات والتسعينيات الترجمات المنظومة (بقلم كاتب هذه السطور) لمسرحيات شيكسبير .

هذا هو ما تعنيه دراسة اتجاه الترجمة عند توري ، في إطار الدراسات الوصفية ، وهي كما ترى تمثل ابتعادًا عن الدراسات اللغوية الضيقة ، وإن كان يستعين بها في رصد المعايير التي تحكم الترجمة دون التدخل بإصدار أحكام بالخطأ والصواب ، ولا تزال دراسات الترجمة - ذلك المبحث الجديد في الوطن العربي - في بداية الطريق ، فلقد أشرفت على رسالتين للدكتوراه في ترجمة شيكسبير في التسعينيات - الأولى من إعداد الباحثة أمية خليفة (جامعة القاهرة) عن ترجمة مأساوات شيكسبير ، والثانية من إعداد الباحث سعيد العليمي (جامعة طنطا) عن ترجمة الفكاهة في كوميديات شيكسبير ، وكان المنهج في كليهما لغويًا وثقافيًا معًا ، وأخيرًا أعدت باحثة أخرى ، هي نيفين حسن (جامعة عين شمس) رسالة عن ثلاث ترجمات عربية للملك لير تنحو فيها المنحى اللغوي وحده ، بإشراف أستاذة علم اللغة والمترجمة الفذة الدكتورة جانيت عطية .

وينتهي « توري » من هذا العرض الوافي للمعايير إلى الإعراب عن أمله في أن تؤدي الدراسات الوصفية إلى وضع « قوانين » « احتمالية » -probabilis

tic للترجمة ، أي قوانين تقوم على ترجيح أحد الاحتمالات على غيره ، ومن ثم وضع مبادئ عالمية عامة شاملة للترجمة universals ومن « القوانين » التي يقترحها بصفة مؤقتة قانون **ازدياد الاتجاه نحو التوحيد** وهو ما يناقشه في نحو ست صفحات growing standardization وهو يعني ما يلي :

> « كثيرًا ما تتعرض العلاقات النصية القائمة في الأصل للتعديل في أثناء الترجمة ، بل أحيانًا ما يتجاهلها المترجمون تجاهلاً تامًا ، مفضلين عليها اختيارات معتادة ، وهي الاختيارات القائمة في ذخيرة اللغة المستهدفة »
>
> (ص ٢٦٨)

وهو يعني بذلك تغيير الأنساق القائمة في النص المصدر أثناء الترجمة ، وانتقاء خيارات لغوية أكثر شيوعًا في اللغة المستهدفة ، وقد يؤدي ذلك إلى الميل إلى « التوحيد » العام في لغة النص المترجم وغياب التنوع الأسلوبي فيه ، أو على الأقل تطويعه للغة المستهدفة بأبنيتها وتعبيراتها الخاصة ، ويشيع ذلك عندما تشغل الترجمة موقعًا ضعيفًا أو هامشيًا في « النظام الأدبي » لأمة ما ، وفقًا لنظرية **تعدد النظم** (انظر بداية هذا الفصل) . ويقابل ذلك « القانون » ما يسميه **قانون التدخل** interference ومعناه المحاكاة الدقيقة ، عمدًا أو دون عمد ، للأنساق اللفظية والتركيبية للغة المصدر ، في النصوص المترجمة . وقد يكون التدخل (أو التداخل) سلبيًا ، حين يوحي بتراكيب غير مقبولة في اللغة المستهدفة ، أو إيجابيًا حين يكون للمحاكاة هدف فني ، ولو كانت التراكيب غير مألوفة ، كالبداية بغير الفعل أو المبتدأ في العربية ، وإن لم يكن ذلك خطأً أو غير مقبول ؛ ولذلك نجد أن ترجمة **الفردوس المفقود** تبدأ بشبه جملة (عن أول خطيئة يقترفها الإنسان) في الكتاب الأول ، وتبدأ بحال في الكتاب الثاني (عاليًا على العرش الملكي . . . جلس إبليس) وهلم جرًا ، ولكنني

غيرت بناء الجملة التي اقتطفتها في هذه الفقرة من « توري » فلم أبدأ بشبه الجملة ، والأصل هو :

In translation, textual relations obtaining in the original are often modified, ...

ويضرب توري أمثلة مما يسمى الأسماء المترابطة binomials وهي عبارات تتكون من اسمين يرافقان بعضهما بعضًا ، دون أن يكونا مترادفين ترادفًا كاملاً ، وهذه العبارات شائعة في كل اللغات ، ولكنها لا توازي العبارات نفسها في لغات مختلفة ، ففي الإنجليزية نجد تعبير able and talented الذي يقترب من معنى « ذكي موهوب » ومن المعنى القديم « أديب أريب » - ولكنه لا يرادفه ترادفًا كاملاً ، والثعالبي يقول في فقه اللغة إن من سنن العرب وضع هذه الكلمات المترابطة ، مثل مِعَنٌ مِفَن ، وخراب يباب ، وعطشان نطشان ، وهذا لا يكثر في الإنجليزية ، فنحن اعتدنا law and order (القانون والنظام) ولم نعتد « بوضوح وجلاء » very clearly أو «العلم والمعرفة» / ? learning ? knowledge أو « العدل والإنصاف » justice فحسب . وهكذا فإن كثرة ورود أمثال هذه المزاوجات في الترجمة قد يفصح عن اتجاه عام للتوحيد بنفي التداخل (أو التدخل) - ومعناه أن القانونين اللذين وضعهما توري يمكن تطبيقهما على أية ترجمات ومن أي لغة إلى لغة ، استنادًا إلى منهج من القاعدة للقمة bottom - up في التحليل ، ما دام الدارس ملمًا بأعراف اللغة المستهدفة .

ويقول منداي (٢٠٠١-١١٧) إن المنهج الذي وضعه « توري » يمثل - فيما يبدو - خطوة مهمة على طريق وضع أسس راسخة للدراسات الوصفية في المستقبل ، ويرصد « جنتزلر » بعض جوانب هذا المنهج التي أثرت تأثيرًا كبيرًا في دراسات الترجمة ، منها التخلي عن فكرة المقابلة أو المقابلات الفردية بين عناصر النص (إلا في حدود ضيقة) والتخلي كذلك عن التعادل اللغوي أو

الأدبي ، أو التعادل على المستويين معًا (إلا إن جاء ذلك مصادفة) ، ومنها اشتراك الاتجاهات الأدبية (داخل النظام الثقافي للغة المستهدفة) في إخراج أي نص مترجم ، ومنها زعزعة الفكرة القديمة التي تقول بوجود « رسالة أصلية » ذات هوية ثابتة ، ومنها كذلك إشراك النص الأصلي والنص المترجم معًا في شبكة العلامات (الشبكة السيميائية / السيميوطيقية) للنظامين الثقافيين المتداخلين ، ولكن « هيرمانز » ينتقد في مقال له نشر عام ١٩٩٥ ما قاله « توري » في كتابه الأول (١٩٨٠) ويعيب عليه تجاهل بعض العوامل التي تلعب دورًا مهمًا في اتجاه الترجمة - مثل العوامل الأيديولوجية والسياسية ، ومنها منزلة العمل الأصلي (المصدر) بين الأعمال الأدبية المكتوبة بهذه اللغة ، واحتمال تشجيع أصحاب الثقافة الأصلية لترجمة مثل هذا العمل لأسباب الدعاية أو رفع المكانة الأدبية ، وتأثير مثل هذه الترجمة إلى اللغات الأجنبية في اللغة والأدب في الثقافة الأصلية . وينطبق ذلك على وجود بعض ترجمات إنجليزية منشورة في الخارج لأعمال لا تتمتع في بلدها الأصلي بمكانة رفيعة ، ووجود ترجمات عربية لأعمال لا تتمتع بامتياز خاص بين آداب اللغات المترجمة عنها ، وقد تكون الترجمة قد أنجزت في الحالة الأولى لأن امرأة قد كتبت العمل ، أو لأن العمل يمثل مناهضة للنظام القائم ، أو مناهضة للثقافة الأصلية بمعناها الواسع (وهو ما يحبه الغربيون) . وذلك كله مما لا يتضمنه منهج « توري » ، ولكنه ينتمي - في رأيي - إلى مجال أوسع من مجالات النقد الأدبي ، ولا يختص بالترجمة وحدها ، وما ينطبق على صعوبة التعميم في حالة النقد الأدبي ينطبق على الترجمة ، فالأحكام عادة ما تقوم على آراء النقاد ، وهذه ليست « علمية » إلى الحد الذي يسمح بوضع « قوانين » عامة .

ويعود « هيرمانز » في كتابه الأخير (١٩٩٩) إلى انتقاد منهج « توري » لأسباب مشابهة لما ذكرت ، إذ كيف يتأتى لدارس الترجمة أن يحيط بجميع

المتغيرات (أي العوامل المتغيرة) التي تحكم قرارات المترجم واختياراته ، ويضيف أن القانونين اللذين يقترحهما « توري » يتسمان إلى حد ما بالتناقض، أو قل إنهما يسيران في اتجاهين مختلفين ، فالقانون الأول (قانون التوحيد) موجه إلى النص المترجم (المستهدف) ويشي بمعايير خاصة بالنصوص المترجمة وحدها ، وقانون التدخل (أو التداخل) موجه إلى النص الأصلي (المصدر) . ويشرح منداي ذلك قائلاً إنه قد وجد أثناء إعداده رسالة الدكتوراه (١٩٩٧) أن قانون التدخل يجب تعديله أو إبداله بقانون آخر يسميه « **انخفاض التحكم في التحقيق اللغوي في الترجمة** » وهذه العبارة المترجمة حرفيًا جديرة بالشرح ، فالأصل يقول :

reduced control over linguistic realization in translation

وأما معناها فهو أن المترجم يخضع لعدة عوامل تنتقص من قدرته على التحكم الكامل في الصياغة اللغوية لما يترجمه ، منها تأثير الأنساق اللغوية للنص المصدر ، أي أبنيته وتنظيمه الداخلي ، ومنها تفضيل المترجم للوضوح وتجنب الغموض في النصوص المترجمة ، ومنها العوامل الواقعية التي تؤثر في عمل المترجم ، مثل ضغط الوقت ومحاولته تحقيق أقصى قدر من النجاح في الترجمة بأقل قدر من الجهد ، وهذا ، كما سبق أن قلت في الفصل الثالث، مما لا يعرفه إلا المترجم المحترف الذي يقدر قيمة الوقت ، وهو ما أطلق عليه « ليفي » تعبير minimax strategy أي استراتيجية تحقيق « الأقصى بالأدنى » - على نحو ما ذكرت - وهو ما قد ينطبق على الترجمة غير الأدبية أكثر مما ينطبق على الترجمة الأدبية ، و « منداي » محق في رصده لهذه العوامل ، وإن كان ذلك لا ينتقص من نظرية « توري » ، لأنها تأخذ في اعتبارها عوامل ثقافية اجتماعية تتخطى الترجمة الأدبية ، وتجعلها صالحة للتطبيق على أي ترجمة .

ومن مزايا « المعايير » التي وضعها « توري » أنها لا تقف عند « الخطأ »

و « الصواب » ؛ ومن ثم فهي « غير تقنينية » non-prescriptive ، ولكن تشسترمان Chesterman يقول في كتابه الأخير (١٩٩٧) وعنوانه *Memes of Translation* أي العناصر الصغرى في الترجمة ، إن أي نوع من أنواع المعايير لا بد أن يتضمن بعض « التقنين » ، ثم يقترح هو نفسه نوعين آخرين من المعايير لإحلالهما محل « المعايير المبدئية » و « المعايير العملية » ، وهما النوعان اللذان اقترحهما توري . أما النوع الأول عند تشسترمان فهو معايير المنتج (بفتح التاء) أو معايير التوقع product or expectancy norms وهو يقول إن هذه المعايير تنشأ بناء على توقعات قراءة ترجمة (من نمط ما) بشأن ما ينبغي أن يكون عليه حال الترجمة (من هذا النمط) والعوامل التي تتحكم في هذه المعايير تتضمن تقاليد الترجمة السائدة في الثقافة المستهدفة ، وأعراف الكتابة والصياغة في النوع الأدبي (المماثل للنوع المترجم) في اللغة المستهدفة ، وبعض الاعتبارات الاقتصادية والأيديولوجية الأخرى ، وأما النوع الآخر من المعايير فهو يسميه المعايير المهنية professional . وهي المعايير التي « تنظم عملية الترجمة نفسها » ، وتعتبر تابعة لمعايير التوقع ، أي أن معايير التوقع هي التي تتحكم في المعايير المهنية ، وهو يقسم المعايير المهنية إلى ثلاثة أنواع ، أولها هو معيار المساءلة accountability بمعنى تحمل المسئولية عن العمل المترجم ، ومن ثم فهو معيار أخلاقي ethical يلزم المترجم بالأمانة والدقة ، وثانيها معيار التوصيل communication بمعنى أن يكون المترجم خبيرًا في فن توصيل « الرسالة » إلى القراء ، ومن ثم فهو معيار اجتماعي يلزم المترجم بأداء مهمة اجتماعية ، وثالثها معيار « العلاقة » relation بمعنى الحفاظ على العلاقة بين النص المصدر والنص المستهدف ومن ثم فهو معيار لغوي ، وهنا أيضًا يرفض « تشسترمان » علاقات التعادل الضيقة ويرى أن يقوم تقدير المترجم للعلاقة الصحيحة على أساس « نمط النص ، ورغبات من كلفه بترجمته ، ومقاصد الكاتب الأصلي ، والاحتياجات المفترضة لقرائه في المستقبل . » (ص ٦٩)

وينتهي « تشسترمان » إلى القول بأن هذه المعايير المهنية تكتسب شرعيتها أو صحتها من « الثقات » - وهم كبار العاملين بالترجمة والأدب مثلاً ، والهيئات المهنية ، وكبار النقاد - بل أحيانًا ما تفرض هي نفسها « صحتها » على المجتمع . وهي معايير أوسع وأشمل من معايير « توري » - ويقول منداي (٢٠٠١ - ص ١١٩) إنها « قد تعود بالنفع على الوصف الشامل لعملية الترجمة والأعمال المترجمة . »

وسوف أتوقف قليلاً عند الاتجاه الذي اتخذه عدد من الباحثين أطلقوا على أنفسهم مدرسة المعالجة أو جماعة المعالجة The Manipulation School or Group وكان ذلك في مؤتمرات عقدت ما بين عامي ١٩٧٦ و ١٩٨٠ ، وصدرت أبحاث المؤتمرات عام ١٩٨٥ بعنوان **معالجة الأدب : دراسات في الترجمة الأدبية من تحرير هيرمانز** Hermans, *The Manipulation of Literature: Studies in Literary Translation*

وأقول بداية إن ترجمة مصطلح « المعالجة » عسيرة ، وإن كنت أرى أنها أقرب كلمة عربية إلى المعنى المقصود ، فأما ما عجزت عن إدراجه في معناها فهو الإيحاء بالتلاعب ، وهو معنى ثانوي في العنوان ولا يدل عليه أي بحث من أبحاث ذلك الكتاب ، وأما المعنى الأساسي المقصود فهو « التحوير » عند المعالجة أي عند الترجمة من لغة إلى لغة أخرى ، فالمترجم لا يقدم مطلقًا في نظر هذه الجماعة نصا « يعالجه » (أي يترجمه) دون قدر ما من « التحوير » ، وقد يمتد « التحوير » - كما جاء في كتاب كتبه « ليفيفير » عام ١٩٩٣ أي بعد ثلاثة عشر عامًا من مؤتمر أنتويرب عام ١٩٨٠ - إلى « الصيت الأدبي » literary fame (انظر المراجع) إذ قد يقدم النص المترجم صورة « مُحوَّرة » (متلاعبًا فيها) للنص الأصلي أو لكاتبه ، ولكن الكتاب المذكور لا يتطرق إلى ذلك بل ينصبُّ على اعتبار الأدب نشاطًا ديناميًا قد يتغير « بالمعالجة» أي بالترجمة ، وهاك ما كتبه « هيرمانز » تلخيصًا لرأي المجموعة في الأدب

المترجم (ص ١٠ - ١١) :

يشترك أعضاء المجموعة في نظرتهم إلى الأدب باعتباره نظامًا معقدًا وديناميًا ، وفي الإيمان بضرورة استمرار التفاعل بين النماذج النظرية ودراسات الحالة العملية ، وفي تطبيق منهج في دراسة الترجمة الأدبية يعتمد على المدخل الوصفي ، والتنظيم الذي يرمي إلى تحقيق الهدف ، ويتميز بأنه منهج وظيفي وعلمي . كما يشترك أعضاء المجموعة في اهتمامهم بالمعايير والقيود التي تحكم إنتاج واستقبال الترجمات ، وبالعلاقة بين الترجمة وغيرها من أنواع معالجة النصوص text processing وبموقع ودور الترجمات في إطار أدب بعينه ، وفي التفاعل فيما بين الآداب .

ولكن أبحاث ذلك المؤتمر تكرر ما سبق أن قلناه عن « تعدد النظم » وغيرها من النظريات وليس فيها جديد ، وإنما ترجع أهميتها إلى وضع مصطلح المعالجة (أو التحوير) وما أدى إليه ذلك من نشأة أفكار أخرى ، مثل التي وردت في كتاب ليفيفير المشار إليه ، والواقع - كما يقول منداي (٢٠٠١ - ص ١٢١) أن الدراسات الوصفية للترجمة قد تقدمت كثيرًا منذ صدور ذلك الكتاب ، وتحول ليفيفير عن مصطلحات « تعدد النظم» إلى دراسة الدور الذي تلعبه العوامل الأيديولوجية ودور « صاحب العمل » في نظام الأدب المترجم ، وأما هيرمانز فقد تطور هو الآخر ، وهو يرهص في كتابه المشار إليه (الترجمة في النظم) (١٩٩٩) بمستقبل مسار دراسات الترجمة قائلاً :

« يحتاج هذا المبحث بصفة عامة ، ومذهب الدراسات الوصفية بصفة خاصة ، وبصورة عاجلة ، إلى أن يأخذا في اعتبارهما التطورات في بعض الحركات الفكرية والاجتماعية القوية في عصرنا ، بما في ذلك دراسة قضايا الجنسين ، وما بعد البنيوية ، ودراسات ما

بعد الاستعمار ، والدراسات الثقافية ، والمباحث البينية الجديدة في العلوم الإنسانية . »

(ص ١٥٩-١٦٠)

ولقد كان هيرمانز محقّاً في إرهاصاته ، ولكنه كان في الواقع يستند في ذلك إلى ما سبق إنجازه على امتداد التسعينيات في مجال الدراسات الثقافية ، والمداخل إلى الترجمة من زاوية هذه الدراسات ، ولقد سبق أن ذكرنا اسم ليفيڤير (الذي توفي) ، ولكننا سوف نطلع على أعمال غيره في الاتجاهات التي حددها هيرمانز ، وأصبحت من المجالات الجديدة التي نشطت فيها بحوث الترجمة ، وإن كنا لم نَخْطُ فيها إلا الخطوات الأولى في مصر ، وعلى امتداد الوطن العربي كله .

ومن أهم الأسماء التي ارتبطت باسم الباحث أندريه ليفيڤير ، اسم أستاذة بريطانية كبيرة هي سوزان باسنيت Susan Bassnett ، شاركته في تحرير كتاب صدرت طبعته الأولى عام ١٩٩٠ والثانية عام ١٩٩٥ بعنوان الترجمة والتاريخ والثقافة *Translation, History and Culture* يضم عدداً من الدراسات المنوعة التي تحدد المسار الجديد لمبحث « دراسات الترجمة » وهو « التحول نحو الثقافة » ، ويقولان في مقدمتها إنهما يرفضان أنواع النظريات اللغوية للترجمة (التي ناقشناها في بعض الفصول السابقة) والتي انتقلت من مستوى النص باعتباره وحدة الدرس ، ولكنها لم تتجاوز ذلك المستوى (ص ٤) ويرفضان كذلك « المقارنات » المضنية بين الأصول والترجمات التي لا تأخذ في اعتبارها المناخ الثقافي للنص (وهما يطلقان عليه تعبير « البيئة الثقافية ») ، فهما يتخطيان اللغة ويركزان على التفاعل بين الترجمة والثقافة ، وعلى تأثير الثقافة في الترجمة والقيود التي تفرضها عليها ، كما يركزان على قضايا السياق والتاريخ والأعراف (ص ١١) . وهما يفحصان صورة الأدب التي

أوجدتها كتب « المختارات الأدبية » ، والشروح والتعليقات ، وألوان الاقتباس في السينما ، والترجمات، والمؤسسات التي تتولى ذلك . وهكذا فإن الانتقال من الترجمة بصفتها نصوصًا إلى الترجمة باعتبارها ثقافة وسياسة ، تطلق عليه « ماري سنيل-هورنبي » Mary Snell-Hornby في دراستها المنشورة في هذا الكتاب تعبير « التحول نحو الثقافة » the cultural turn ويعتبره ليفيفير وباسنيت اسمًا يجمع بين الدراسات المنشورة في ذلك الكتاب، وهو يضم دراسات في تغير المقاييس المعيارية للترجمة standards على مر الزمن ، وما تخضع له صناعة النشر من ضغوط ، من خارجها ومن داخلها ، نشدانًا لأيديولوجيات معينة ، وأدب نصرة المرأة feminism والترجمة ، والترجمة باعتبارها « اكتساب مِلْكية » ، والترجمة والاستعمار ، والترجمة باعتبارها إعادة كتابة rewriting بما في ذلك ترجمة حوار السينما .

ونبدأ هنا بمناقشة فكرة « إعادة الصياغة » وهي التي ناقشها أندريه ليفيفير مناقشة مستفيضة في كتابه الذي أشرنا إليه في الصفحة قبل السابقة وعنوانه « **الترجمة وإعادة الكتابة ومعالجة الصيت الأدبي** » (١٩٩٢) ويركز فيه بصفة خاصة على فحص العوامل المحددة التي تتحكم بانتظام في استقبال النصوص الأدبية أو قبولها أو رفضها ، ويعني بها بعض القضايا المحددة مثل « قضايا السلطة ، والأيديولوجيا ، والمؤسسات والمعالجة » (١٩٩٢ - ص ٢) ويقول إن الأشخاص الذين يشغلون مواقع السلطة هم الذين « يعيدون كتابة » الأدب ويتحكمون في استهلاكه من جانب الجمهور . وقد يكون الدافع على إعادة الكتابة دافعًا أيديولوجيًا ، سواء كان يمثل الاتفاق مع أيديولوجية سائدة أو التمرد عليها ، على نحو ما رأينا في حالة ترجمة أعمال عربية معينة ونشرها في الخارج دون أن ترقى في اللغة العربية إلى مستوى الأدب الرفيع ، وقد يكون الدافع خاصًا بالأسس الفنية للعمل poetological (١٩٩٢ - ص ٨) سواء كان ذلك هو الاتفاق مع الأسس الفنية السائدة أو المفضلة أو التمرد

عليها ، ويضرب ليفيفير مثالاً من ترجمة فيتزجرالد Fitzgerald لرباعيات الخيام في القرن التاسع عشر التي تمثل إعادة كتابة للرباعيات و « الارتقاء » على الأصل ، وكذلك جعلها تتفق مع الأعراف الأدبية الغربية المتوقعة في عصره .

ونستطيع أن نضيف أمثلة من ترجمة المستشرقين « لعيون » الأدب العربي « الكلاسيكي » ، خصوصًا في القرن التاسع عشر ، إذ ركز هؤلاء جهودهم في ترجمة ما يؤكد صورة الشرق التي كان الأوربيون يرسمونها لمصر والوطن العربي ، فاختاروا **المعلقات** مثلاً **وألف ليلة وليلة** ، وأعادوا كتابة هذه وتلك بأسلوب يؤكد تلك الصورة ويتفق في الوقت نفسه مع مسار الآداب الغربية في تلك الفترة ، وقد كانت الدكتورة هدى شكري عياد سباقة في الدراسة التي أجرتها لترجمة المعلقات وحصلت بها على درجة الدكتوراه في دراسات الترجمة ، لأول مرة من جامعة عربية (هي جامعة القاهرة) عام ١٩٨٥ ، فكانت بهذا دراسة رائدة ، إذ سبقت الكتابين السابق ذكرهما بعدة أعوام ، والفضل يعود في جانب منه إلى المرحوم الدكتور مجدي وهبه الذي اقترح الموضوع ، إذ يعتبر رائدًا في هذا المجال ، ويعود في جانب آخر إلى الدكتورة فاطمة موسى التي أشرفت على البحث . ولنا أن نضرب مثالاً آخر من ترجمة الأشعار التي وردت في **ألف ليلة وليلة** في النص الإنجليزي المنقول عن الترجمة الفرنسية ، إذ أعيدت كتابتها بالكامل ، فكان هذا هو موضوع الرسالة التي أعدتها الباحثة أماني أبو الفضل وحصلت بها على درجة الماجستير ، وأشرفتُ عليها ، وامتحن الطالبة فيها المرحوم الدكتور عبد القادر القط . ولم يُعن الباحثون حتى الآن بتأثير ترجمات الأدب العربي القديم التي نهض بها المستشرقون في تشكيل صورة الشرق ، وإن كانوا قد شغلوا بتأثير **ألف ليلة** مثلاً في الأدب الإنجليزي في القرن التاسع عشر، دون أن يدرسوا ترجمات **ألف ليلة** ولم يقرأوا النص الأصلي ، فنحن هنا أمام دور ثقافي واضح وبارز

للترجمة وتأثير مهم للترجمة في مسار الفكر الأجنبي . وعندما قرأت في طفولتي كتابًا بعنوان *Tales from the Arabian Nights* أي حكايات من ألف ليلة وليلة ، كتبه أو ترجمه بتصرف المستشرق والمترجم النابه ريتشارد بيرتون تصورت أن **ألف ليلة وليلة** قصص مغامرات مثيرة ، بل إن تلك الصورة ظلت عالقة في ذهني وأنا أقرأ قول الشاعر وردزورث في سيرته الذاتية الشعرية (قصيدة المقدمة) إنه تأثر **بألف ليلة وليلة** ، ولم تتغير الصورة إلا حين قرأت الأصل الذي نشره جمال الغيطاني في التسعينيات من مطبوعات هيئة قصور الثقافة المصرية .

ويقول ليفيفير (ص ٩) : « إن العملية الأساسية نفسها ، أي إعادة الكتابة ، تجري في الترجمة مثلما تجري في كتابة التاريخ ، وفي إعداد المختارات الأدبية ، وفي النقد ، وفي التحرير » ، أي أنه يضم فنونًا من الكتابة الأصلية إلى مجال الترجمة ، ومعنى ذلك أنه يدرج الترجمة في مجال النقد الأدبي العام ، ولكن الترجمة هي الموضوع الأساسي لكتاب ليفيفير ، إذ يقول في الصفحة نفسها :

> « الترجمة هي أوضح نمط يمكن التعرف عليه بوضوح لإعادة الكتابة ، . . . وربما تكون أشد الأنماط نفوذًا وتأثيرًا ، لأنها تستطيع إبراز صورة الكاتب أو أعماله ، أو صورتهما معًا ، فيما يتجاوز حدود ثقافته الأصلية »

وأما العوامل التي تتحكم في « النظام الأدبي » الذي تعمل الترجمة في إطاره فيقول ليفيفير إنها ثلاثة ، أولها هم المهنيون داخل النظام الأدبي ، وثانيها هي الرعاية (أو الوصاية) patronage خارج النظام الأدبي ، وثالثها هو الأسس الفنية السائدة . فأما العامل الأول (المهنيون) فيشير إلى النقاد في الكتب وفي الصحف ، إذ تؤثر تعليقاتهم في مدى تقبل العمل أو رفضه ، وإلى المعلمين الذين كثيرًا ما يقررون تدريس الكتاب أو عدم تدريسه ، وإلى

المترجمين أنفسهم الذين قد يقررون (مثل فيتزجرالد) الأسس الفنية التي يتسم بها النص بل ويتحكمون أحيانًا في أيديولوجيته . وسوف نعود لهذا العامل فيما بعد .

ويقول ليفيفير (ص ١٥) إن العامل الثاني يعني « القوى (الأشخاص أو المؤسسات) التي قد تشجع أو تعوق قراءة الأدب وكتابته وإعادة كتابته » وقد يكون هؤلاء « الرعاة » أو « الأوصياء » أفرادًا من أصحاب السلطة أو النفوذ في فترة تاريخية معينة ، أو جماعة من الجماعات (مثل دور النشر وأجهزة الإعلام أو مثل طبقة سياسية أو حزب من الأحزاب) وقد يكون الرعاة أو الأوصياء من المؤسسات التي تتولى تنظيم توزيع الأعمال الأدبية و « الأفكار الأدبية » ، مثل المجامع الأكاديمية ، والمجلات العلمية - وقبل كل شيء المؤسسة التعليمية .

ويرى ليفيفير أن هذه الرعاية أو الوصاية تتضمن ثلاثة عناصر ، يحددها على النحو التالي (ص ١٦) : **العنصر الأيديولوجي** ، وهو الذي يحدد اختيار الموضوع وصورة تقديمه ، والواضح أن معنى الأيديولوجيا عنده ليس مقصورًا على الفكر السياسي ، وأظن أنه يميل إلى التعريف الذي وضعه فريدريك جيمسون Fredrick Jameson في كتابه **سجن اللغة** *The Prison House of Language* عام ١٩٧٤ (برينستون) إذ يورد تعريفًا لا يتسم بالوضوح الكامل ، وهو أن الأيديولوجيا تعتبر « شبكة متداخلة الخيوط من الأشكال والأعراف والعقائد التي تنظم أفعالنا » (ص ١٦) ومن ثم فإن ليفيفير يرى أن الرعاية أو الوصاية أ يولوجية في جوهرها . وأما العنصر الثاني فهو **العنصر الاقتصادي** وهو يتعلق بدفع أجور الكتّاب ومن يعيدون الكتابة ، وكل من يعمل في هذا الحقل من المهنيين ، والعنصر الثالث هو عنصر المنزلة أو المكانة status ويقول ليفيفير . ذلك يتخذ أشكالاً عديدة ، فالناشر الذي يدفع أجر الكاتب أو

المترجم يتوقع منه أن يحقق ما يتوقعه الناشر أو ما يطلبه ، إعلاءً لمكانة الناشر ، وإذا كان المترجم أو الكاتب عضوًا في «جماعة » فسوف تتوقع الجماعة منه تحقيق أهدافها وذيوع صيتها . ويقول ليفيفير إن الرعاية أو الوصاية تسمى عامة أو جامعة undifferentiated إذا كان مصدر هذه العناصر كلها واحدًا ، وتسمى خاصة أو متفرقة differentiated إذا كانت المصادر متعددة .

وأما الأسس الفنية السائدة dominant poetics فيقول ليفيفير إنها تضم عنصرين :

الأول يختص بالحيل الأدبية literary devices مثل شتى ضروب الأجناس الأدبية ، والرموز ، والخيوط الفكرية الرئيسية leitmotifs والمواقف النمطية والشخصيات وما إلى ذلك . وأما الثاني فهو المهم ، ويختص بمفهوم الأدب ومهمته ، ويعني به ليفيفير العلاقة بين الأدب وبين النظام الاجتماعي القائم ، فالصراع بين شتى الأشكال الأدبية من الملامح التي تتسم بها نظرية تعدد النظم وليفيفير يطور هذه الفكرة من خلال دراسة الدور الذي تضطلع به المؤسسات في تحديد الأسس الفنية قائلاً :

> إن المؤسسات تفرض ، أو - على الأقل - تحاول أن تفرض الأسس الفنية السائدة في حقبة ما من خلال جعلها المعيار الذي تقيس به جودة الإنتاج في تلك الحقبة ؛ ومن ثم فهي ترفع أعمالاً معينة إلى مرتبة الكلاسيكيات في غضون فترة قصيرة نسبيًا بعد نشرها ، وترفض أعمالاً أخرى قد يصل بعضها إلى مرتبة الكلاسيكيات في حقبة لاحقة ، تكون الأسس الفنية السائدة قد تغيرت فيها .

(١٩٩٢ - ص١٩)

ويؤكد ليفيفير أهمية الترجمة هنا في سياق الاتجاه المحافظ للنظام الأدبي ، فترجمة الأعمال القديمة (اليونانية) المرة تلو المرة تؤكد أنها تعاد كتابتها في كل

مرة ، وتجعلها تؤثر تأثيرًا متجددًا في كُتّاب العصر الذي تترجم فيه ، وذلك هو الحال مثلاً بالنسبة لترجمة شيكسبير إلى العربية ، فصورة شيكسبير بالفصحى التراثية المنثورة عند مطران غير صورته بالفصحى المعاصرة المنظومة عند علي أحمد باكثير أو محمد فريد أبو حديد أو كاتب هذه السطور ، وغير صورته بالعامية المصرية المنثورة عند نعمان عاشور أو مصطفى صفوان ، إذ تعاد كتابته في كل حقبة زمنية وتختلف صورته ، ولكن المؤسسة الأدبية « تحافظ » على مكانته وتضمن تأثيره .

ويشير ليفيفير إلى أن « حدود الأسس الفنية تتجاوز اللغات والكيانات العرقية والسياسية » (ص٣٠) ويضرب مثلاً من الأسس الفنية المشتركة بين لغات وجماعات كثيرة في إفريقيا ، كما يرى أن الأسس الفنية يتحكم فيها الفكر والعقيدة ، على نحو ما حدث عندما أدى انتشار الإسلام إلى انتقال الأسس الفنية للغة العربية إلى لغات أخرى مثل التركية والفارسية والأوردية . ويوضح ليفيفير دور الترجمة هنا حين يلمح إلى التفاعل بينها وبين الأيديولوجيا والأسس الفنية قائلاً :

> نستطيع أن نثبت أنه إذا اصطدمت الاعتبارات اللغوية ، على أي مستوى من مستويات عملية الترجمة ، مع اعتبارات خاصة بالأيدلوجيا أو الأسس الفنية ، كان النصر حليف الاعتبارات الأخيرة .
> (١٩٩٢ – ص٣٩)

وكلمة الأيديولوجيا تشمل عند ليفيفير – كما قلنا – نطاقًا واسعًا من أنماط الفكر والأعراف ، فالمترجم قد يحذف الإشارات « الخارجة » (المنافية للآداب العامة) في الترجمة إلى العربية ؛ لأن العرف لن يقبلها ، وهو يصف ذلك بأنه حذف « أيديولوجي » ، وقد يعدّل المترجم من صياغة إشارة ما إلى العرب حتى لا يغضب القارئ العربي ، وهو ينسب ذلك أيضًا إلى الأيديولوجيا ،

ومعنى ذلك كله أن الترجمة تصبح بمثابة « إعادة كتابة » ، وهي نوع شائع من أنواع « المعالجة » (التي قد تصل إلى حد « التلاعب ») بالنص الأصلي .

وهكذا نرى أن اهتمام مبحث الدراسات الثقافية بالترجمة قد انتقل به من مجال التحليل اللغوي البحت إلى الروابط التي تربطه بالمباحث العلمية الأخرى ، وإن كانت هذه الروابط في بعض الأحيان منحازة إلى « الرجل » - كما تقول شري سايمون Sherry Simon في كتابها عن **قضايا الجنسين في الترجمة : الهوية الثقافية وأسس سياسات النقل** الصادر عام ١٩٩٦ (انظر المراجع) فهي تبدأ كتابها بانتقاد اللغة المستعملة في دراسات الترجمة والتي تشي بالتمييز بين الجنسين ، وتضرب الأمثلة من الاستعارات المستخدمة في تلك اللغة مثل السيادة dominance والأمانة fidelity والإخلاص faithfulness والخيانة betrayal . ويقول منداي (٢٠٠١ - ص١٣١) إن أصحاب النظريات الخاصة بنصرة المرأة feminism يرون توازيًا بين مكانة الترجمة التي تعتبر أدنى من الكتابة الأصلية ومعتمدة عليها ، وبين مكانة المرأة التي كثيرًا ما تتعرض للتدنّي في المجتمع وفي الأدب ، ويقول إن ذلك هو « جوهر النظرية النسوية للترجمة » (الصفحة نفسها) وتؤكد شري سايمون في الصفحة الأولى من كتابها المذكور أن هذه النظرية « تسعى إلى تحديد وانتقاد مجموعة المفاهيم المتشابكة التي تلقي بالمرأة وبالترجمة إلى أدنى درجة في السُّلّم الاجتماعي والأدبي » ثم تطور هذه الفكرة بتقديم مفهوم جديد ، تطلق عليه مشروع الترجمة الملتزمة committed translation project قائلة إن « الترجمة النسوية ترى أن الأمانة يجب ألا تكون موجهة إلى المؤلف أو إلى القارئ ، بل إلى مشروع الكتابة - وهو المشروع الذي يشارك فيه الكاتب والمترجم معًا » (ص٢٠) .

وتستشهد « شري سايمون » بالملتزمات بالحركة النسوية في الترجمة ، من إقليم كيبيك في كندا ، اللائي يسعين إلى تأكيد هويتهن وموقفهن

الأيديولوجي في الترجمة ، ويقول منداي (٢٠٠١ - ص١٣٢) إن إحداهن واسمها « باربرا جودار » صريحة في الإشارة إلى « التلاعب » الذي يقتضيه هذا « التأكيد » قائلة « إن الترجمة الملتزمة بنصرة المرأة تؤكد اختلافها وأهميته الحساسة ، واستمتاعها بإعادة القراءة وإعادة الكتابة إلى ما لا نهاية ؛ ومن ثم فهي تستعرض في النص المترجم دلائل تلاعبها بالنص الأصلي مزهوة مفتخرة » . كما تستشهد شري سايمون بمقدمة لإحدى المترجمات الملتزمات بنصرة المرأة تشرح فيها استراتيجية الترجمة عندها بالمصطلح السياسي قائلة :

« إن ممارستي للترجمة نشاط سياسي يهدف إلى جعل اللغة تنطق باسم المرأة . وهكذا فإن توقيعي على الترجمة يعني أن هذه الترجمة قد استخدمت كل استراتيجية متاحة للترجمة حتى يظهر الطابع الأنثوي في الترجمة » .

(من كتاب سايمون - ١٩٩٦ - ص١٥)

وتستعرض شري سايمون جهود المرأة وإسهامها في حركة الترجمة على مر العصور ، وتصر على تأكيد أهمية التحول إلى الثقافة في الترجمة ، وتقول في خاتمة كتابها إن الترجمات التي أبدعتها الملتزمات بنصرة المرأة قد جعلت قضايا المرأة مجالاً لمشروع تحويلي متعمد يعيد تشكيل السلطة النصية (ص١٦٧) . وتلخص إسهام الدراسات الثقافية في الترجمة قائلة :

لقد استقت الترجمة من الدراسات الثقافية ما يلزم لفهم تعقيدات قضية المرأة والثقافة ، إذ تساعدنا هذه الدراسات على أن نضع قضية النقل من لغة إلى لغة داخل إطار الواقع الجديد الذي يتميز بتعدد مذاهبه « المابعدية » - من ما بعد الحداثة ، إلى ما بعد البنيوية ، إلى ما بعد الاستعمار .

(١٩٩٦ - ص١٣٦)

وهكذا فإن شري سايمون تربط بين قضايا المرأة والدراسات الثقافية وبين التطورات في دراسات « ما بعد الاستعمار » ، ورغم الخلاف حول النطاق الدقيق للدراسات الأخيرة ، فالمصطلح عادة ما يستعمل في الإشارة إلى الدراسات الخاصة بالمستعمرات السابقة ، والإمبراطوريات الأوربية ، ومقاومة السلطة الاستعمارية ، وبصفة عامة في تحليل اختلال ميزان القوى بين الدول الاستعمارية والشعوب المستعمرة . وتخصص شري سايمون آخر فصول الكتاب للروابط بين قضايا المرأة وقضايا ما بعد الاستعمار ، على نحو ما يتبدى في كتابة الناقدة البنغالية جاياتري سپيڤاك Gayatri Spivak وتركز على القلق الذي تبديه سپيڤاك إزاء « العواقب الأيديولوجية » لترجمة أدب العالم الثالث إلى الإنجليزية وما تتضمنه تلك الترجمة من تشويش وتشويه .

وكانت سپيڤاك قد ناقشت هذه القضايا في إحدى دراساتها الرئيسية - وكانت بعنوان « الأسس السياسية للترجمة » نشرتها أول الأمر عام ١٩٩٣ ، ثم أعيد نشرها في كتاب ڤينوتي المشار إليه عام ٢٠٠٠ ، وهي تتوسل في مناقشة هذه القضايا بمناهج مستقاة من مذاهب نصرة المرأة ، وما بعد الاستعمار، وما بعد البنيوية . وتهاجم سپيڤاك أنصار المرأة في الغرب الذين يتوقعون ترجمة الكتابات النسوية من خارج أوربا إلى لغة القوة - أي إلى الإنجليزية ، قائلة إن مثل هذه الترجمات عادة ما تُقَدَّمُ بما تسميه أسلوب الترجمة ، أي translationese وهي تعرفه في هذا السياق تعريفًا يختلف عن التعريف المألوف الذي سبق أن أشرنا إليه ، بل تعرفه بأنه الأسلوب الذي يطمس هوية الثقافات والأفراد الذين لا يتمتعون بالقوة السياسية نفسها قائلة :

> قد تتضمن عملية الترجمة بالجملة إلى اللغة الإنجليزية خيانةً للمثل الأعلى الديموقراطي وإذعانًا لقانون الأقوى ، ويحدث ذلك عندما يترجم كُلُّ أدب العالم الثالث إلى ضرب من أسلوب الترجمة الحديث ، بحيث نبدأ نرى تشابهًا بين الأدب الذي تكتبه امرأة من فلسطين ، من

حيث ملمس النثر فيه ، وبين ما يكتبه رجل من تايوان .

(من كتاب ڤينوتي ٢٠٠٠ ص ٣٩٩ - ٤٠٠)

ويبلغ انتقاد سپيڤاك للحركة النسوية وصناعة الطباعة والنشر في الغرب ذروة حدته عندما تقول (ڤينوتي ٢٠٠٠ - ص ٤٠٥) إن على أنصار المرأة في البلدان المهيمنة أن يبدوا تضامنًا حقيقيًا مع المرأة في البلدان التي تخلصت من الاستعمار ، وذلك بتعلم اللغة التي تتكلم بها تلك المرأة وتكتب . وترى سپيڤاك أن الطابع السياسي للترجمة حاليا يُقدم مكان الصدارة للإنجليزية وغيرها من اللغات المهيمنة للدول الاستعمارية السابقة . وسأضرب مثالاً من العربية لإيضاح ما ترمي إليه ، فكثيرًا ما يلجأ مترجم العربية إلى الإنجليزية إلى استيعاب النص العربي وتحويله إلى أساليب الإنجليزية الشائعة حتى يقربه من ذائقة القارئ الأجنبي تقريبًا يبتعد به ابتعادًا كبيرًا عن مذاق النص الأصلي ، وهذا في رأي سپيڤاك يتضمن قدرًا من طمس الهوية ، خصوصًا إذا كانت الكاتبة امرأة ، وسوف نعود إلى هذه القضية فيما بعد . أما عن الربط بين الترجمة والاستعمار فيقول منداي (٢٠٠١ - ص ١٣٤) :

« إن الربط بين الاستعمار والترجمة يقترن بما يقال من أن الترجمة قد نهضت بدور نشيط في عملية الاستعمار وفي نشر صورة ذات دوافع أيديولوجية للشعوب المستعمرة . »

وهكذا فإن دور الترجمة في نشر مثل هذه الصور الأيديولوجية قد دفع باسنيت وتريڤيدي Bassnett and Trevedi في كتاب من تحريرهما صدر عام ١٩٩٩ بعنوان « **الترجمة فيما بعد الاستعمار - النظرية والتطبيق** ») إلى الإشارة إلى « تاريخ الترجمة المشين » (ص ٥) . والواضح أن « **علاقات القوة** » power relations هي النقطة التي تلتقي عندها دراسات الترجمة ودراسات ما بعد الاستعمار ، على نحو ما يتضح في هذا الكتاب وفي كتاب آخر وضعته

تيجاسويني نيرانجانا Tejaswini Niranjana بعنوان « **تحديد موقع الترجمة : التاريخ وما بعد البنيوية والسياق الاستعماري** » في عام ١٩٩٢ ، وتحلل فيه تحليلاً دقيقًا موقع الترجمة الأدبية باعتبارها لونًا أساسيًا من ألوان « الخطاب » التي تدعم « أجهزة الهيمنة التابعة للهيكل الأيديولوجي للحكم الاستعماري » (وألوان الخطاب الأخرى هي التعليم واللاهوت وكتابة التاريخ والفلسفة) . وهي تتوسع في ذكر تفاصيل تأثير الاستعمار في مسار حركة الترجمة إلى اللغة الإنجليزية بصفة خاصة ، ولما كانت تتخذ موقفًا يقترب من التفكيكية فسوف نناقش عملها في فصل لاحق ، ونعود إلى الكتاب الأول (باسنيت وتريفيدي - ١٩٩٩) فهو يتضمن مجموعة من المقالات من تحريرهما، ويتناولان فيه علاقات القوة نفسها من منظور أوسع ؛ إذ يقولان في المقدمة إنهما يريان تجسيد هذه العلاقات في الصراع غير المتكافئ بين شتى اللغات المحلية وبين « اللغة السائدة في عالم ما بعد الاستعمار وهي الإنجليزية » (ص ١٣) ؛ ومن ثم فإن الترجمة هي حلبة الصراع والنموذج القريب إلى الأذهان للسياق الناشئ بعد زوال الاستعمار ، وهما يربطان بين كلمتين قريبتين في الجرس هما translational و transnational أي « الترجمية » و « عبر الوطنية » ويستعرضان في هذا الصدد عودة كلمة الترجمة الإنجليزية إلى الإيحاء بمعناها الاشتقاقي أو المادي وهو انقطاع الصلة بالمكان ، وهما يدللان على ذلك بانتشار ظواهر الغربة والعيش في المنفى أو ما بين أوطان شتى ، فالترجمة في رأيهما قد أصبحت تعني تخطي حدود المكان ، والكتاب يتضمن دراسات كثيرة مستقاة من تجارب الهند أو الكُتّاب الهنود ، وأهم ما يخرج به القارئ من هذه الدراسات (التي تتضمن تفصيلات لا تهم القارئ العربي) هو أن « التقاليد الأدبية الهندية في جوهرها تقاليد ترجمة » (كما يقول أحد المشاركين في بحوث الكتاب) وذلك في ظني بسبب كثرة تعدد اللغات الهندية تعددًا مذهلاً، واضطرار الهنود في العهد الاستعماري إلى استخدام لغة المستعمر

(بكسر الميم) - وذلك - في رأيي - ذميم وإن كانت مزيته الخفية هي إيجاد وسيلة توصيل وتواصل مشتركة بين الناطقين بشتى تلك اللغات وبروز الترجمة باعتبارها الجسر الموصل بينها ؛ ولهذا قلت إن هذه التفاصيل لاتهم القارئ العربي .

ومن الدراسات الطريفة التي يتضمنها كتاب باسنيت وتريفيدي المشار إليه (١٩٩٩) دراسة بقلم الباحثة التي أشرنا إليها في المقدمة وهي إلزا ڤييرا Else Vieira عما يسمى «بمدرسة التهام الآخر» the cannibalist school وهي ليست « مدرسة » أو مذهبًا بالمعنى المفهوم ، بل فكرة شاعت بين الباحثين في دراسات الترجمة في البرازيل حتى أصبحت بمثابة « العقيدة » ، ومفادها أن الشعوب المستعمرة تلتهم ثقافة الدولة الاستعمارية ولغتها ثم تخرجها في صور أنقى وأطهر ، ومعنى ذلك أن الترجمة من اللغات الاستعمارية تؤدي إلى إعطائها حيوية جديدة ، والترجمة إليها تزيدها قوة ونشاطًا ، فالترجمة هنا تفيد المستعمر السابق ، والمتحرر من الاستعمار معًا ، في الفترة التالية للاستقلال ؛ لأن محاولة التحرر من « الاستعمار النفسي » تستمر بعد زوال الاستعمار « المادي » وهي تتخذ صور الترجمة في الاتجاهين ، و « التهام الآخر » لإعادة إنشائه (خلقه) . وهكذا تساهم الترجمة في حركة التغير والنضال المستمرة بعد زوال الاستعمار .

وقد امتدت دراسات ما بعد الاستعمار في الترجمة إلى ترجمة الآداب الأوربية التي تحرر أصحابها من الاستعمار - أيضًا ، مثل الأدب الأيرلندي ، فصدر كتابان في هذا الموضوع ، الأول والأهم هو كتاب **ترجمة أيرلندا** (١٩٩٦) بقلم مايكل كرونين Michael Cronin والثاني عنوانه **الترجمة في سياق ما بعد الاستعمار** (١٩٩٩) من تأليف ماريا تيموشكو Tymoczko . أما الأول فهو يركز على ظاهرة ازدواجية اللغة في أيرلندا ، وعلى ضرورة ترجمة

الأدب الأيرلندي بأقلام الأيرلنديين أنفسهم لا بأقلام الإنجليز الذين يريدون تكريس الصورة التي أوجدوها وكرسوها لذلك البلد في إبان استعماره ، فهو يكل إلى الترجمة مهمة ثقافية بارزة ، ويؤكد الرسالة التي عليها أن تتحملها في فترة ما بعد الاستعمار ، والكتاب الثاني لا يضيف الكثير إلى ما يقوله كرونين، وإن كان حافلاً بالأمثلة والمقارنات .

وختامًا لهذا الفصل الذي طال فأمعن في الطول ، أورد ترجمة كاملة لبعض ما قاله منداي (٢٠٠١ - ص ١٣٨ - ١٣٩) عن « أيديولوجيات أصحاب النظريات » في الترجمة :

« اهتمت الدراسات الثقافية ولا تزال تهتم اهتمامًا بالغًا بالترجمة ، وكان من عواقب هذا التوسع في نطاق مبحث دراسات الترجمة أن تلاقى فيه باحثون ينتمون إلى خلفيات بالغة التنوع ، ولكن علينا أن نتذكر أن أصحاب النظريات الثقافية أنفسهم لديهم من الأيديولوجيات وجداول الأعمال ما يوجه مسار النقد الذي يكتبونه . وهكذا نرى أن المترجمات الملتزمات بنصرة المرأة فيما يسمى بالمشروع الكندي يبدين صراحة بالغة في التفاخر بتلاعبهن بالنصوص التي يترجمنها . كما تبدي شري سايمون صراحة في القول بأن كتابها عن المرأة والترجمة هو ‹‹ إلقاء أوسع شبكة ممكنة حول قضايا الجنسين في الترجمة . . . والاستعانة بقضايا الجنسين في تحويل دراسات الترجمة إلى إطار للدراسات الثقافية ›› (سيمون ١٩٩٦ - ص ix) ولقد تضمن ذلك حتمًا مهاجمة النظريات اللغوية للترجمة . ويمكن رصد نشأة مثل هذه الأهداف منذ عهد بعيد ، بل حتى منذ عام ١٩٨٠ عندما أعربت سوزان باسنيت بصراحة عن رفضها للنظريات اللغوية للترجمة في استقصائها ذي التأثير الكبير - أي كتاب **دراسات الترجمة** » .

الفصل السابع

دور المترجم والنظريات الفلسفية

رأينا في الفصل السابق ألوان التداخل بين الدراسات الثقافية ودراسات الترجمة ، والتأثير المتبادل بينهما ، وبروز الدعوة إلى التخلص من بعض المفاهيم القديمة التي كانت تقول بأن المترجم « ناقل محايد » ، وأنه « وسيط » يتميز بالشفافية ، أو تقول بأن الترجمة أداة توصيل « موضوعية » ورأينا كيف يتأثر المترجم وحركة الترجمة بالثقافة السائدة ، وكيف تتدخل القوى الثقافية والاجتماعية في تحديد ما يترجم وطرائق تقديمه إلى الثقافة المستهدفة ، بل كيف تساهم الترجمة في التأثير في تلك القوى فتغير من طرائق التفكير والكتابة والمعايير الأدبية (كما حدث في الوطن العربي) وكيف يضطلع المترجمون في هذا كله بدور لا يزال يواجه بالتجاهل بل وبالإنكار ، بل رأينا كيف تحول البحث في الترجمة على امتداد العقود الأخيرة من القرن العشرين إلى ساحة الدراسات الثقافية العامة حيث تنشط عوامل سياسية واقتصادية لم يكن أحد يلقي إليها بالاً ، بعد أن كان مجال الترجمة الأول ، إن لم نقل الأوحد ، هو اللغة . وقد ازداد الاتجاه إلى توسيع نطاق دراسات الترجمة قوة وحيوية في التسعينيات ، في العالم وفي الوطن العربي ، بفضل الإدراك المتزايد لأهمية الدور المنوط بالترجمة ، وبالمترجم الفرد ، وسوف نركز في

هذا الفصل على النظريات الثقافية « الخاصة » التي بدأت تحل محل المفاهيم القديمة التي ذكرتها في أول هذه الفقرة ، وهي تتعلق أساسًا بدور المترجم ، ومدى فاعلية هذا الدور ، فالمترجم هو العامل الذي تلتقي فيه العوامل السالف ذكرها .

ومن أبرز الأسماء التي برزت على الساحة في التسعينيات اسم لورانس ڤينوتى Venuti الذي بدأ بكتابة كتاب بعنوان **إعادة التفكير في الترجمة : الخطاب والذاتية والأيديولوجية** عام ١٩٩٢ ، وأكد فيه ما ذهب إليه سابقوه (سوزان باسنيت ، وأندريه ليفيڤير وغيرهما) من أهمية العوامل الثقافية الاجتماعية في الترجمة ، ثم أعقبه بكتاب عام ١٩٩٥ عنوانه **اختفاء المترجم : تاريخ للترجمة** نادى فيه بإبراز دور المترجم ودعا فيه إلى الإقرار بالطابع الإيجابي لهذا الدور، وكتب أخيرًا كتابه الشهير **فضائح الترجمة : نحو شرعة الاختلاف** عام ١٩٩٨ الذي يفصل فيه القول عن « الطابع الإيجابي » المشار إليه ، ولا بد أن القارئ قد اعتاد إشارتي إلى كتابه الأخير الذي صدر عام ٢٠٠٠ ويضم دراسات منوعة في الترجمة سبق نشر معظمها ، فكنت أرجع إليها وأقتبس منها بدلاً من الرجوع إلى الطبعة الأولى لهذه الدراسات (شأني في ذلك شأن غيري من الباحثين) ونشر بعضها للمرة الأولى بالإنجليزية في كتابه المذكور وعنوانه **نصوص مختارة في دراسات الترجمة** . وسوف أتطرق في هذا الفصل أيضًا إلى النظرات الفلسفية للترجمة التي شاعت في نصف القرن الأخير، وتأثير المدارس الفلسفية ومدارس النقد الأدبي في نظرية الترجمة ، وأعرض في غضون ذلك لمفهومي الخاص الذي سبق أن قدمته في كتبي بالإنجليزية عن « الاختلاف في إطار الاتفاق » وهو المفهوم الذي استعرت له التعبير الشهير الذي وضعه ڤتجنشتاين عن « التشابه بين أفراد الأسرة » ، ضاربًا أمثلتي بانتظام من الترجمة العربية .

ويتميز موقف « ڤينوتي » ، إن شئنا وصفه بكلمة واحدة ، بأنه « تكاملي » ،

فهو يرى أن الترجمة عِلْمٌ من العلوم الإنسانية التي تتكامل فيها المناهج « المحملة بالقيم » ، بمعنى أن كل منهج يمثل اتجاهًا فكريًا يقوم على نسق ما من « أنساق القيم » ، وأن هذه المناهج المتكاملة لا يمكن تحريرها من « القيم » التي تدفعها في شتى مساراتها ؛ ولذلك يقول إن الترجمة لا تقبل منهج العلوم الطبيعية « البريئة من القيم » value-free ، ويرفض لذلك المنهج الوصفي « العلمي » الذي يتحدث عنه توري وما يرمي إليه من وضع معايير وقوانين للترجمة « بريئة من القيم » قائلاً :

« ولكن منهج توري . . . لا بد أن يرجع أيضًا إلى النظرية الثقافية لتقييم أهمية أو دلالة البيانات (المعطيات data) وتحليل المعايير . فقد تكون المعايير بالدرجة الأولى لغوية أو أدبية ، ولكنها تشتمل أيضًا على ضروب منوعة من القيم والمعتقدات ونماذج التمثيل الاجتماعي المحلية ، وهي التي تتمتع بقوة أيديولوجية تخدم مصالح جماعات معينة ، وهي دائمًا ما تتخذ مقرها في المؤسسات الاجتماعية التي تتولى إنتاج الترجمات ، ودائمًا ما تشغل مكانها في جداول الأعمال الثقافية والسياسية . »

(١٩٩٨ - ص٢٩)

والمؤسسات التي يعنيها ڤينوتي لا تقتصر على الحكومات التي قد تفرض رقابتها على الترجمة فتمنع ما ترى وتسمح بما ترى ، بل تتضمن شتى القوى العاملة في صناعة النشر بصفة عامة ، فقد يكون من بينها الناشر (أو المحرر) الذي يختار الأعمال التي تترجم ويكلّف المترجم بترجمتها ، ويدفع أجورهم ، وكثيرًا ما يملي طريقة الترجمة ، وقد يكون من بينها النقاد الذين يحكمون على العمل ، بل ورجال التسويق والمبيعات . ولكل منهم دوره ومكانه في جداول الأعمال الثقافية والسياسية في زمن محدد ومكان محدد ، والمترجمون

أنفسهم ينتمون إلى تلك الثقافة ، ولهم أن يقبلوها أو يتمردوا عليها .

وأما « اختفاء » المترجم invisibility فهو المصطلح الذي يستعمله ڤينوتي (١٩٩٥ - ص ١) في « وصف حال المترجم ونشاطه في الثقافة الأنجلو أمريكية المعاصرة » وهو يرى أن من الأسباب المعتادة لهذا الاختفاء ميل المترجمين أنفسهم إلى اتباع منهج الترجمة السلسة fluent إلى اللغة الإنجليزية لإخراج نصوص تتفق مع مصطلح اللغة الإنجليزية idiomatic وممتعة للقارئ readable ، وهكذا تأتي بما يسميه ڤينوتي « وهم الشفافية » . ومن أسبابها أيضًا الطرائق المعتادة لقراءة النصوص المترجمة في الثقافة المستهدفة ، أي شرائط تقبلها . إذ يقول :

> مهما يكن العمل المترجم ، نثرًا أو شعرًا ، قصصًا خياليًا أو كتابة غير قصصية ، فإن الحكم بالقبول عليه من جانب معظم الناشرين والنقاد والقراء يتوقف على سلاسته ، فالشرط الأول هو أن يبدو شفافًا لخلوه من أية ملامح غريبة في اللغة أو الأسلوب ، بحيث يبدو كأنما هو مرآة صافية تعكس شخصية الكاتب الأجنبي أو مقصده أو المعنى الأساسي للنص الأجنبي - أو بعبارة أخرى ، أن تظهر الترجمة لا في صورة ترجمة في الواقع بل في صورة نص « أصلي » .
>
> (ص ١٩٩٥ - ص ١)

ويرجع ڤينوتي ذلك (١٩٩٨ - ص ٣١) أو هو يقول إن أهم عامل وراء ذلك هو « المفهوم السائد لمعنى المؤلف » ، فالترجمة تعتبر نشاطًا مستقى من التأليف ، وتعتبر ثانوية من حيث النوعية والأهمية ، وهكذا - كما يقول في الصفحة التالية من كتابه المذكور (١٩٩٨) - ظلت الترجمة إلى اللغة الإنجليزية منذ درايدن تحبذ إخفاء دور المترجم ، بل يندر - حتى عصرنا الحالي - « أن تعتبر الترجمة صورة من صور الدرس الأدبي » .

ويناقش ڤينوتي في كتابه عن اختفاء المترجم (١٩٩٥ - ص ١٩ - ٢٠) معنى الاختفاء في إطار مناقشة نمطين من أنماط استراتيجية الترجمة ، وهما « إضفاء الطابع المحلي » domestication و « إضفاء الطابع الأجنبي » foreignization ، وهما قريبان من المفهومين اللذين سبق أن ناقشناهما وهما « التجنيس » و « التغريب» ، وهو يرجعهما إلى مقالة « شلايرماخر » الذائعة بعنوان « عن الطرائق المختلفة للترجمة » المنشورة عام ١٨١٣ ، ويرى (١٩٩٥ - ص ٢١) أن « إضفاء الطابع المحلي » هو الذي يسود تقاليد الترجمة الأنجلو - أمريكية ، وهو يشبه في التصدي لها تصدي باحثي ما بعد الاستعمار للآثار الثقافية للاختلافات بين حال بلد ما أثناء خضوعها للاستعمار وحالها بعد الاستقلال ، فهو ينعى هذه الظاهرة لأنها تتضمن ما يصفه بأنه اختزال reduction للنص الأجنبي من وجهة نظر عرقية محضة ethnocentric بتطويعه للقيم الثقافية في اللغة المستهدفة - أي الأنجلو أمريكية ، وهو ما يتطلب إصدار ترجمة ذات أسلوب سلس شفاف « خفي » في سبيل « تخفيف » الطابع الأجنبي للنص ، قائلاً إن ذلك يشبه قول شلايرماخر إن المترجم يرضي القارئ بتقريب المؤلف إليه ، فهو مذهب تقريب (في مقابل التغريب) . ويقول إن ذلك يتجلى أيضًا في الاستمساك بالأعراف الأدبية المحلية من خلال الحرص على اختيار النصوص التي من الأرجح أن تخضع لتطبيق هذه الاستراتيجية في الترجمة (موسوعة دراسات الترجمة - ١٩٩٧) (ص ٢٤١) .

وأما إضفاء الطابع الأجنبي أو التغريب فيقول عنه إنه يعني « اختيار نص أجنبي وابتداع طريقة في الترجمة تقوم على أسس لا تتضمنها القيم الثقافية السائدة في اللغة المستهدفة » (الموسوعة ١٩٩٧ - ص ٢٤٢) وهذا هو النهج الذي يفضله شلايرماخر حيث يتحدث عن اتجاه المترجم إلى الابتعاد عن الكاتب قدر الطاقة وتقريب القارئ من هذا الكاتب (انظر الفصل الأول) ويقول ڤينوتي (١٩٩٥ - ص ٢٠) إن نهج التغريب يمثل ضغطًا على القيم

الثقافية للّغة المستهدفة ، بتخليه عن طابعها العرقي ، وبتسجيله للاختلافات الثقافية واللغوية للنص الأجنبي ، حتى « يرسل هذا القارئ إلى الخارج » . والواضح أن ڤينوتي يعارض تحويل جميع أنماط الفكر والمشاعر في الثقافات الأجنبية إلى ما هو مألوف في الثقافة الأنجلو أمريكية ، ويدعو إلى نهج في الترجمة يرسخ وعي القارئ بما لا يألفه - لغويًا وثقافيًا - وهذا يتمشى مع الاتجاه العام لما أستطيع أن أسميه بالنهج الأمريكي الذي يقبل التعدد والاختلاف - لغويًا وثقافيًا - في مقابل النهج البريطاني المحافظ الذي كان على مر الزمان يستريب بكل ما هو أجنبي أو مختلف . فنحن نعرف أن ڤينوتي من أصل إيطالي ، وهو يفتخر - كما قال لي في زيارته لمصر عام ٢٠٠٠ - بتحرره من ضيق النظرة التي تتجلى في « نقاء » اللغة الإنجليزية ، وهو ما يعني اقتصارها على ما يشيع بين « أصحاب » اللغة الإنجليزية وحدهم ، أي من تعتبر الإنجليزية لغتهم الأم - فهو يرى أن هذا « النقاء » وهم ، وأنه سمة من سمات الانعزال أو التقوقع ، وقد استخدم كلمة insular في إشارته لتلك النظرة ، وهي الكلمة التي عادة ما تشير إلى النظرة البريطانية ، فالكلمة منحوتة من لفظ « الجزيرة » ، وأسلوبه في الترجمة وفي الكتابة يدل على صدق دعواه .

ويشير ڤينوتي إلى نهج التغريب في الترجمة أيضًا باسم نهج المقاومة resistancy (١٩٩٥ - ص ٣٠٥) ويعني به انعدام السلاسة ، فكأنما يواجه القارئ مقاومة من النص ، يبرز فيها جهد المترجم والطابع الأجنبي للنص ، حتى ينجو في نظره من السيادة الأيديولوجية للثقافة المستهدفة . وعلينا أن نتوقف هنا قليلاً لشرح هذا المذهب بأمثلة عربية حتى لا يتصور القارئ (خصوصًا إذا كان يخطو أولى خطواته في هذا السبيل) أنه يعني إخراج المترجم ترجمة ركيكة أو حرفية أو تحاكي النص المصدر محاكاة « عمياء » .

وهذه قطعة وصفية من قصة للكاتب البريطاني هـ. أ. بيتس ، الذي سبق

أن اقتطفنا منه نموذجًا للحوار ، وهذه القصة بعنوان « حفل الزفاف » *The Wedding Party* من مجموعة تحمل عنوان هذه القصة نفسها (ص ٢١) (طبعة بنجوين ١٩٦٩) :

Mike Hillyard stood on the terrace of the hotel leaning on a long stone balustrade under which big beds of scarlet salvia were fiery in the thunder gloom of late afternoon, idly watching the lake and the mountains beyond.

A mountain shaped like a sugar cone rose from straight across the water, wreathed at the very top with a grey halo of cloud. From the foot of it every minute or so, storm signals darted out like orange soundless fireworks. The gloom was also purple, the lake water momentarily iridescent where low light from breaking clouds struck it. Far off, a solitary slip of sunlight caught a single low alpine meadow and turned it into a flag of such luminous emerald brilliance that it too might have been some sort of signal to the opposite shore. Behind the hotel the tempestuous rain of early afternoon had turned a mountain stream into a ferocious white-green torrent that he could hear crashing down its many waterfall steps like a continuous echo of the earlier thunder.

وسوف أبدأ بإيراد الترجمة « المعتادة » أي التي لم أحاول أن أتبع فيها أحد المنهجين ، ثم نرى ما يمكن تغييره حتى يتفق النص العربي مع « التقريب » أو « التغريب » :

كان « مايك هيليارد » يقف في شرفة الفندق متكئًا على حاجزها الحجري الطويل ، وكانت تمتد تحته أحواض كبيرة من زهور « القويسة » القرمزية ، وكانت ألوانها متوهجة في الجو المكفهر الذي جلبه الرعد ساعة الأصيل ، وكان يلقي ببصره في استرخاء إلى البحيرة والجبال من ورائها .

كان أحد تلك الجبال يشبه تمامًا قمع السكر ، ويشرئب برأسه من شط البحيرة المقابل تمامًا ، وكانت قمة رأسه مكللة بهالة رمادية من السحب . وكانت نذر العاصفة تنطلق من السفح كل دقيقة أو نحو ذلك ، مارقة في الجو مثل الألعاب النارية البرتقالية اللون . كان لون الجو المكفهر يكاد يكون أرجوانيًا ، وكانت مياه البحيرة تبرق أحيانًا بشتى الألوان عندما تقع عليها الأضواء المنبعثة من السحب المنخفضة التي تصطك فوقها . وعلى البعد كانت الشمس تسطع على شريط منعزل من مروج جبال الألب المنخفضة فتحيله إلى ما يشبه الراية ذات اللون الزمردي الوهاج ، حتى بدت أيضًا مثل النذير المرسل إلى الشط المقابل . وخلف الفندق كانت الأمطار التي انهمرت ساعة العصر قد أحالت أحد الجداول الجبلية إلى سيل عارم أبيض أخضر ، وكان « مايك هيليارد » يسمع صوت تدفقه وانحداره فوق الشلالات الصغرى في طريقه كأنه الأصداء المتواصلة لهزيم الرعد الأول .

إن عدد الكلمات متماثل في القطعتين (١٧٤) ومع ذلك فالنص لا يشي بالسمات الأجنبية في الأصل الانجليزي ، فهو يشرح بعض الألفاظ ، ويحيل بعض أشكال الألفاظ إلى أشكال أخرى (على نحو ما سبق شرحه في مناهج الدراسة اللغوية للترجمة) بل ويوحي بالإيقاع المعتاد للغة العربية المعاصرة .

فماذا يمكننا أن نفعل حتى نضفي عليه لمسة من لمسات النص الأجنبي - تأكيدًا أو إبرازًا لدور المترجم كما يقول فينوتي ؟ انظر إلى الجملة الأولى التي تمتد أربعة أسطر وتحفل في النص الإنجليزي بثنائيات من الأسماء والصفات المتوالية (حاجز حجري طويل / أحواض كبيرة . . إلخ) ونقف فيها عند fiery التي ترجمناها « متوهجة » بل وشرحناها بإضافة « ألوان » . هل يمكن أن نقول « كانت نارية » ؟ إن منهج التقريب لم يطمس الصورة (صورة النار)

التي تتردد في الفقرتين جميعًا ، وإن جعلها تختلف عن الأصل ، ثم انظر إلى التركيب thunder-gloom أي « اكفهرار الرعد » فالرعد اسم يستعمل في موقع الصفة هنا ، فلقد ترجمناها شرحًا (بالجو المكفهر الذي جلبه الرعد) وكان يمكن أن نقول « الاكفهرار الذي يصاحب الرعد » - على ما في هذا أيضًا من شرح - ولكننا لن نقول أبدًا « الاكفهرار الرعدي» حتى نقترب من الطابع الأجنبي ! وانظر إلى ترجمة late afternoon « بساعة الأصيل » - أ ليس في هذا تحويلاً إلى الثقافة العربية ، وإيحاءًا بالجو الشاعري الذي يرتبط بهذه الساعة - على دقة الترجمة هنا ، فساعة العصر هي early afternoon في الجملة الإنجليزية الأخيرة ، والعرب تحدد لكل ساعة كلمة ، كما يقول الثعالبي في فقه اللغة ، فهل نستطيع - وفقًا لكلام ڤينوتي - أن نترجم أي التعبيرين بغير ما تُرجم به طلبًا للتغريب ؟ وانظر إلى تعبير « يلقي ببصره » - أ فما كان يمكن أن نقول « يبصر » أو « يتطلع » أو « ينظر » ؟ أو ليس في التعبير المركب (جملة كاملة) إيحاء بالثقافة العربية حتى دون أن تقول « يسرح الطرف » ؟

الترجمة إذن تتضمن قدرًا من « التقريب » ، ولكن عنصر التغريب قائم برغم جهودنا فيما أسميته بالترجمة « المعتادة » أو « الطبيعية » ، فزهور « القويسة » غير مألوفة لدى القارئ « المتوسط الثقافة » لأنها لا تنمو إلا في شمال مصر ويسميها العامة « الناعمة » ، وهي تقترن في خبرتي الشخصية بالحدائق المنتشرة على ساحل البحر ، فالكلمة تتضمن تغريبًا ، وقد يلجأ المترجم الذي ينشد التقريب إلى حذفها أو إبدالها باسم مألوف لزهرة أخرى ، وهو منهج شائع ، وانظر إلى الألوان التي تزخر بها القطعة (قرمزي / رمادي / برتقالي / أرجواني / زمردي / أبيض / أخضر) وذلك في جو مكفهر اربدّت قسماته ! ما دور المترجم في تقريبها أو تغريبها ؟ وانظر إلى ترجمة signal بالنذير مرتين ؟ وإضافة « المرسل » في المرة الثانية - هل يمكن أن نترجمها

« بالإشارة » (المحايدة) أو مرة بالنذير ومرة بالبشير - وفقًا لاختلاف السياق - أو وفقًا لتفسيرنا للوحة التي يرسمها الكاتب ؟ الواقع أنني لا أملك الإجابة عن هذه الأسئلة ، إلا إذا أعلنت رفضي لمذهب ڤينوتي فأجبت عنها جميعًا بالنفي !

وأنا أرى أن ڤينوتي - إن كان حقًّا يريد إبراز « دور » المترجم بإضفاء الطابع الأجنبي على الترجمة فينبغي أن يقتصر ذلك الطابع على الشكل الفني والمادة التي تتناولها القصة أو القصيدة لا على اللغة ، وإذا كان قد وجد بعض ما يمكّنه من إضفاء طابع لغات أوربية على لغات أوربية أخرى ، فلن يستطيع ذلك بنجاح في حالة اللغة العربية ، فقد تقبل اللغة العربية كلمات أجنبية معربة أو مترجمة ، وهو ينادي بذلك في حالة اللغة الإنجليزية ، وقد تقبل تعبيرات جديدة ، ولكنها لن تقبل إضفاء طابع أجنبي برمته عليها ، والمقارنة بين اللغات التي تنتمي لعائلة لغوية واحدة تؤدي إلى نتائج لا تنطبق على لغات لا تنتمي إلى العائلة اللغوية نفسها .

ومع ذلك فمذهب ڤينوتي متحقق - كما قلت - فيما أسميته بالترجمة « المعتادة » أو « الطبيعية » لأن المترجم مهما يحاول التقريب يقع في التغريب حتمًا ، ولقد كتبت دراسة كاملة باللغة الإنجليزية عن حدود ذلك في اللغة العربية بعنوان « إعادة النظر في فكرة تشابه أفراد الأسرة » ولا مجال لتلخيصها هنا (انظر كتابي : **مدخل ثقافي إلى ترجمة اللغة العربية** - ٢٠٠٠) (ص ٥٣ - ١٠٨) ويكفي أن أقول إن حجتي تلتقي في تلك الدراسة مع مذهب ڤينوتي في وجود « التقريب » و « التغريب » ، وتختلف معه في درجة « العمد » أو « التعمد » عند المترجم لإضفاء الطابع المحلي أو الأجنبي ، وسأضرب لذلك مثلاً من قصيدة لوردزورث من نوع السونيت - ترجمتها نظمًا في كتابي « **مختارات من الشعر الرومانسي** » - القاهرة (٢٠٠٢) وها هي بالإنجليزية أولاً :

A flock of sheep that leisurely pass by
One after one; the sound of rain, and bees
Murmuring; the fall of rivers, winds and seas,
Smooth fields, white sheets of water, and pure sky;
I have thought of all by turns, and yet do lie
Sleepless ! and soon the small birds' melodies
Must hear, first uttered from my orchard trees;
And the first cuckoo's melancholy cry.

Even thus last night, and two nights more, I lay
And could not win thee, sleep ! by any stealth :
So do not let me wear tonight away :
Without thee what is all the morning wealth ?
Come, blesséd barrier between day and day,
Dear mother of fresh thoughts and joyous health !

ولقد أقمت فاصلة في الطباعة بين الصدر الذي يتكون من ثمانية أبيات والعَجُز الذي يتكون من ستة (على نحو ما سبق أن بينت في شرحي لسونيتة صمويل دانيال) حتى أبين نوع « الالتفات » في حديث الشاعر ، فهو يتحول من الحديث عما يرى وهو يحاول النوم إلى مخاطبة النوم في عَجُز السونيتة ، ويتجلى التحول في أسلوب الترجمة أيضًا . فإذا طبقنا مذهب ڤينوتي قلنا إنني اخترت هذه القصيدة للترجمة لأسباب قد تتضمن ما يتفق والثقافة والأعراف العربية أو ما لا يتناقض معها ، واخترت في النظم بحر المتقارب لأنه قادر على الإيحاء بفكرة الرتابة التي يطلبها الشاعر استقدامًا للنوم ، واسمع قول شوقي :

سنون تعاد ودهر يعيد لعمرك ما في الليالي جديد

وتأمل تأثير حروف العلة الممطوطة المتكررة التي توحي بالتكرار وجو الرتابة ، وفي هذا « تقريب » ، ولكن الموضوع قد يكون غير مألوف في العربية ، وفي ذلك لمسة « تغريب » ، كما أن تصوير البستان وطائر « الوقوق »

أو « الوقواق » الأوربي (الذي يزور مصر في سبتمبر في طريقه لقضاء الشتاء في السودان) يوحي بالجو الأجنبي ، وفي ذلك أيضًا لمسة « تغريب » ، ومعنى ذلك أننا نحكم على المذهبين بمعايير تتضمن قدرًا كبيرًا من الذاتية ، وهي غير مؤكدة لأنها تفتقر إلى الأسس العلمية بالمعنى الحديث ، ومعنى ذلك أيضًا أن بعض عناصر التقريب والتغريب قائمة في النص الأصلي ، بمعنى أن حرية المترجم في اختيار أحد المذهبين محكومة بنص الشاعر ، مما يضع قيودًا على درجة « التعمد » التي يتحدث عنها ڤينوتي - وهذه هي الترجمة :

قطيعٌ من الغنم السائمات تقاطرَ يمشي الهُوَيْنا
وأصواتُ أمطارنا الهاطلاتِ ونحلٌ يطنُّ طنينا
وشلال نهرٍ يَخُبُّ وريح تهبُّ وأمواج بحر عريضْ
صحائفُ ناصعةٌ من مياهٍ وصفوُ السماء وروضٌ أريضْ
لقد طاف ذاك جميعًا ببالي وما زلت أرقد نهب الأرقْ
وسرعان ما أسمع النغمات بأشجار بستاننا المؤتلقْ
وأول ألحان صغرى الطيور تغني هناك بوجه الشفقْ
وأول لحن حزين يردده وَقْوَقٌ مُسْتبقْ !

رقدتُ كذلك بالأمس بل ليلتين معًا في قلق
أحاول يا نومُ أن أظفر الآن بكْ ! وأن أتسللَ لكْ
فلا تتركَنِّي أبددُ لَيْلِيَ سعيًا بلا طائلٍ أطلبكْ
بدونك نفقد كل ثراء الصباح
فأنت الستار المبارك ما بين يوم ويوم
وإنك يا أيها النومُ أمٌّ رءومْ
لجدة أفكارنا في الرواحِ
وصحة أبداننا والمراح !

وإنصافًا لذلك الباحث والمترجم العظيم أقول إن ڤينوتي على وعي كامل بكل ما ذهبت إليه ، ولكن حماسه للمذهب الذي يدعو إليه يجعله أحيانًا يبدو مغاليًا في دعوته ، فهو لا يقابل بين منهج التقريب والتغريب مقابلة الضد للضد بل مقابلة الطرفين اللذين يحددان درجات متعددة من هذا وذلك ، وحزنه على تجاهل دور المترجم يدفعه دفعًا إلى الدفاع عنه وإبراز صورته في النص المترجم ، وكلامه يصدق صدقًا كاملاً على ترجمة آداب الماضي التي تختلف معنى ومبنى عن آداب الحاضر ، مثلما يفعل هو في ترجماته عن الإيطالية في عصور سلفت ، فيحاول نقل الاختلاف بالتأكيد على الطابع الأجنبي ، وهو ما يفعله المستشرقون « عادة » في ترجمة الأدب العربي ، بل إننا نستطيع أن نقول إن ترجمة المستشرقين يغلب عليها في معظمها طابع « التغريب » والدافع عليها دائمًا إبراز « الاختلاف » - وهذا يسير بالإنجليزية ، وإليك مثالاً موجزاً له من ترجمة قطعة من رواية زينب للدكتور محمد حسين هيكل ، وسوف أورد ترجمتين تصوران منهجي ڤينوتي ، وكلاهما بإنجليزية مقبولة :

> وما كادت تهتك يد الصبح ستار الليل حتى نبا به مضجعه ، وصاحبه القلق ، فانحدر إلى الجامع ، وما عهده به في تلك الساعة التي عرفها ساعة هجوع وهمود . وانساب وسط ظلمات يتسلل فيها النور كما يتسلل الأمل إلى قلب اليائس ، والسماء لم تميز بعد ، قد بهت عليها حجاب الليل الهزيم .
>
> (ص ٩٨)

أما الترجمة الأولى فتتضمن إضفاء الطابع الإنجليزي المحلي على النص بحذف ما لا يتفق من الاستعارات مع ثقافة القارئ الأجنبي ، وتعديل الصياغة اللغوية لتتفق مع مصطلح اللغة المألوف ، وما يتطلبه ذلك كله من الضغط في التعبير ودقته :

1. At daybreak he jumped out of bed and, feeling anxious, went to the mosque, though little accustomed to it at this hour. It was for him always an hour of sleep and lifelessness. He stole in the dark, though early streaks of light had stealthily found their way to the place, almost as hope steals into the heart of the desperate. The sky was not clearly distinguishable as yet, though the pale night shadows kept receding.

وهذه هي الترجمة « التغريبية» :

2. As soon as the hand of the morning tore up the curtains of the night, his bed threw him out. With anxiety for companion, he went down to the mosque, though little accustomed to it at this hour, known to him only as an hour of sleep and lifelessness. He flowed amidst tenebrous glooms wherein light stole like hope stealing into the hearts of the hopeless, while the sky was hardly distinguishable as yet, with the veil of the receding night grown pale over it.

وللقارئ أن يقارن القطعتين ليرى أثر الإبقاء على « الصور العربية » المحذوفة ، وهي التي تشي بوضوح بثقافة العربية التراثية ؛ أي بالثقافة المصدر، فأما إبقاء الترجمة الأولى على صورة « تسلل الأمل إلى قلب اليائس » فسببه أنها لا يمكن حذفها لأنها تشير من طرف خفي إلى تسلل الأمل إلى قلب بطل الرواية ، فهي صورة لها وظيفتها في النص ، على عكس صورة هتك أستار الليل أو حجاب الليل ، والطريف أن الترجمة الأولى حولت الحجاب إلى « الظلال » أو « الأشباح » وهو من صميم مصطلح اللغة الإنجليزية .

وهاك مثالاً آخر من طه حسين ، ألا وهو إهداء روايته المعذبون في الأرض :

إلى الذين يحرقهم الشوق إلى العدل ، وإلى الذين يؤرقهم الخوف من العدل ، إلى أولئك وهؤلاء جميعًا أسوق هذا الحديث .

إلى الذين يجدون ما لا ينفقون ، وإلى الذين لا يجدون ما ينفقون ، يساق هذا الحديث .

لا أجد لتصوير الحياة في مصر في الأعوام الأخيرة من العهد الماضي أدق من هذين الإهدائين اللذين يقرؤهما كل من يتناول الكتاب ، فقد كان المصريون في تلك الأعوام القريبة البعيدة فريقين ، أحدهما يصور الكثرة الكثيرة البائسة التي تتحرق شوقًا إلى العدل مصبحة ممسية وفيما بين ذلك من آناء الليل وأطراف النهار ، والآخر يصور القلة القليلة التي تشفق من العدل حين تستقبل ضوء النهار وتفزع من العدل حين تجنها ظلمة الليل .

وقد يقول قائل إن هذا أسلوب خاص تميز به طه حسين ، فهو أسلوب اللغة العربية الشفاهية القديم ، الذي يتميز ببطء الإيقاع والتكرار ، وقد يكون هذا صحيحًا ، ولكن المترجم (إلى اللغة الإنجليزية مثلاً) مرغم على التصدي له - شأنه في ذلك شأن سائر أساليب الكتاب - فأما منهج التقريب فيؤدي بنا إلى الترجمة التالية :

1. To those who are yearning for justice, and to those who are terrified of it, I present this book.

To those who have more than they can spend, and to those who have nothing to spend, I present this book.

Nothing can describe life in Egypt in the last few years of the old era better than these two dedications. Egyptians could be seen in those years, so near and yet so distant, as falling into two categories. The first consisted of a poor majority that yearned for justice day and night; the second of a minority who felt apprehensive of justice by day, and trembled in terror of it by night.

وسوف أورد الآن الترجمة التغريبية التي تحافظ على سمات أسلوب طه

حسين ، وإن لم تخرج عن الصحة المعيارية للغة الإنجليزية ؛ أي أنها تمثل نصا يتضمن « المقاومة » لتوقعات القارئ :

2. To those who have a burning longing for justice, and to those who are sleepless for fear of justice, I address these words.

To those who have more than they can spend, and to those who do not have enough to spend, these words are addressed.

I cannot find a more accurate statement to illustrate life in Egypt in the last years of the past era than these two dedications, which will be read by every one who picks up this book. The Egyptians in those years, so near and yet so distant, could be divided into two groups. The first was the poor majority that yearned for justice, morning and evening, as well as all the times in between. The second repesented the small minority who were afraid of justice when they received the light of day, and terrified by it when they were hidden by the darkness of night.

إنه نص يعارض مبادئ « الثقافة » الخاصة باللغة الإنجليزية – على عكس النص الأول – ولكنه في رأي ڤينوتي يوسع من آفاق التعبير بها ويرغم القارئ على قبول أنماط مختلفة للتعبير ، ومع ذلك فأنا أرى أن النص الأول – رغم الاختصار والتحوير – يحرز نجاحًا أكبر في هذا الصدد ؛ لأنه ينجح في توصيل المبادئ النصية في الفقرة العربية إلى القارئ الأجنبي ، ونجاح التوصيل يقتضي اجتذاب القارئ بما هو مألوف حتى يقدم من خلاله ما هو غير مألوف ، وبناء الفكر أهم مبدأ من المبادئ النصية كما ذكرنا ، والدليل على الحفاظ عليه دقة الحفاظ على النطاق register الذي يتكون من تقابل ألفاظ معينة وتراكيب نحوية معينة ، وذلك كله مرتبط بأسلوب طه حسين ؛ ولذلك لا أجد تبريرًا لإخراج تلك الترجمة التغريبية المسهبة verbose التي تقاوم القارئ بأكثر مما

يحتمل .

وختامًا سوف أقدم ما يقوله منداي (٢٠٠١ - ص ١٤٨) عن منهج ڤينوتي :

« على الرغم من دعوة ڤينوتي إلى الترجمة التغريبية ، فإنه يظهر وعيه ببعض متناقضاتها (١٩٩٥ - ٢٩) ألا وهي أنها مصطلح ذاتي ونسبي ، وأنه يتضمن بعض ‹‹ التقريب ›› لأن المترجم يترجم النص المصدر لتقديمه إلى ثقافة مستهدفة ، ويعتمد على القيم السائدة في الثقافة المستهدفة في إبراز مواطن ابتعاده عنها . ومع ذلك فإن ڤينوتي يدافع عن الترجمات التغريبية ، قائلاً إنها تتميز بالانحياز مثل الترجمات التقريبية في تفسيرها للنص الأجنبي ، ولكنها تميل إلى إظهار تحيزها بدلاً من إخفائه (١٩٩٥ - ٣٤) . ومن المهم أن نضيف كذلك هنا أن ڤينوتي يعتبر أن هذين المنهجين للترجمة - كما يقول في مقدمة الترجمة الإيطالية لكتابه اختفاء المترجم (١٩٩٩) - ‹‹ مفهومان استكشافيان . . . يهدفان إلى تشجيع التفكير والبحث ›› بدلاً من اعتبارهما ضدين متقابلين . ويضيف أنهما يتميزان « بالقدرة على التغير من حال إلى حال ، بمعنى أن تعريفهما يتوقف دائمًا على الحالة الثقافية المحددة التي تجري فيها الترجمة وتمارس تأثيرها » . ومعنى هذا - طبقًا لما يقوله ڤينوتي - أن المصطلح قد يتغير معناه من زمن إلى زمن ومن مكان إلى مكان . »

والواقع أن قضية التغريب في الترجمة لم تقتصر على ڤينوتي ، بل لقد شهدت الساحة دارسًا فذا طبق هذه النظرية تطبيقًا علميًا محكمًا على فن الرواية ، وكان كتابه الذي صدر بالفرنسية عام ١٩٨٤ وترجم إلى الإنجليزية عام ١٩٩٢ بعنوان « تجربة النص الأجنبي : الثقافة والترجمة في ألمانيا أيام

الرومانسية » كتابًا رائدًا ، واسمه أنطوان بيرمان Antoine Berman وهو يشارك ڤينوتي في الهجوم على التقريب الذي يسميه التجنيس naturalization القريب من مفهوم إضفاء الطابع المحلي domestication لدى ڤينوتي ، وأما كلمة التجربة التي ترجمت بها العنوان فقد فضلتها على « خبرة » (والكلمة الأصلية experiencing بالإنجليزية مترجمة عن الفرنسية l'épreuve) لاشتمالها على معنى المعاناة ، وهي لذلك تتضمن لمسة من معنى « التجربة » أو « الابتلاء » (حتى في بعض السياقات الدينية) ؛ إذ يقول إن الترجمة فيها « ابتلاء » (تجربة) للثقافة المستهدفة بسبب مواجهتها لغرابة النص الأجنبي أو الكلمة الأجنبية ، و « ابتلاء » (تجربة) للنص الأجنبي لأنه « ينتزع » أو يُقتلع من سياق لغته الأصلية . ويهاجم « بيرمان » الاتجاه العام إلى « التجنيس » في ترجمة الرواية بصفة خاصة ؛ لأن ذلك ينزع عنها طابعها الأجنبي ، ويركز على ظاهرة معينة وهي توحيد أسلوبها بفرض منطق الثقافة المستهدفة عليها ، ويشير مرارًا وتكرارًا إلى أن الرواية بناء خاص يتميز « بالمنطق المتعدد » polylogic الذي يتحرر من أي شكل يمكن فرضه عليه - ثقافيًا أو لغويًا - حتى إنه يصفه بأنه « لا شكل له » shapeless وذلك في المقال الذي كتبه عام ١٩٨٥ وترجمه عنه ڤينوتي ونشره في الكتاب الذي اعتمدنا عليه اعتمادًا كبيرًا (٢٠٠٠) وعنوانه - أي المقال - هو « الترجمة بصفتها تجارب للنصوص الأجنبية » وإن كان ڤينوتي يترجم العنوان إلى « الترجمة ومحن النصوص الأجنبية » لتأكيد ما ذكرناه من موازاة التجربة بالابتلاء ! ويريد بيرمان « بالمنطق المتعدد » الذي « لا شكل له » أن يشير إلى التنوع اللغوي والتنوع الإبداعي في الرواية ، وكيف تؤدي الترجمة إلى اختزال ذلك - وهو محتوم - في غضون السعي إلى اتفاق الأسلوب « الجديد » مع أساليب اللغة المستهدفة .

وقد عاد روجر ألان Roger Allen إلى هذه القضية نفسها في دراسته المنشورة في موسوعة الترجمة الأدبية إلى الإنجليزية عام ٢٠٠٠ (من تحرير أوليف

كلاس Olive Classe) إذ إنه ينعى على المترجمين اختزالهم للتنوع الأسلوبي عند نجيب محفوظ ، وقد ترجمتُ هذه الدراسة ونشرتُها في الكتاب الذي أعددته مع ماهر شفيق فريد بعنوان **نجيب محفوظ في عيون العالم** (٢٠٠٢) وسبقت الإشارة إليه ، وسوف ألخص (نقلاً عن ڤينوتي ٢٠٠٠ - ص ٢٨٨) أهم الاتجاهات التي يرى بيرمان أنها تتسبب في « تشويه » ترجمة العمل الأصلي ، وهي :

١- الترشيد rationalization ويعني به تنظيم هياكل البناء اللغوي وتركيب العبارات وعلامات الترقين punctuation إلى جانب الميل إلى التعميم، و

٢- التوضيح clarification ويتضمن ما سبق أن أسميناه بالإيضاح التصريحي explicitation ، و

٣- التوسع expansion ويعني به ميل الترجمة إلى أن تكون أطول عمومًا من الأصل بسبب الميل إلى الإيضاح التصريحي ، وهو ما قد يضيع الإيقاع المضغوط في النص الأصلي ، و

٤- الارتقاء ennoblement وهو ميل بعضِ المترجمين إلى الارتفاع بمستوى الأسلوب الأصلي بالتأنق في العبارة - وهو ما كان شكري عياد ينكره في ترجمة الأدب ويصر على ضرورة تفاديه ، ويواجهه من ناحية أخرى محاولة الاقتراب من القارئ بكثرة استعمال الأساليب العامية أو الدارجة ، و

٥- الفقر النوعي qualitative impoverishment ويقصد به بيرمان إبدال كلمات ذات قوة أيقونية في الأصل بكلمات تفتقر إلى تلك القوة ، ومعنى القوة الأيقونية هو مشاركة صوت الكلمة في النص الأصلي في تأكيد معناها (ضجر ضجرًا شديدًا = he was too bored) ، و

٦- الفقر الكمي quantitative impoverishment ويقصد به تقليل التنوع

اللفظى في الترجمة ، كترجمة الكلمات التي تعني الخمر بالعربية بكلمة wine الإنجليزية فحسب في ترجمات المستشرقين (سلوا كؤوس الطلا / هل لامست فاها / واستخبروا الراح هل مست ثناياها / باتت على الروض تسقيني بصافية / لا للسلاف ولا للورد رياها) ، و

٧ - تدمير الإيقاع the destruction of rhythms وهذا مهم في النثر أيضًا ، وإن كانت أهميته في الشعر أكبر ، و

٨- تدمير شبكات الدلالة الباطنة ويقصد بها العلاقات غير المباشرة بين الكلمات أو التعابير ذات الإيحاءات الخاصة ؛ ولذا أبقينا على صورة « تسلل الأمل إلى قلب اليائس » في الفقرة المأخوذة من رواية زينب لهيكل ، و

٩- تدمير الأنساق اللغوية the destruction of linguistic patterning وهو ما حدث في ترجمة طه حسين ؛ إذ ضاع النسق الشفاهي الذي يأتي به التكرار ويوحي بالتؤدة واطمئنان الفكرة ، و

١٠- تدمير شبكات الدلالة العامية أو تغريبها the destruction of vernacular networks or their exoticization مثل معاملة أسلوب الفصحى المترجم عن العامية عند نجيب محفوظ معاملة الفصحى المعاصرة أو التراثية ، أو تغريبها بإيجاد بدائل عامية إنجليزية ، وهي مشكلة دائمة ، و

١١- تدمير التعابير الثابتة والاصطلاحية the destruction of expressions and idioms يرى بيرمان أن إبدال تعبير اصطلاحي أو مثل شائع بما يعادله في لغة الترجمة يمثل « وجهة نظر عرقية » ethnocentric قائلاً إن اللعب « بالتعادل » هنا معناه مهاجمة « الخطاب » الخاص بالعمل الأجنبي ، فالعربي الذي يترجم تعبيرًا يتضمن كلمة Bedlam (التي تفيد مستشفى الأمراض النفسية) إلى « العباسية » أو « العصفورية » يخطئ في نظر بيرمان لأنه يحيل القارئ إلى شبكة دلالات الثقافة المحلية المختلفة عن الأصل ، و

١٢- طمس التداخل اللغوي the effacement of the superimposition of languages ويعني به بيرمان أن العمل الروائي قد يتضمن تداخلاً بين مستويات متعددة من اللغة الواحدة أو من لغات « دخيلة » ، فالتعابير الأجنبية في العربية عادة ما تتحول في الترجمة إلى نظائرها الفصحى (عفارم عليك / برافو عليك = أحسنت) وفي هذا طمس لدلالة هذه التعابير الدخيلة في مواقف بعينها من العمل الروائي .

أما الحل الذي يقترحه بيرمان فهو الأسلوب الذي يتفادى النقائص جميعًا ويسميه الترجمة الحرفية literal translation ويشرحه قائلاً إنه يعني الالتصاق بنص العمل ، فالجهد المبذول في النص في الترجمة « يعيد إنشاء عملية الدلالة للأعمال الأدبية (وهي التي تتجاوز المعنى) كما أنه ، من ناحية أخرى ، يحدث تحولاً في لغة الترجمة » (ڤينوتي ٢٠٠٠ - ص ٢٩٧) ويعلق منداي (٢٠٠١ - ص ١٥١) على مذهب بيرمان المذكور قائلاً :

« يختلف مصطلح الترجمة الحرفية عند بيرمان اختلافًا واضحًا عن الاستعمال التقليدي للمصطلح في أنه محدد ونوعي ، فاستعمال بيرمان للحرفية والنصية ، وإشارته إلى العملية الدلالية signifying process يدلان على منظور يشبه منظور سوسير للغة ، وإلى عملية تحويل إيجابية للغة المستهدفة » .

ويضيف منداي (في الصفحة نفسها) أن أهمية جهود بيرمان ترجع إلى إقامة رابطة بين « الأفكار الفلسفية واستراتيجيات الترجمة » ، مع ضرب أمثلة كثيرة من الترجمات المتوافرة ، وسوف ألتقط الخيط من هذا التعليق ، وإن كان لا يقصد بالأفكار الفلسفية إلا النظرات الشاملة العامة للأعمال الأدبية وأخلاقيات الحفاظ على الطابع الأصلي الصادق - دون « تشويه » - لأتناول بعض الأفكار الفلسفية الحقة التي تكاد تشكل نظريات مستقلة عن الترجمة ،

وأهمها نظرية « الحركة التفسيرية » hermeneutic motion التي أتى بها جورج شتاينر George Steiner وما إلى ذلك من آراء وضعها عزرا باوند Ezra Pound عن تجديد طاقة اللغة أو إمداد اللغة بالطاقة energizing of language وفالتر بنيامين Walter Benjamin عن اللغة « النقية » pure وعلاقة المذهب التفكيكي عند دريدا بالترجمة .

ولقد سبق أن ذكرنا أن الاتجاه التفسيري يدين بنشأته إلى الرومانسيين الألمان وعلى رأسهم شلايرماخر ، وكذلك إلى هايديجر ابن القرن العشرين ، وقد وضع بالمر Palmer كتابًا يتابع فيه نظريات التفسير من شلايرماخر إلى جادامر (١٩٦٩) ، (انظر المراجع وكتابنا المصطلحات الأدبية الحديثة) ولكن الذي يهمنا هو علاقة ذلك - فلسفيًا - بالترجمة . ويعتبر كتاب « بعد بابل » الذي وضعه شتاينر منذ أكثر من ربع قرن ، وسبقت الإشارة إليه من أهم الإسهامات في هذه القضية ، ونحن نعتمد هنا على الطبعة الثالثة (١٩٩٨) ونشير إليها بانتظام ، وفيها يحدد شتاينر المدخل التفسيري hermeneutic approach أو يعرّفه بأنه « فحص معنى « فهم » قطعة من الكلام المنطوق أو المكتوب ومحاولة تشخيص diagnose هذه العملية من حيث كونها نموذجًا عامًا للمعنى » (ص ٢٤٩) ومعنى هذا الكلام الغامض ، مثل كل أو معظم ما كتبه شتاينر ، هو أنه يحاول وضع « نظرية » (وهو يكتبها دائمًا بين علامات تنصيص) تشرح إدراك المعنى عند الترجمة ، وهو يضع لذلك ما يسميه النموذج « الكلي » أو الشامل قائلاً :

> إن أي « نظرية » للترجمة ، أو أي « نظرية » لنقل الدلالة ، لا بد أن تعني أحد أمرين : فإما أن تكون وسيلة تسلحت فتدعمت بالقصد العمد والتوجه التفسيري لوضع طريقة عمل لجميع أشكال تبادل المعنى ؛ أي الهيكل الكلي للتواصل الدلالي (بما في ذلك ما يصفه ياكوبسون بأنه الترجمة القائمة على التبادل السيميوطيقي intersemiotic أو

« التبديل » transmutation ، وإما أن تكون قسمًا فرعيًا من مثل ذلك النموذج يشير إشارة خاصة إلى التبادلات فيما بين اللغات ، أي إلى إرسال واستقبال رسائل ذات دلالة فيما بين اللغات . والخيار الأول أنفع وأجدى لأنه يدعم الحجة القائلة - وهي حقيقة - بأن جميع طرائق الإفصاح بالتعبير ، والتلقي بالتفسير ، تنتمي إلى الترجمة ، سواء كانت داخل اللغة ذاتها أو فيما بين لغتين .

(١٩٩٨ - ص ٢٩٣ - ٢٩٤)

ويختلف شتاينر عن جميع من زعموا أن الترجمة علم من العلوم ، مؤكدًا أنها فن يتميز بالدقة an exact art وأن درجات الدقة فيها « مكثفة ولكنها غير منتظمة » (ص ٣١١) وهو يستند إلى هذا المفهوم في بناء نظراته فيما يسميه هرمانيوطيقا الترجمة ؛ أي الدور المنوط بالتفسير في الترجمة ، ويُجمل هذه النظرات فيما يسميه بالحركة التفسيرية التي سبقت الإشارة إليها ، والتي تشكل جوهر وصف شتاينر لما يسميه الهيكل الكلي لنقل الدلالة ، وتتكون هذه الحركة من أربعة أقسام . أولها هو الثقة البادئة initiative trust ، وثانيها هو العدوان أو الاختراق aggression or penetration ، وثالثها هو الإدراج أو التجسيد incorporation or embodiment ، ورابعها هو التعويض أو الإعاضة compensation or restitution . وسوف نعرض الآن لكل منها .

أما الثقة البادئة (٣١٢ - ٣١٣) فيقول شتاينر إنها الخطوة الأولى لأنها تمثل للمترجم « استثمارًا » فيما يعتقد بصحته ؛ أي أنها اعتقاد وثقة بوجود ما يمكن فهمه في النص المصدر ، ويقول إن ذلك تركيز للأسلوب الإنساني في الرؤية الرمزية للعالم - بمعنى أن المترجم يرى أن النص المصدر يرمز لشيء ما في العالم - وهو « شيء » مفهوم متسق يمكن ترجمته ، ولكن ذلك يتضمن مخاطرتين ، الأولى هي أن ذلك « الشيء » قد يتحول إلى « كل شيء » مثلما

حدث لمترجمي الكتاب المقدس في العصور الوسطى ، بل ولشراحه ؛ إذ هيمنت عليهم الرسالة المقدسة الشاملة ، والثانية هي أن ذلك « الشيء » قد يتحول إلى « لاشيء » لأن المعنى والشكل متداخلان تداخلاً يجعل من المحال الفصل بينهما عند الترجمة .

وأما العدوان (٣١٣ - ٣١٤) فهو حركة « هجوم . . . واستخلاص . . . وغزو » ، ويعتمد شتاينر على هايدجر في إقامة أساس هذه الرؤية الخاصة للفهم ، بصفتها تتسم بالعنف وامتلاك شيء جديد ، قائلاً « إن المترجم يغزو ويستخرج ويعود بما ظفر به إلى منزله ، والتشبيه هنا بمنجم مفتوح على سطح الأرض ، تُرك فأصبح مثل ندبة على ظهرها » (ص ٣١٤) ويقول شتاينر إن بعض النصوص والأجناس الأدبية قد سطا عليها المترجمون حتى أفنوها exhausted ، وإن البعض الآخر بلغ من جمال ترجمته أن القراء لا يقرأونه إلا مترجمًا ، وهو يستخدم تعبير « الاختراق » أحيانًا في وصف هذه « الحركة » .

وأما الإدراج (٣١٤ - ٣١٦) فهو الحركة الثالثة عند شتاينر ويعني به « إدراج » المعنى الذي استخلصه المترجم من النص المصدر في اللغة المستهدفة وهي العامرة بكلماتها ومعانيها الخاصة بها ، والإدراج معناه أن تتمكن اللغة المستهدفة من استيعاب المعنى المنقول إليها وأن تتمثله ، وهناك أنواع مختلفة من الاستيعاب تتراوح بين قطبين ، الأول هو إضفاء الطابع المحلي الكامل على المعنى الجديد بحيث يصبح معنى معتمدًا بل وأصيلاً في اللغة المستهدفة ، والثاني هو أن يُكتب عليه أن يعيش دائمًا في غربة وهامشية . ومن الأمور المهمة التي يشير إليها شتاينر (ص ٣١٥) هو أن يؤدي استيراد معنى النص الأجنبي إلى « خلع » أو « إصلاح » بعض مفاصل اللغة المحلية ! وهو يضيف استعارات جديدة لشرح هذه الاستعارة قائلاً إن اللغة المستهدفة قد « تتغذى » على هذا الجديد فتنتفع به ، وقد يكون بمثابة مرضٍ معدٍ أصابها فيقاومه جسدها ويلفظه آخر الأمر . ولما كانت هذه الاستعارات جميعًا مصدرها

الجسد ، فإن شتاينر يصف هذه الحركة بالتجسيد ، وهو مصطلح لا ينجح في نقل جميع المعاني التي يقصدها ، وربما كان الأقرب أن نترجمه بدخول الجسد، وهو لا يرقى إلى مستوى المصطلح الميسّر ، ويضرب شتاينر على ذلك أمثلة أدبية كثيرة تذكرنا بما ذهب إليه أصحاب مذهب تعدد النظم من تصارع بين الأدب المترجم والآداب المحلية ، ويطلق شتاينر على هذا الصراع تعبير « جدلية التجسيد » (ص ٣١٥) قائلاً إنه يحدث أيضًا داخل المترجم الفرد ، فالترجمة تضيف شيئًا إلى ما نملك ؛ إذ « تشيع في أجسادنا طاقات وموارد بديلة للإحساس والشعور ولكنها قد تسيطر علينا ، ومن ثم يُقعدنا ما استوردناه عن العمل السوي » (الصفحة نفسها) . وهكذا فإن الخلل الذي يصيب الثقافة نتيجة استيراد بعض النصوص المترجمة ، يشبه ما يحدث للمترجم حين تستنفد الترجمة الطاقات الخلاقة لديه ، وهي التي لا بد منها لإبداع أدبه الأصيل . ويرى شتاينر أن هذا الخلل ثمرة من ثمار « نقص خَطِر » في الحركة التفسيرية ، ولا يمكن إصلاحه وإعادة التوازن إلا بالحَركة الرابعة وهي التعويض .

وأما **التعويض** (٣١٦ - ٣١٩) أو « المعاملة بالمثل » أو المبادلة reciprocity فهو جوهر حرفة الترجمة وشرعتها في نظر شتاينر ، فهو يقول إن العدوان على النص المصدر والظفر بمعناه واستيعابه « يخلف في النص الأصلي بقية تتسم بجدلية لُغْزٍ ما » ولما كانت هذه الجملة كاللغز بلا جدال (ولا جدلية) فسوف أوردها بالإنجليزية وأشرحها leaves the original with a dialectically enigmatic residue وها هو الشرح : اللغز معناه أننا لا نعرف ولن نعرف أبدًا حقيقة ما يتبقى من النص الأصلي بعد الترجمة ، فهي بقية تكتسب قوة جديدة بالترجمة ، وتخسر بعضًا من معانيها في الترجمة ، فالمكسب والخسارة هما طرفا العملية الجدلية ، ولا بد أن تظل الموازنة بينهما غامضة كأنها لغز ، فهي بقية ملغزة وجدلية ! فأما المكسب فيعني به شتاينر « الارتقاء » بالنص الأصلي

enhancement : أولاً من حيث المكانة ، فاختياره للترجمة دليل على قيمته ، وثانيًا من حيث توسيع دلالته بنقله إلى ثقافة أخرى ، وأما الخسارة فأوضح من أن تحتاج إلى تعليق ؛ لأن « أخذ » المعنى يسلب اللغة الأصلية ما كان أصيلاً فيها . ويقول شتاينر إن النص المصدر تربطه علاقات منوعة مع النص أو النصوص المستهدفة (المترجمة عنه) فهو يصفها بأنه قد تمثل « أصداء» أو « مرايا » له (ص ٣١٧) ولكنها لا بد أن تضيف إليه شيئًا فتزيد في ثرائه مهما تأخذ منه أو ما تسلبه إياه من معان !

وينشأ **الخلل** imbalance من « تدفق الطاقة من المصدر ، وسريانها في المتلقي ، بحيث يتغير المصدر والمتلقي جميعًا ، بل وتتغير علاقات التوافق التي كانت قائمة في النظام كله » (ص ٣١٧ - ٣١٨) وإذن فلا بد من التعويض لإصلاح هذا الخلل ، والتعويض يتخذ شكل التكامل بين المصدر والنص المترجم ، ففي بعض المواقع تقل منزلة الترجمة عن الأصل ، وتزيد منزلتها عليه في مواضع أخرى بحيث يعود التكافؤ equity . ويرى شتاينر أن التكافؤ ضروري ، فهو الذي يمنح مفهوم الأمانة معناه الحقيقي و « الأخلاقي » قائلاً :

« لا يصبح المترجم أو الشارح أو القارئ **مخلصا** لنصّه (أو أمينا عليه) ولا تكون استجابته استجابة مسئولة ، إلا إذا جهد جهده لإعادة التوازن بين القوتين ، وحقق التكامل بينهما ، بعد أن أدى فهمه وامتلاكه للمعنى إلى فصم عُرى ذلك التكامل » (ص ٣١٨) (تأكيد المؤلف) .

ويقول شتاينر إنه واثق بأن « هرمانيوطيقا الثقة » التي يدعو إليها (ص ٣١٩) وهي التي تتميز بالتوازن والمرونة والصبغة الأخلاقية سوف تتيح لنظرية الترجمة أن تفلت من قبضة ما يسميه « بالنموذج الثلاثي العقيم » (أي الترجمة الحرفية والحرة والأمينة) وهي التي سادت الكتابة في هذه النظرية دهورًا .

ولما كان شتاينر يرى أن الفهم الصادق والترجمة الصادقة لايتوافران إلا

حين « تتدفق » اللغتان فيما بينهما ، أي تتداخلان ، فهو يرى أن السبيل الأوحد إلى ذلك هو الخروج من الذات ، قائلاً - في معرض الحديث عن عزرا باوند - إن عبور الذات إلى الآخر هو السر النهائي لحرفة المترجم - ويعني بذلك الخروج من الذات الضيقة والتحلي بصفات الغير ، وهو يسميها « الغيرية » otherness (في صفحة ٣٧٨) وهو يمتدح عزرا باوند لأنه كان يترجم عن اللغة الصينية دون أن يجيدها ، قائلاً إن ذلك مكّنه من التحرر من المفهومات المسبقة والتعقيدات النابعة من الاقتراب الشديد من ثقافة المصدر ، وقد تكون هذه هي القضية الأساسية التي يناقشها شتاينر ، وهي تتصل بقضايا فلسفية أخرى ؛ إذ يقول (ص ٣٨١) :

« إن علاقات المترجم بما هو ‹‹ قريب ›› علاقات غامضة وجدلية في باطنها، وأما الشرط الحاسم فهو توافر عاملين (متضادين) معًا ، وهما الرابطة القائمة على الانتقاء والاختلاف الذي يتسبب في المقاومة » .

وقضية الاختلاف ، وهي جوهرية عند دريدا ، تتخذ عند شتاينر صورتين ، الأولى هي أن خبرة المترجم باللغة الأجنبية تختلف عن خبرته بلغته الأم ، والاختلاف بينهما يترك بصماته على المترجم وعلى المجتمع . وهكذا فإن خبرة الاختلاف للمترجم تؤدي إلى إعادة خبرته بهويته ، وهي من ثم خبرة شاملة - يقول شتاينر :

« إن خبرة الاختلاف والإحساس بالمقاومة التي يمثلها ما يختلف عنك في صورة مادية ، يجعلك تشعر بهويتك من جديد . » (ص ٣٨١)

وهو يطلق على هذا تعبير **اختلاف المقاومة** resistent difference ، وإذا كان هذا الاختلاف قادرًا على صد المترجم عن النص بسبب الاختلافات اللغوية والثقافية ، فإن العامل الآخر - أو الصورة الثانية للاختلاف - فهي وجود روابط قائمة على الانتقاء ، وهو يسميها **الرابطة الانتقائية** elective affinity

(ص ٣٩٨) وهي تتحقق عندما ينجذب المترجم إلى النص الأجنبي فيجد فيه رفيقًا مصاحبًا (ولو اختلف عنه) ويتعرف على نفسه فيه ؛ أي يجد بعضًا من ذاته فيه . فإذا توافر العاملان نشأ توتر لا يمكن فَضُّهُ ، فهو يجذب المترجم ويصدُّه ، ويكون التعبير عنه هو الترجمة الجيدة .

ولقد أفردنا هذه الصفحات لنظرية شتاينر بسبب التأثير الواسع لكتابه ، بدليل إقبال القراء عليه وإعادة طبعه مرات منذ صدوره منذ أكثر من ربع قرن ، ورغم ما يقوله المتخصصون بأنه أصبح كتابًا هامشيًا في دراسات الترجمة (مثل منداي ٢٠٠١ - ص ١٦٧) وأما الدليل على تأثيره فهو ما عرضناه في هذا الفصل من نظريات التقريب والتغريب التي تدين لأفكار شتاينر بالكثير ، وإن كانت قد تخطته في الواقع . وينعى منداي على شتاينر تأثره بمذهب تشومسكي في النحو التوليدي التحويلي ، وإن كان ذلك محتومًا في الفترة التي كتب فيها كتابه ، ونحن نقرأ ذلك ونعرف أنه ينتمي إلى عصر باد وانقضى ، ونغفره له . وأما هجوم أصحاب مذهب نصرة المرأة عليه بسبب استعاراته المستمدة من « عالم الرجل » فسوف نضرب عنه صفحًا ، ولقد سبق أن عرضنا لرأي شري سايمون في كتابها عن الترجمة (١٩٩٦) ونذكر هنا أيضًا - عَرَضًا - مقال ل . تشيمبرلين L. Chamberlain الذي نشرته أولاً عام ١٩٨٨ وأعاد نشره ڤينوتي (٢٠٠٠) وهي تهاجم فيه الاستعارات نفسها . والواقع أن كتاب شتاينر يتضمن إشارة لنظريتين فلسفيتين يجدر بنا الإلمام بهما ، ولو بصفة عامة ، بسبب أهمية صاحبيهما وصيتهما المدوي - وهما عزرا باوند وڤالتر بنيامين .

يقول شتاينر إن باوند وبنيامين ينتميان معًا إلى عصر « النظرية والتعريف الشعري الفلسفي» (ص ١٤٩) وإنهما ساهما مساهمة مهمة في وضع نظريات عن العلاقات فيما بين اللغات ، ويصدق هذا على ممارسة باوند للترجمة ونقده لها ، فلقد كان نزاعًا بطبعه إلى التجريب طيلة حياته ، وإلى النظر في

الخصائص التعبيرية للغة ، ساعيًا إلى إضفاء طاقات جديدة عليها (energizing) من خلال الوضوح ، والإيقاع ، والصوت sound والشكل ، لا عن طريق المعنى أو المعاني . و « قراءته » للغة الصينية (التصويرية) مثال صادق على انتمائه إلى المدرسة التصويرية في الشعر ، فهو يؤكد بذلك تفضيله للشكل الإبداعي للعلامة (sign) فهي التي تستطيع أن تبرز طاقة الشيء أو الحدث « المصدر » . وقد نشر له ڤينوتي في كتابه الأخير (٢٠٠٠) مقالاً عن ترجمته للشاعر الإيطالي جويدو كاڤالكانتي Guido Cavalcanti ابن القرن الثالث عشر ، وفيها يناقش طرائق الترجمة المتاحة له ويقدم نظرات مستمدة من مذهبه في الشعر والنقد ، وأهم ما جاء به - في نظري - اعتباره الترجمة ضربًا من ضروب النقد الأدبي ، وقوله إنها لا بد أن تتضمن لمسة إبداعية تخرج بها عن مواصفات اللغة في عصره - إذا كان يترجم القدماء - وكان ذلك يتضمن بوضوح وجلاء قدرًا من التجريب غير مأمون العاقبة .

وسوف نتوقف هنا عند الرأي الذي أوردته إلزي ڤييرا ، الباحثة البرازيلية ، عنه (وقد سبقت الإشارة إليها في غضون عرض مدرسة « التهام الآخر ») إذ ترى أن آراءه وترجماته قد ألهمت الشعراء البرازيليين ، بما فيهم هارولدو دي كامبوس Haroldo de Campos الذي لعب دورًا كبيرًا في إطار مدرسة التهام الآخر المشار إليها . وهي تربط بين آراء باوند وآراء دي كامبوس على النحو التالي (من مقالها المنشور في الكتاب الذي حررته باسنيت وتريڤيدي عام ١٩٩٩ وسبقت الإشارة إليه - ص ١٥٠) :

« يقول دي كامبوس إن ترجمة النصوص الإبداعية تمثل دائمًا إبداعًا جديدًا أو إعادة خلق ، وهي على طرف النقيض من الترجمة الحرفية ، ولكنها دائمًا تقوم على التبادل ؛ أي الأخذ والعطاء ، فهي عملية لا يترجم فيها المعنى وحده بل تترجم فيها العلامة بجميع

خصائصها المحسوسة (المجسدة) corporeality (مثل الخصائص الصوتية ، واللمسات المصورة البصرية ؛ أي جميع ما يدخل في التكوين الأيقوني للعلامة الجمالية . . . وأما باوند فهو يرى أن الترجمة نقد لأنها تحاول نظريًا أن تستبق الإبداع ، فهي تختار ، وتتخلص من التكرار ، وتنظم المعرفة على نحو يتيح للجيل الجديد ألا يطلع إلا على الجانب الحي ، وهكذا فإن قولة باوند المشهورة « جددوا ! » يعيد دي كامبوس صياغتها في مذهبه عن إضفاء حياة جديدة على الماضي من خلال الترجمة . »

و « التجريب » و « إضفاء الحياة الجديدة » هما الجانبان اللذان يربطان باوند الأمريكي بالمفكر الألماني ڤالتر بنيامين ، وينشر له ڤينوتي في كتابه الأخير (٢٠٠٠) مقالاً كان قد كتبه أصلاً كمقدمة لترجمة أعدها عن الفرنسية (عام ١٩٢٣) ، لكنه ما لبث أن أصبح بعد ترجمته إلى الإنجليزية عام ١٩٦٩ من أهم النصوص الفلسفية الخاصة بالترجمة الأدبية . ومن الأفكار الأساسية في مقال بنيامين أن الهدف من النص المترجم لا يتمثل في مساعدة القراء على فهم « معنى » النص الأصلي أو لنقل مضمونه من « المعلومات » إليهم . فالترجمة كما يقول لها وجود مستقل ، فهي ليست فقط تصاحب الأصل ، وتأتي بعده زمنيًا ، وتخرج من حياته الأخرى afterlife ولكنها أيضًا تعمل على « استمرار حياته » (ڤينوتي ٢٠٠٠ ص ١٦) وهذا البعث أو إعادة الخلق يضمن بقاء العمل الأصلي بعد خروجه إلى العالم « في عصر شهرته » .

ويقول بنيامين إن الترجمة الجيدة « تعبير عن علاقة التبادل الأساسية بين اللغات » (ڤينوتي ٢٠٠٠ – ص ١٧) فهي تكشف عن العلاقات الكامنة والتي تظل خبيئة حتى تزيل الترجمة النقاب عنها ، ولا يكون ذلك من خلال محاكاة الأصل بل من خلال إقامة التناغم والتوافق بين اللغتين المختلفتين . وهذا التناغم يؤدي في النهاية إلى إخراج اللغة الخالصة أو اللغة النقية pure ؛

أي أن هذه اللغة ثمرة التعايش والتكامل بين النص المترجم والأصل ، وأما منهج بلوغها فهو النقل الحرفي literal rendering الذي يتيح للغة النقية أن تبرز وتسطع ، يقول بنيامين :

> الترجمة الحقيقية ترجمة شفافة ؛ أي إنها لا تحجب الأصل ، ولا تعوق ضوءه ، ولكنها تسمح للغة النقية أن تبرز ، فكأنما تستمد القوة من اللغة الجديدة ، لتسطع سطوعًا أقوى على النص الأصلي . وأهم ما يلزم لتحقيق ذلك هو النقل الحرفي للتراكيب البنائية فهي تؤكد أن الكلمات لا الجمل هي العناصر الأولية للمترجم .
>
> (ڤينوتي ٢٠٠٠ - ص ٢١)

والواضح أن بنيامين يدعو إلى ترجمة كل سطر بسطره interlinear translation التي كانت تستخدم في ترجمة الكتاب المقدس في الماضي (انظر الفصل الثاني ، وانظر شرح معناها في كتابنا مرشد المترجم ص ٢٩١) . والواضح أيضًا أن دعوته إلى إضفاء الطابع الأجنبي على النص المترجم تدين بالكثير لمذهب « شلايرماخر » وترهص بالتطورات الحديثة . ولكن أسلوبه كما يقول منداي (٢٠٠١ ص ١٧٠) يفتقر إلى الدقة ، ويضيف منداي أن فكرته الفلسفية الخاصة بخلق لغة « نقية » من خلال التوفيق بين لغتين تمثل مفهومًا مثاليًا أو قل إنه مفهوم تجريدي . و « هذا التجريد والبحث عن ‹‹ حقيقة ›› عليا من خلال شكل اللغة لا من خلال ترجمة ‹‹ المعنى ›› أدى إلى أن أصبح بنيامين ، بفضل هذه المقدمة القصيرة ، ذا تأثير كبير في مجال دراسات الترجمة في أصحاب مذهبي ما بعد الحداثة والتفكيكيين » . (الصفحة نفسها) وهذا مدخلنا إلى آراء التفكيكيين في هذا المجال .

لا حاجة بنا إلى الحديث عن هذه « المدرسة » ، وللقارئ أن يرجع إلى الفصل الخاص بها في كتابي **المصطلحات الأدبية الحديثة** ، ويكفي أن نقرر

بعض ما أتت به مما له صلة مباشرة بالترجمة . ولنبدأ مثلاً بالتشكيك الذي أتت به المدرسة ، وخصوصًا زعيمها جاك دريدا ، في العلاقة بين الدال والمدلول ؛ أي مفهوم اللغة الذي وضعه سوسير والذي يقول إن اللغة نظام صوتي ومكتوب يشير إلى أشياء أو حقائق خارجها . فالتفكيكيون ينكرون ذلك ، وينكرون مفاهيم « المعنى » المعروفة - على اختلافها - ومن ثم ينكرون إمكان الترجمة أصلاً ، ولن أطيل في هذا الباب ، بل سأحيل القارئ المتخصص إلى بعض كتابات دريدا (في الترجمة) - وهي لا تزيد على مقالات أو محاضرات - يكرر فيها ما سبق أن قاله عن « الاختلاف والإرجاء » differance ، ويتلاعب فيها بالألفاظ ، ويشكك فيها في وجود أي معنى ثابت لأي كلمة أو تعبير ، وأشهر مقال له وعنوانه « عن أبراج بابل » يطبق ذلك كله على مقال بنيامين المذكور للاستدلال على أن اللغة « النقية » التي يدعو إليها بنيامين هي « الإرجاء والاختلاف » وليؤكد أخيرًا استحالة ترجمة أي معنى ، فكأنما يؤكد صحة ما ذهب إليها سلفه من الدعوة إلى الترجمة الحرفية التي تتبع مواقع الكلمات في الجمل - بلا أمل في توصيل أي شيء إلى القارئ .

ونختتم هذا الفصل وهذا الكتاب بإلقاء نظرة عامة على مبحث دراسات الترجمة باعتباره مبحثًا بينيًا interdiscipline على ضوء ما سبق قوله في المقدمة . فلقد بدأنا الكتاب قائلين إننا نواجه مبحثًا بينيًا جديدًا تلتقي فيه فروع عديدة من علوم راسخة ، وإن كان مجاله يختلف عن كل منها على حدة ، وقدمنا لذلك بالخريطة التي وضعها هومز وقلنا إن أهم المباحث التي تصب فيه تعتبر إلى حد ما مباحث جديدة ، مثل علوم اللغة (أو اللغويات) والدراسات الثقافية ودراسات الاتصال ، وعرضنا في هذا الفصل - ولو بإيجاز - للإسهام المتواضع للفلسفة أيضًا (بمعنى فلسفة المعنى أو الدلالة) . وسوف نلاحظ أن بعض هذه المباحث الجديدة مباحث بينية أيضًا ، فدراسات الاتصال

تشترك مع علم الاجتماع وعلم النفس و « اللغات الحديثة » في بعض فروعها ، وتساهم هذه العلوم نفسها في الدراسات الثقافية إلى جانب التاريخ والجغرافيا والفلسفة ! وكان دخول الكمبيوتر (الحاسوب) إلى ميدان البحث العلمي من العوامل التي ساعدت على إدراك الروابط بين العلوم القديمة والمباحث الجديدة، فهو يتيح إجراء المسوح لمجال علمي بعينه وما يصب فيه من دراسات أنجزت في فترة زمنية موجزة ، ويتيح إجراء الإحصاءات (للكلمات ، لأطوال الجمل . . إلخ) التي كانت تستغرق شهورًا في ساعة أو بعض ساعة ، على نحو ما فعل بعض الباحثين في تحليل أسلوب ميلتون . وقد استفدت شخصيًا من ذلك في ترجمتي للفردوس المفقود ، بل وفي تغيير بعض الأفكار التي كانت سائدة عن ذلك الأسلوب ، كما أن الأعوام الثلاثين الأخيرة قد شهدت تحولاً في النظرة إلى الأدب العربي واللغة العربية ، منذ دخول اللغة العربية رسميًا إلى الأمم المتحدة ، كما سبق أن ذكرت ، في أعقاب حرب أكتوبر ١٩٧٣ ، ومنذ فوز نجيب محفوظ بجائزة نوبل ، إلى جانب قيام الاتحاد الأوربي وما استتبع ذلك من نشاط دائب في الترجمة ، والاتجاه إلى الترابط العالمي أو « العولمة » وهي جميعًا من العوامل التي رسخت مكانة الدراسات الثقافية ، وعلوم الاتصال ، فأصبحت تصب في دراسات الترجمة بعد أن كانت في البداية فرعًا غائم الملامح من فروع علم الألسنة الحديث (اللغويات).

ولم نعتزل يومًا في الوطن العربي عن هذه الدراسات الجديدة ، وعن إسهاماتها في مبحث دراسات الترجمة ، ولقد سبق أن ذكرت عددًا من الباحثين الذي أعدوا رسائلهم للدكتوراه أو للماجستير في هذا المجال الجديد (هدى عياد، وأماني أبو الفضل، وعزة مازن، وسعيد العليمي ، وأمية خليفة ، ونجلاء رشدي ، وصلاح شبكة ، ونجوى الزيني ، ونيڤين حسن) والستة الأوائل يجمعون بين مناهج الدراسات اللغوية والأدبية والثقافية ، والثلاثة

الآخرون يقتصرون على المناهج اللغوية ، مما يدل على نشأة الاتجاه البيني وغلبته . ويعمل الآن عدد آخر من الباحثين في هذا المجال ، منهم خالد توفيق ، وهبة عارف ، ونهلة حلمي ، وعلياء الجندي ، ومحمد فوزي ، ومحمد حسن ، ومناهجهم تجمع بين الدراسات الثقافية واللغوية ، وبعض المداخل الأدبية . ولكن المبحث نفسه لم يحظ بعد باعتراف « السلطات » الأكاديمية باعتباره مبحثًا مستقلا ، وما زالت معظم هذه السلطات تصنفه في باب الدراسات اللغوية ؛ لأنه يدرس في أقسام اللغات ، ولن يطول هذا الحال في رأيي ، فالمبحث الجديد يشتد ساعده ، ويعمل فيه من تخصصوا في مجالات أخرى وأدركوا طبيعة هذا المبحث « البينيّة » ، والدارسون الذين ذكرتهم ينتمون إلى جامعات القاهرة وطنطا وعين شمس وحلوان ، ولا بد أن هناك آخرين لا أعرفهم في الجامعات العربية الأخرى ، كما أن هؤلاء جميعًا ينتمون إلى أقسام اللغة الإنجليزية ، ولا بد أن هناك آخرين يعملون في أقسام علمية للغات أخرى ، وغيرها من الأقسام ، مما يبشر بالخير لهذا المبحث الجديد .

ويورد منداي (٢٠٠١ - ص ١٨٢) مقتطفًا من دراسة كتبها ويلارد ماكارتي Willard McCarty عام ١٩٩٩ عن معنى « المبحث البيني » ، ثم يعلق عليه قائلاً :

> « من الممكن دراسة وتدريس المبحث البيني مستقلا عن غيره ، ومن الممكن أيضًا أن يؤدي إلى التعاون فيما بين مباحث مختلفة . ومكارتي يرى أن الترتيب الهرمي للمباحث يمثل بناء منهجيًا ، ويرى - من ثم - أن المباحث « التقليدية » ترتبط بعلاقات « أولية » أو « ثانوية » بالمبحث البيني الجديد . وهذا المدخل الذي يقترحه ماكارتي . . . قد يصدق على الترجمة ودراسات الترجمة أيضًا . وهنا تصبح دراسات الترجمة هي الوسيط فيما بين المباحث الراسخة ، وتكون علاقتها أولية بمباحث اللغويات (خصوصًا علم الدلالة ، والتداولية ، واللغويات

التطبيقية والتقابلية) واللغات الحديثة ودراسات اللغات ، والأدب المقارن ، والدراسات الثقافية (بما في ذلك دراسات الجنسين ودراسات ما بعد الاستعمار) والفلسفة (فلسفة اللغة والمعنى ، بما في ذلك الهرمانيوطيقا والتفكيكية) . ومن المهم أن نشير إلى أن علاقة دراسات الترجمة بالمباحث الأخرى ليست ثابتة ، وهو ما يفسر التغييرات التي طرأت عليها على مر السنين ، فبعد أن كان ذلك المبحث يرتبط ارتباطًا قويًا بعلم اللغة التقابلي في الستينيات أصبحت تسوده الدراسات الثقافية في الوقت الحاضر .

« وتبرز علاقات أخرى - ثانوية - عندما نتعرض لمجال دراسات اللغة التطبيقية ، مثل تدريس الترجمة بهدف إعداد المترجمين ؛ إذ يجب ، على سبيل المثال ، أن تتضمن مناهج الترجمة المتخصصة تدريس جانب من جوانب العلوم التي ينتوي الدارس التخصص في ترجمتها مثل القانون أو السياسة أو الطب أو المالية ، إلى جانب بعض التدريب على تكنولوجيا المعلومات . . . وفي دراسة عملية الترجمة والترجمة الفورية يلعب علم النفس والعلوم المعرفية cognitive sciences دورًا رئيسيًا كذلك » .

وقد صدرت عام ١٩٩٥ الطبعة المنقحة للكتاب الذي كانت ماري سنيل- هورنبي Mary Snell-Hornby قد وضعته عام ١٩٨٨ بعنوان مدخل متكامل لدراسات الترجمة ، وعنوانه يدل على ما تحاول الباحثة أن تفعله ، فهي تستعرض جهود إقامة التكامل بين شتى المباحث التي تسهم في هذا المبحث الجديد ، وتحاول هي ذلك نفسها ، ويقول منداي (٢٠٠١ - ص ١٨٣) إنها تتمتع بخلفية فكرية تغلب عليها النظريات الألمانية ، ويفسر بذلك « استعارتها » لنظرية الأنماط الأولية prototypes في تصنيف أنماط النصوص ، وهكذا فهي تقسم الأنواع الرئيسية إلى الترجمة الأدبية ، والترجمة العامة ،

والترجمة المتخصصة ، مؤكدة طابع التواصل فيها وعدم التمييز النوعي الذي يفصلها فصلاً حاسمًا عن بعضها البعض ، فلا توجد لغة خاصة بالأدب - فيما يتعلق بدراسات الترجمة - تفصلها عن اللغة المستعملة في مجالات أخرى ، ولكن دراسة الترجمة الأدبية قد تتطلب دراسة مجالات تختلف عما تتطلبه دراسة الترجمة الصحفية أو العلمية مثلاً ، وهي تقدم تصورها للتكامل المنشود في خريطة معقدة لا لزوم لتقديمها في هذا العرض الموجز ، بل يكفي أن نقول إنها تضع إطارًا عامًا يحاول التوفيق بين شتى التخصصات التي تشترك في دراسات الترجمة بصورة نسبية ، وهي بهذا تزيل الحواجز التي كانت قائمة بين دراسة الترجمة الأدبية التي سادت الساحة حتى منتصف القرن العشرين تقريبًا ، والترجمة التقنية التي دخلت الساحة عند بعض الدارسين الألمان بل وسادتها ، ولكن الواقع العملي يقول إن الاختلافات قائمة ، ودارس الترجمة يحتاج إلى منهج مستقل يختاره طبقًا للمادة التي سيدرسها وإن كان يتضمن حتمًا عناصر من مداخل أخرى - كما سوف نبين - دون حاجة إلى الخلط فيما بين المناهج طلبًا للتكامل .

وأكرر هنا ما ألمحت إليه في المقدمة من ضرورة الجمع بين الممارسة الفعلية للترجمة ودراستها النظرية ؛ وذلك لأن الترجمة بطبيعتها مبحث تطبيقي أولاً ؛ أي إن الدراسة النظرية لا بد أن تكون لاحقة على وجود ترجمات ، والإلمام باللغتين معًا (اللغة المصدر واللغة المستهدفة) لا يكفي لدراسة الترجمة بل لا بد أن تسبقه خبرة ما ، يكتسب منها الدارس مناهج « التعامل » العملي مع النص الأجنبي ، أو طرائق « تحويل » النص المصدر من لغته الأم إلى اللغة الأجنبية ، وهذا يقتضي دراسة عملية للترجمة على أيدي أساتذة ممارسين للترجمة ، ذوي أساليب ومناهج منوعة ، دون الالتزام بمنهج دون منهج ، ولطالما أشرت في كتبي عن الترجمة من فن الترجمة (١٩٩٣) إلى مرشد المترجم (٢٠٠٠) إلى أهمية الممارسة العملية والاكتواء بنارها ، وأضيف هنا صعوبة

خاصة في حالة اللغة العربية ، وهي أن اللغة العربية المعاصرة التي نكتب بها الأدب والعلم جميعًا لا تزال في طور التشكل ، ولم تثبت بعد ثبات الفصحى التراثية . ونحن نفترض في العادة إلمام المترجم بالأولى إلمامًا تامًا (يكاد يعادل إلمامه بالعامية المحلية) وإلمامه إلى حد ما بالفصحى التراثية ، ولكن ذلك مشكوك فيه ؛ إذ لا يقارن بإجادة المترجم الأوربي للغته القومية ، فمعظم هؤلاء المترجمين من الكتاب الذين حذقوا فنون التعبير بلغتهم بكافة مستوياتها (وهي تختلف عن مستويات العربية المتباعدة) . ولكن المترجم العربي لا يلتفت إلى اللغة القومية في الواقع ، وينسى أن اللغة العربية المعاصرة صُلبها من صلب الفصحى التراثية ، نحوًا واشتقاقًا وصرفًا ، وانهماك المترجم العربي في دراسة اللغة أو اللغات الأجنبية يجور على الجهد الذي لا بد من بذله في إحكام تمكنه من العربية بشتى مستوياتها ، وهو لا يدرك هذا إلا عند التصدي لنصوص تتطلب إحاطة بقسط وافر من العربية التراثية . وعلى أي حال فإن ممارسته للترجمة ومكابدته لأهوالها تمنحه وعيًا متزايدًا بالمشكلات الحقيقية وتدفعه إلى التأمل ومن ثم إلى اختيار منهج أو مناهج ، وهذا كله ضروري للإقدام على ولوج مبحث جديد مثل دراسات الترجمة .

إن جميع من كتبوا عن الترجمة من المترجمين ، ولولا خبرتهم الشخصية ما أتوا بنظريات أو وضعوا مناهج (نماذج) ، والنظريات والمناهج كما رأينا تتفاوت بتفاوت الخبرة الشخصية ، ونحن نطلع عليها ونستفيد منها لأنها تضيف إلى ما اكتسبناه من خبرات ، ولكن ذلك لا يعني أن يبني الدارس الذي يُقدم على مبحث دراسات الترجمة منهجه العلمي على أساس خبرته وحدها، إذ لا بد من تضافر مباحث أخرى مع هذه الخبرة ، ولقد سبق أن ذكرت أن عملي بالترجمة العلمية في الوكالات المتخصصة للأمم المتحدة أفادني في تفهم أساليب التعبير العلمي الصُّلبة (محددة الدلالة) (واحات مصرية - ٢٠٠٢) مثلما أفادتني الترجمة العامة (للأخبار - والموضوعات

الاقتصادية وما إليها) في إدراك أشكال الأساليب النمطية ، وأفادتني الترجمة الأدبية في غير ذلك ، (انظر كتابي الترجمة الأدبية) و لكن هذا لا يعني أن أبني منهجي العلمي على هذه مجتمعة، نشدانًا للتكامل الذي تقول به سنيل-هورنبي ، فلقد اخترت منهج التحليل الزمني لمعاني بعض الكلمات العربية diachronic analysis في إحدى دراساتي ، وهذا منهج يعتمد على علم الدلالة ، وهو المنهج الذي اتبعته الباحثة هبة عارف في دراسة ترجمة الحديث النبوي ، واخترت منهج التحليل المقارن لإيقاع الشعر في دراسة أخرى ، وهو منهج أدبي (به لمسة سيكولوجية) واخترت منهجًا ثقافيًا محضًا في دراسة أخرى عن ترجمة المصطلح اللغوي idioms وهلم جرا ، ولكن كلا من هذه المناهج يتضمن عناصر من مباحث أخرى ، فدراسة الترجمة العلمية تتضمن جانبًا لغويًا مهمًا - وهو الذي يُعنى بتثبيت معاني المصطلحات ، وضرورة استخدام الأبنية اللغوية المباشرة ، وعادة ما يكون البناء اسميًا والزمن مضارعًا إلى آخر ما نعرفه في مناهج (تحليل الكلام) إلى جانب الإلمام بالموضوع العلمي المتخصص، فترجمة terrace في الزراعة بكلمة « مصطبة » تتطلب الإحاطة بأن المصطبة أرض جبلية منحدرة يحولها الزارع إلى أرض مسطحة ، بحيث يتحول الجبل إلى مدرجات قابلة للزراعة حتى يصبح الجبل مثل الهرم المدرج (هرم زوسر) ! ودراسة الترجمة العامة (الصحفية وما يتصل بها) تتضمن عناصر من علوم الاتصال وفنون مخاطبة القارئ إلى جانب عناصر الدلالة (التي تنتمي إلى علوم اللغة) وفي إطار علوم الاتصال عنصر ثقافي مهم، فنحن نترجم Israeli settlements بالمستوطنات الإسرائيلية والـ B.B.C. تترجمها بالمستعمرات ، وهي ترجمة أدق علميًا ، ولكن الاعتبارات الثقافية أتت بالأولى لدينا دون الأخرى ، ودراسة الترجمة الأدبية تتضمن إلى جانب التحليل اللغوي دراسة فنون الصنعة الأدبية ، مثل فنون السرد ووجهة النظر والإيقاع والصور الشعرية وما إلى ذلك يضاف إليها عنصر ثقافي مهم خاص

بعلاقة النص الأصلي بقارئه الأصلي وما تفترضه عن قارئ النص المترجم ، أو ما يسمى بنقد استجابة القارئ reader response criticism وهو يتضمن عناصر تاريخية واجتماعية وفكرية مهمة .

وهكذا نرى أن المنهج المتخصص في دراسات الترجمة باعتبارها مبحثًا جديدًا دائما ما يتضمن عناصر من مباحث أخرى ، ولذلك وصفناه بأنه بيني ، وسأختتم هذه الخاتمة بترجمة مقتطفات من كتاب منداي المذكور (٢٠٠١ - ص ١٨٧) تؤيد ما ذهبت إليه :

« اكتسب المدخل البيني أرضًا شاسعة في السنوات الأخيرة، ففي عام ١٩٩١ حررت سونيا تيركونين-كونديت Sonja Tirkkonen-Condit مجموعة من المقالات بعنوان **بحوث تجريبية في الترجمة والدراسات الثقافية البينية** وعنوان هذا الكتاب يدل على أن الترجمة قد أقامت علاقات أولية قوية مع مباحث غير لغوية في جوهرها . وشاركت سنيل- هورنبي في تحرير عدد من كتب الدراسات ، من بينها **الترجمة بصفتها تواصلاً بين الثقافات** عام ١٩٩٦ ، **ودراسات الترجمة : مبحث بيني** (١٩٩٤) وهذا الكتاب الأخير يتضمن بحوثًا ألقيت في مؤتمر عن الترجمة عقد في ڤيينا عام ١٩٩٢ ، وتدل عناوين تلك البحوث على أنها تشمل موضوعات بالغة التنوع : التاريخ ، والثقافات عبر الوطنية transnational cultures وما بعد الحداثة ، والهرمانيوطيقا ، والتناص ، والفلسفة ، والمصطلحات المتخصصة ، والطب ، والقانون ، واللغويات ، ونظرية الترجمة . . .

« وفي السنوات التالية تخطت دراسات الترجمة المداخل اللغوية الصرفة وأصبحت لها مناهجها الخاصة ، مثل منهج الدراسات الوصفية الذي وضعه توري ، كما أن حاتم وماسون (١٩٩٧) اللذين

يعملان في إطار تحليل الكلام قد أضافا أيضًا الاعتبارات الثقافية باعتبارها من العوامل المهمة ، وذلك بتفسير الاختبارات اللغوية على ضوء الأيديولوجيات السائدة في بعض النصوص . . .

« وكذلك فإن ‹‹ بيم ›› (١٩٩٨) يستعمل مصطلح ‹‹ المبحث البيني ›› بل ومصطلح ‹‹ الثقافة البينية ›› في وصف تاريخ الترجمة ، ويشكك في إمكان وضع خريطة للدراسات الثقافية على النحو الذي وضعه هومز . »

لقد بدأنا الكتاب بوضع خريطة « هومز » ، وها نحن نختتمه بالتشكيك فيها ، وإن دل ذلك على شيء فإنما يدل على أن ذلك المبحث الجديد يتطور باستمرار ، ولا أعتقد أننا نستطيع أن نحدس مستقبله ، فهو مثل سائر المباحث البينية يعتمد على المباحث المغذية له ، فكلما تطورت تطور ، والمهم أن نتابع هذا التطور وذاك ، واعين أن دوائر المعرفة متداخلة وسوف تظل تتداخل بل ويزداد تداخلها في المستقبل .

المراجع و المصادر

أولاً ـ المراجع و المصادر العربية

إبراهيم السامرائي : التطور اللغوي التاريخي . ط ٣ بيروت ، دار الأندلس ، ١٩٨٣ .

إبراهيم السامرائي : معجم و دراسة في العربية المعاصرة . بيروت ، مكتبة لبنان ، ٢٠٠٠ .

ابن الأثير : المثل السائر ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد . القاهرة ، ١٩٢٦ .

ابن المقفع : كليلة و دمنة . القاهرة ، ١٩٢٨ .

ابن منظور : لسان العرب . القاهرة ، دار المعارف .

أبو منصور الثعالبي : فقه اللغة و سر العربية . القاهرة ، ١٩٣٧ .

أحمد أمين : فجر الإسلام (مع مقدمة طه حسين عام ١٩٢١) .

إيزيس فتح الله : القصبجي . القاهرة ، ١٩٩٦ .

حازم الببلاوي : التغيير من أجل الاستقرار . القاهرة ، ١٩٩٨ .

حافظ إبراهيم : الديوان ، تحقيق أحمد أمين . القاهرة ، ١٩٣٧ .

الجاحظ : الحيوان ، تحقيق عبد السلام هارون . القاهرة ، ١٩٦٣ .

رفاعة الطهطاوي : تخليص الإبريز في تلخيص باريز . القاهرة (طبعة ١٩٩٨) .

رمسيس عوض : شيكسبير في مصر .

زاخر غبريال : مختارات من الشعر الإنجليزي . القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٩ .

السعيد بدوي : مستويات اللغة العربية في مصر . القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٧٣ .

شيكسبير : مختارات من شعره ، ترجمة محمد عناني . القاهرة ، مكتبة الأسرة ، ٢٠٠٠ .

عباس محمود العقاد : شعراء مصر وبيئاتهم في الجيل الماضي . القاهرة ، ١٩٥٤ .

تفاسير القرآن (ابن كثير/ السيوطي/ الصابوني/ مخلوف/ ضيف) .

ترجمات معاني القرآن (آربري/ بيكتول/ غالي/ يوسف علي) .

الكتاب المقدس (عدة طبعات عربية وإنجليزية) .

محمد حسين هيكل : زينب القاهرة (١٩١٤/ ١٩٥٠) .

محمد عناني : من قضايا الأدب الحديث . القاهرة، ١٩٩٤ .

محمد عناني : ثلاثة نصوص من المسرح الإنجليزي. القاهرة ، ١٩٩٥ .

محمد عناني : فن الترجمة. القاهرة ، الشركة المصرية العالمية للنشر - لونجمان ، ١٩٩٣ .

محمد عناني : المصطلحات الأدبية الحديث . القاهرة ، الشركة المصرية العالمية للنشر - لونجمان، ١٩٩٦ .

محمد عناني : الترجمة الأدبية بين النظرية والتطبيق. القاهرة، الشركة المصرية العالمية للنشر - لونجمان، ١٩٩٧ .

محمد عناني : مرشد المترجم. القاهرة، الشركة المصرية العالمية للنشر - لونجمان، ٢٠٠٠.

محمد عناني : واحات مصرية . القاهرة، ٢٠٠٢ .

محمد عناني : مختارات من الشعر الرومانسي. القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٢ .

محمد عناني و ماهر شفيق فريد: نجيب محفوظ في عيون العالم. القاهرة، ٢٠٠٢ (تقديم سمير سرحان).

محمد فؤاد عبد الباقي: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم.

محمود عرفة محمود : العرب قبل الإسلام . القاهرة، ١٩٩٨ .

معجم ألفاظ القرآن الكريم ، مجمع اللغة العربية ، طبعة منقحة، ١٩٨٨ .

المعجم الوجيز لألفاظ القرآن الكريم - نبيل عبد السلام هارون ، دار النشر للجامعات، القاهرة ١٩٩٧ .

المعجم الوسيط - مجمع اللغة العربية. القاهرة ، الطبعة الثانية (بعد ١٩٧٢).

ميلتون ، جون : الفردوس المفقود - النص الكامل ترجمة محمد عناني. القاهرة، ٢٠٠٣ .

نجيب محفوظ : زقاق المدق. القاهرة، مكتبة مصر.

ثانيا ـ المراجع و المصادر الأجنبية

Allen, R. (2000) ‘Naguib Mahfouz’ in *The Encyclopedia of Literary Translation into English*, ed. O. Classe.

Alvarez, R. and M. Carmen-Africa Vidal (eds.) (1996) *Translation, Power, Subversion. Clevedon : Multilingual Matters.*

Amos, F. R. (1920/73) *Early Theories of Translation*. New York : Octagon.

Arnold, M. (1861/1978) *On Translating Homer*. London : AMS Press.

Arroyo, R. (1999) *'Interpretation As Possessive Love : Hélène Cixous, Clarice Lispector and the Ambivalence Of Fidelity'*, in S. Bassnett and H. Trivedi (eds.) (1999), pp. 141-61.

Atiyyah, J. W. S. (1991) *Qais and Laila; a Translation with an Introduction of Shawqi's Majnoun Laila*. Cairo: GEBO.

Ayad, H. S. (2000) 'Four Translations of Othello', in *Cairo Studies in English*, Cairo.

Baker, M. (1992) *In Other Words : A Coursebook on Translation*. London and New York : Routledge.

Baker, M. (ed.) (1977a) *The 'Routledge Encyclopedia of Translation Studies*. London and New York : Routledge.

Baker, M. (ed.) (1977b) *'Translation Studies'*, in M. Baker (1997a), pp. 277-80.

Bassnett, S. (1980, revised edition 1991) *Translation Studies*. London and New York : Routledge.

Bassnett, S. and A. Lefevere (eds) (1990) *Translation, History and Culture*. London and New York : Printer.

Bassnett, S. and H. Trivedi (eds.) (1999) *Post-Colonial Translation : Theory and Practice*. London and New York : Pinter.

Bates, H. E. (1960/1988) *When the Green Woods Laugh*. London: Penguin Books.

Bates, H. E. (1965/1969) *The Wedding Party*. London: Penguin Books.

Beaugrande, R. de (1978) *Factors in a Theory of Poetic Translating*, Assen : Van Gorcum.

Beaugrande, R. de and W. Dressler (1981) *Introduction to Text Linguistics*. London and New York : Longman.

Belitt, B. (1978) *Adam's Dream : A Preface to Translation*. New York.

Bell, R. (1991) *Translation and Translating : Theory and Practice*.

London and New York : Longman.

Benjamin, A. (1989) *Translation and the Nature of Philosophy : A New Theory of Words.* London and New York : Routledge.

Benjamin, W. (1969/2000) 'The Task of the Translator', translated by H. Zohn (1969), in L. Venuti (ed.) (2000), pp. 15-25.

Bennington, G. and J. Derrida (1993) *Jacques Derrida.* Chicago and London : University of Chicago Press.

Berman, A. (1984/92) *L'Épreuve de l'Étranger : Culture et Traduction dans l'Allemagne Romantique.* Paris : Éditions Gallimard; translated (1992) by S. Heyvaert as *The Experience of the Foreign : Culture and Translation in Romantic Germany.* Albany : State University of New York.

Berman, A. (1985/2000) *'La Traduction Comme Épreuve de l'Étranger', Texte 4 (1985)* : 67-81, translated by L. Venuti as 'Translation and the Trials of the Foreign', in L. Venuti (ed.) (2000), pp. 284-97.

Bhabha, H. (1994) *The Location of Culture.* London and New York : Routledge.

Biber, D., S. Conrad and R. Reppen (1998) *Corpus Linguistics : Investigating Language Structure and Use.* Cambridge : Cambridge University Press.

Biguenet, J. & Schulte, R. (1989) *The Craft of Translation.* Chicago.

Blum-Kulka, S. (1986/2000) *'Shifts of Cohesion and Coherence in Translation'*, in L. Venuti (ed.) (2000), pp. 298-313.

Broeck, R. van den (1978) *'The Concept of Equivalence in Translation Theory : Some Critical Reflections'*, in J. S. Holmes, J. Lambert and R. van den Broeck (eds.) *Literature and Translation.* Leuven : Academic, pp. 29-47.

Brown, P. and S. Levinson (1987) *Politeness : Some Universals in Language Usage.* Cambridge : Cambridge University Press.

Browning, R. (1954/1966) *A Selection*, ed. W. E. Williams. Penguin Books.

Bush, P. (1997) *'literary Translation : Practices'*, in M. Baker (ed.) (1997a), pp. 127-30.

Butler, J. (1990) *Gender Trouble : Feminism and the Subversion of Identity*. London : Routledge.

Carter, R. (1987, 2nd edition 1998) *Vocabulary : Applied Linguistic Perspective*. London and New York : Routledge.

Catford, J.C. (1965/2000) *A Linguistic Theory of Translation*. London: Oxford University Press (1965). See also extract ('Translation Shifts') in L. Venuti (ed.) (2000), pp. 141-7.

Chamberlain, L. (1988/2000) *'Gender and the Metaphorics of Translation'*, in L. Venuti (ed.) (2000), pp. 314-29.

Chesterman, A. (ed.) (1989) *Readings in Translation Theory*. Helsinki : Finn Lectura.

Chesterman, A. (ed.) (1997) *Memes of Translation*. Amsterdam and Philadelphia, PA : John Benjamins.

Cheyfitz, E. (1991) *The Poetics of Imperialism : Translation and Colonization from the Tempest to Tarzan*. New York and Oxford : Oxford University Press.

Chomsky, N. (1957) *Syntactic Structures*. Gravenhage : Mouton.

Chomsky, N. (1965) *Aspects of the Theory of Syntax*. Cambridge, MA : MIT Press.

Cicero, M.T. (46 BCE/1960 CE) *'De Optimo Genere Oratorum'*, in *Cicero De Inventione, De Optimo Genere Oratorum, Topica*, translated by H. M. Hubbell. Cambridge, MA : Harvard University Press; London : Heinemann, pp. 347-73.

Classe, Olive (ed.) (2000) *Encyclopedia of Literary Translation*. London.

Cronin, M. (1996) *Translating Ireland : Translation, Languages, Cultures*. Cork : Cork University Press.

Daniel, Samuel (1965) *Poem in Elizabethan Verse*, ed. R. Tuve. London.

Delisle, J. (1982, 2nd edition) *L'Analyze du Discours Comme*

Méthode de Tranduction. Ottawa : University of Ottawa Press, Part I, translated by P. Logan and M. Creery (1988) as *Translation : An Interpretive Approach*. Ottawa : University of Ottawa Press.

Delisle, J. and J. Woodsworth (eds.) (1995) *Translators Through History*. Amsterdam and Philadelphia, PA : John Benjamins.

Derrida, J. (1985) '*Des Tours de Babel*', in J. F. Graham (ed.), French original pp. 209-48, translation in the same volume by J. F. Graham, pp. 165-207.

Devy, G. (1999) '*Translation And Literary History : An Indian View*', in S. Bassnett and H. Trivedi (eds.), pp. 182-8.

Di Pietro, R. J. (1971) *Language Structures in Contrast*. Rowley, MA : Newbury Bouse.

Dolet, E. (1540/1997) *La Manière de bien Traduire d'une Langue en Autre*. Paris : J. de Marnef, translated by D. G. Ross as 'How to Translate Well From One Language Into Another', in D. Robinson (ed.) (1997b), pp. 95-7.

Dryden, J. (1680/1697/1992) '*Metaphrase, Paraphrase And Imitation*'. Extracts of 'Preface to Ovid's Epistles' (1680), and 'Dedication of the Aeneis' (1697), in R. Schulte and J. Biguenet (eds) (1992), pp. 17-31.

During, S. (1999, 2nd edition) *Cultural Studies Reader*. London and New York : Routledge.

Easthope, A. (1991) *Literary into Cultural Studies*. London and New York : Routledge.

Eggins, S. (1994) *An Introduction to Systemic Functional Linguistics*. London : Pinter.

Enani, M. (1995) *The Comparative Tone*. Cairo (with M. S. Farid).

Enani, M. (1995) 'Translation and Culture', in *The Comparative Tone*.

Enani, M. (1996) *Comparative Moments*. Cairo (with M. S. Farid).

Enani, M. (1996) 'Translation as Interpretation', in *Comparative Moments*. Cairo.

Enani, M. (1998) *Graduated Exercises in Translation from Arabic into English*. Cairo: The Anglo-Egyptian Bookshop.

Enani, M. (1999) *Dictionaries for the Translator.* Cairo: The Anglo-Egyptian Bookshop.

Enani, M. (2000) *On Translating Arabic : A Cultural Approach*, Cairo: GEBO.

Enani, M. (2000) 'Family Resemblances Revisited', in *On Translating Arabic : A Cultural Approach*. Cairo.

Enani, M. (2000) 'The Translator's Intuition Explored : An Approach to the Translation of Poetry', in *On Translating Arabic : A Cultural Approach*. Cairo.

Enani, M. (ed.) *The Comparative Impulse*. GEBO, Cairo, with M. S. El-Komi & M. S. Farid.

Enkvist, N. E. (1978) 'Contrastive Text Linguistics And Translation', in L. Grähs, G. Korlén and B. Malmberg (eds) *Theory and Practice of Translation*. Bern : Peter Lang, pp. 169-88.

Evan-Zohar, I. (1978/2000) 'The Position Of Translated Literature Within The Literary Polysystem', in L. Venuti (ed.) (2000), pp. 192-7.

Farid, M. S. (1999) 'The Love Poetry of Robert Graves', in *Cairo Studies in English*, ed. M. Enani, Cairo.

Fawcett, P. (1997) *Translation and Language Linguistic Approaches Explained*. Manchester : St Jerome.

Fish, S. E. (1981) 'What Is Stylistics And Why Are They Saying Such Terrible Things About It ?', in D. C. Freeman (ed.) *Essays in Modern Stylistics*. London and New York : Methuen, pp. 53-78.

Fowler, R. (1986, 2nd edition 1996) *Linguistic Criticism*. Oxford : Oxford University Press.

Frazer, E. S. (1936) *Modern Egypt*. London: Dent.

Frawley, W. (ed.) (1984) *Translation : Literary, Linguistic and Philosophical Perspectives*. Newark, London and Toronto : Associated University Presses.

Gaddis Rose, M. (1997) *Translation and Literary Criticism*. Manchester : St Jerome.

Gentzler, E. (1993) *Contemporary Translation Theories*. London and New York : Routledge.

Godard, B. (1990) 'Theorizing Feminist Discourse / Translation', in S. Bassnett and A. Lefevere (eds.), pp. 87-96.

Graham, J. F. (ed.) (1984) *Difference in Translation*. Ithaca, NY : Cornell University Press.

Guenthner, F. and M. Guenthner-Reutter (eds.) (1978) *Meaning and Translation : Philosophical and Linguistic Approaches*. London : Duckworth.

Gutt, E. (1991, 2nd edition 2000) *Translation and Relevance : Cognition and Context*. Oxford : Blackwell; Manchester : St Jerome.

Halliday, M. A. K. (1978) *Language as Social Semiotic*. London and New York : Arnold.

Halliday, M. A. K. (1994, 2nd edition) *An Introduction to Functional Grammar*. London, Melbourne and Auckland : Arnold.

Halliday, M. A. K. and R. Hasan (1976) *Cohesion in English*. London : Longman.

Harvey, K. (1998/2000) 'Translating Camp Talk : Gay Identities And Cultural Transfer', in L. Venuti (ed.) (2000), pp. 446-67.

Hatim, B. and I. Mason (1990) *Discourse and the Translator*. London and New York : Longman.

Hatim, B. and I. Mason (1997) *The Translator as Communicator*. London and New York : Routledge.

Heidegger, M. (1962) *Being and Time*, translated by J. Macquarrie and E. Robinson. New York : Harper & Row.

Heidegger, M. (1971) *On the Way to Language*, translated by P. D. Hertz. New York : Harper & Row.

Henry, R. (1984) 'Points for Inquiry Into Total Translation : A Review Of J. C. Catford's *A Linguistic Theory Of Translation*',

Meta 29.2 : 152-8.

Hermans, T. (ed.) (1985a) *The Manipulation of Literature : Studies in Literary Translation*. Beckenham : Croom Helm.

Hermans, T. (ed.) (1985b) 'Translation Studies And A New Paradigm', in T. Hermans (ed.) (1985a), pp. 7-15.

Hermans, T. (ed.) (1996) 'Norms and the Determination Of Translation : A Theoretical Framework', in R. Alvarez and M. Carmen-Africa Vidal (eds.), pp. 25-51.

Enani, M. (1999) *Translation in Systems*. Manchester : St Jerome.

Heylen, Romy (1993) *Translation, Poetics and the Stage : Six French Hamlets*. London and New York: Routledge.

Holmes, J. S. (ed.) (1970) *The Nature of Translation : Essays on the Theory and Practice of Literary Translation*. The Hague and Paris : Mouton.

Holmes, J. S. (ed.) (1988a) *Translated ! Papers on Literary Translation and Translation Studies*. Amsterdam : Rodopi.

Holmes, J. S. (ed.) (1988b/2000) 'The Name And Nature Of Translation Studies', in L. Venuti (ed.) (2000), pp. 172-85.

Holub, R. C. (1984) *Reception Theory : A Critical Introduction*. London and New York : Methuen.

Holz-Mänttäri, J. (1984) *Translatorisches Handeln : Theorie und Methode*. Helsinki : Suomalainen Tiedeakatemia.

House, J. (1977) *A Model for Translation Quality Assessment*. Tübingen : Gunter Narr.

House, J. (1997) *Translation Quality Assessment : A Model Revisited*. Tübingen : Gunter Narr.

Hung, E. and D. Pollard (1997) 'The Chinese Tradition', in M. Baker (ed.) (1997a), pp. 365-74.

Jackendoff, R. (1990) *Semantic Structures*. MIT Press, Mass. and London.

Jackendoff, R. (1983/1995) *Semantics and Cognitio*. MIT Press, Mass. and London.

Jakobson, R. (1959/2000) 'On Linguistic Aspects Of Translation', in L. Venuti (ed.) (2000), pp. 113-18.

Jakobson, R. (1960) 'Closing Statement : Linguistics And Poetics', in T. Seboek (ed.) (1960) *Style in Language*. Cambridge, MA : MIT Press. pp. 350-77.

James, C. (1980) *Contrastive Analysis*. London: Longman.

Jauss, H. R. (1982) *Toward on Aesthetic of Reception* (translated from the German by Timothy Bahti). Brighton : Harvester Press.

Jones, E. (1998) *Dictionary of Sociology*. Penguin Books.

Katz, Jerrold J. (1974) *Semantic Theory*. New York.

Kelly, L. (1979) *The True Interpreter*. Oxford : Blackwell.

Kempson, Ruth M. (1977/1995) *Semantic Theor*. CUP.

Kenny, D. (1997) 'Equivalence', in M. Baker (ed.) (1997a), pp. 77-80.

Kittel, H. and A. Polterman (1997) 'The German Tradition', in M. Baker (ed.) (1997a), pp. 418-28.

Koller, W. (1979b/1989) 'Equivalence In Translation Theory', translated from the German by A. Chesterman, in A. Chesterman (ed.), pp. 99-104.

Komissarov, V. (1993) 'Norms In Translation', in P. Zlateva (ed.) *Translation as Social Action : Russian and Bulgarian Perspectives*. London and New York : Routledge, pp. 63-75.

Kuhiwczak, P. (1990) 'Translation As Appropriation : The Case Of Milan Kundera's *The Joke*', in S. Bassnett and A. Lefevere (eds), pp. 118-30.

Lakoff, G. (1971) 'On Generative Semantics', in Steinberg and Jakobovits (eds.) CUP, N. Y.

Lambert, J.-R. (1991) 'Shifts, Oppositions And Goals In Translation Studies : Towards A Genealogy Of Concepts', in K. van Leuven-Zwart and T. Naaijkens (eds.), pp. 25-37.

Lambert, J.-R. and H. van Gorp (1985) 'On Describing Translations', in T. Hermans (ed.) (1985a), pp. 42-53.

Larose, R. (1989, 2nd edition) *Théories Contemporaines De La Traduction*. Quebec : Presses de l'Université du Québec.

Larson, M. L. (1984) *Meaning-Based Translation : A Guide to Cross-Language Equivalence*. Lanham, New York and London : University Press on America.

Leech, Geoffrey (1974) *Semantics*. Penguin Books.

Leech, G. (1983) *Principles of Pragmatics*. London : Longman.

Leech, G. and M. Short (1981) *Style in Fiction : A Linguistic Introduction to English Fictional Prose*. London and New York : Longman.

Lefevere, A. (1981) 'Beyond the Process : Literary Translation In Literature And Literary Theory', in M. Gaddis Rose (ed.) *Translation Spectrum : Essays in Theory and Practice*. Albany : State University of New York Press, pp. 52-9.

Lefevere, A. (1985) 'Why Waste Our Time On Rewrites ? : The Trouble With Interpretation And The Role Of Rewriting In An Alternative Paradigm', in T. Hermans (ed.) (1985a), pp. 215-43.

Lefevere, A. (1992a) *Translation, Rewriting and the Manipulation of Literary Fame*. London and New York : Routledge.

Lefevere, A. (ed.) (1992b) *Translation / History / Culture : A Sourcebook*. London and New York : Routledge.

Lefevere, A. (1993) *Translating Literature : Practice and Theory in a Comparative Literature Context*. New York : The Modern Language Association of America.

Leuven-Zwart, K. M. van (1991) 'The Field Of Translation Studies : An Introduction', in K. van Leuven-Zwart and T. Naaijkens (eds.), pp. 5-11.

Leuven-Zwart, K. van and T. Naaijkens (eds.) (1991) *Translation Studies : State of the Art*. Amsterdam : Rodopi.

Levinson, S. C. (1983) *Pragmatic*., Cambridge Cambridge University Press.

Levy, J. (1967/2000) 'Translation As A Decision Process', in L.

Venuti (ed.) (2000) : 148-59.

Lewis, P. (1985/2000) 'The Measure Of Translation Effects', in L. Venuti (ed.) (2000), pp. 264-83.

Lyons, J. (1977) *Semantics*. Cambridge : Cambridge University Press.

Lyons, John (1995) *Linguistic Semantics*. London.

Malmkjar, Kirsten (ed.) (1991) *The Linguistics Encyclopedia*. London and New York: Routledge.

Malone, J. L. (1988) *The Science of Linguistics in the Art of Translation*. Albany : State University of New York Press.

Matejka, L. and K. Pomorska (eds.) (1971) *Readings in Russian Poetics : Formalist and Structuralist Views*. Cambridge, MA : MIT Press.

May, R. (1994) *The Translator in the Text : On Reading Russian Literature in English*. Evanston, IL : Northwestern University Press.

McCarty, W. (1999) 'Humanities Computing As Interdiscipline', Available online : http://ilex.cc.kcl.ac.uk/wlm/essays/inter/

Miko, F. (1970) 'La Théorie De L'Expression Et La Traduction', in J. S. Holmes (ed.), pp. 61-77.

Mounin, G. (1955) *Les Belles Infidèles*. Paris : Cahiers du Sud.

Mounin, G. (1963) *Les Problèmes Théoriques De La Traduction*. Paris : Gallimard.

Munday, J. (1997) 'Systems In Translation : A Computer-assisted Systemic Analysis Of The Translation Of García Márquez', unpublished Ph. D. thesis, University of Bradford, UK.

Munday, J. (2001) *Introducing Translation Studies : Theories and Applications*. London and New York: Routledge.

Newmark, P. (1981) *Approaches to Translation*. Oxford and New York : Pergamon.

Newmark, P. (1988) *A Textbook of Translation*. New York and London : Prentice-Hall.

Nida, E. A. (1964a) *Toward a Science of Translating*. Leiden : E. J.

Brill.

Nida, E. A. (1964b/2000) 'Principles of Correspondence', in L. Venuti (ed.) (2000), *The Translation Studies Reader*. London and New York : Routledge, pp. 126-40.

Nida, E. A. and C. R. Taber (1969) *The Theory and Practice of Translation*. Leiden : E. J. Brill.

Niranjana, T. (1992) *Siting Translation : History, Post-Structuralism, and the Colonial Context*. Berkeley, CA : University of California Press.

Nord, C. (1988/91) *Textanalyze und Übersetzen : Theoretische Grundlagen, Methode und didaktische Anwendung einer übersetzungsrelevanten Textanalyze*. Heidelberg : J. Groos, translated (1991) as *Text Analysis in Translation : Theory, Methodology and Didactic Application of a Model for Translation-Oriented Text Analysis*. Amsterdam : Rodopi.

Nord, C. (1997) *Translating as a Purposeful Activity : Functionalist Approaches Explained*. Manchester : St Jerome.

Norris, C. (1991) *Deconstruction : Theory and Practice*. London and New York : Routledge.

Orwell, G. (1965) *Decline of the English Murder*. Penguin Books.

Palmer, R. (1969) *Hermeneutics : Interpretation Theory in Schleiermacher, Dilthey, Heidegger and Gadamer*. Evanston, IL : Northwestern University Press.

Parks, T. (1998) *Translating Style : The English Modernists and their Italian Translations*. London and Washington : Cassell.

Popovic, A. (1970) 'The Concept " Shift of Expression " In Translation Analysis', In J. S. Holmes (Ed.), pp. 78-87.

Popovic, A. (1976) *Dictionary for the Analysis of Literary Translation*. Edmonton : Department of Comparative Literature, University of Alberta.

Pound, E. (1929/2000) 'Guido's Relations', in L. Venuti (ed.) (2000), pp. 26-33.

Pound, E. (1951) *ABC of Reading*. London : Faber & Faber.

Pound, E. (1953) *The Translations of Ezra Pound*. London : Faber & Faber.

Pound, E. (1954) *Literary Essays*, ed. T. S. Eliot. London : Faber & Faber.

Pym, A. (1996) 'Venuti's Visibility' (Review of *The Translator's Invisibility*), *Target* 8.1 : 165-77.

Pound, E. (1998) *Method in Translation History*. Manchester : St Jerome.

Rabassa, G. (1984) 'The Silk Purse Business : A Translator's Conflicting Responsibilities', in W. Frawley (ed.) (1984), pp. 35-40.

Reiss, K. (1971/2000) *Möglichkeiten und Grenzen der Übersetzungskritik*. Munich : M. Hueber, translated (2000) by E. F. Rhodes as *Translation Criticism : Potential and Limitations*. Manchester : St Jerome and American Bible Society.

Reiss, K. (1977/89) 'Text Types, Translation Types And Translation Assessment', translated by A. Chesterman, in A. Chesterman (ed.) (1989), pp. 105-15.

Reiss, K. (1981/2000) 'Type, Kind And Individuality Of Text : Decision Making In Translation', translated by S. Kitron, in L. Venuti (ed.) (2000), pp. 160-71.

Reiss, K. and H. J. Vermeer (1984) *Grundlegung einer allgemeinen Translationstheorie*. Tübingen : Niemeyer.

Robinson, Douglas (1991) *The Translator's Turn*. The John Hopkins University Press, Baltimore and London.

Robinson, D. (1997a) *Translation and Empire : Postcolonial Theories Explained*. Manchester : St Jerome.

Robinson, D. (1997b) *Western Translation Theory from Herodotus to Nietzsche*. Manchester : St Jerome.

Rugoff, M.A. (1962) *Donne's Imagery : A Study in Creative Sources*. New York.

Saeed, John (1997) *Semantics*. Oxford.

Said, E. (1978) *Orientalism*. London : Penguin.

Samaan, Angele Botros (1978) 'The English Novel in Arabic Translation in Egypt 1940-1973 : Part I : A Preliminary Bibliography', *Cairo Studies in English*, Faculty of Arts, Vol. XXXII.

Saussure, F. de (1916/83) *Cours de Linguistique Générale*. Paris : Éditions Payot, translated (1983) by R. Harris as *Course in General Linguistics*. London : Duckworth.

Schäffner, C. (1997) '*Skopos* Theory', in M. Baker (ed.) (1997a), pp. 235-8.

Schleiermacher, F. (1813/1992) 'On the Different Methods Of Translating', in R. Schulte and J. Biguenet (eds.) (1992), pp. 36-54. Also in Robinson (ed.) (1997b), pp. 225-38.

Schulte, R. and J. Biguenet (eds.) (1992) *Theories of Translation*. Chicago and London : University of Chicago Press.

Sidgwick, J. B. (1959) *Introducing Astronomy*. Faber & Faber, London.

Shaw, G. B. (1951) *Pygmalion*, in the collected *Plays*.

Shelley, P. B. (1950) *Complete Poetical Works*. Oxford.

Sherif, Nur (1974) *Dickens in Arabic*. Beirut Arab University.

Shuttleworth, M. and M. Cowie (eds.) (1997) *Dictionary of Translation Studies*. Manchester : St Jerome.

Simon, S. (1996) *Gender in Translation : Cultural Identity and the Politics of Transmission*. London and New York : Routledge.

Simpson, P. (1993) *Language, Ideology and Point of View*. London and New York : Routledge.

Snell-Hornby, M. (1988, revised 1995) *Translation Studies : An Integrated Approach*. Amsterdam and Philadelphia, PA : John Benjamins.

Snell-Hornby, M. (1990) 'Linguistic Transcoding Or Cultural Transfer : A Critique Of Translation Theory In Germany', in S.

Bassnett and A. Lefevere (eds.), pp. 79-86.

Snell-Hornby, M. (1991) 'Translation Studies : Art, Science Or Utopia?', in K. van Leuven-Zwart and T. Naaijkens (eds.), pp. 13-23.

Snell-Hornby, M., F. Pöchhacker and K. Kaindl (eds.) (1994) *Translation Studies: An Interdiscipline.* Amsterdam: John Benjamins.

Snell-Hornby, M., Z. Jettmarova and K. Kaindl (eds.) (1996) *Translation as Intercultural Communication.* Amsterdam and Philadelphia, PA : John Benjamins.

Spivak, G. (1993/2000) 'The Politics Of Translation', in L. Venuti (ed.) (2000) *The Translation Studies Reader.* London and New York : Routledge, pp. 397-416.

Spurgeon, C. F. E. (1963) *Shakespeare's Imagery and What It Tells Us.* Cambridge.

Steiner, G. (1975, 3rd edition 1998) *After Babel : Aspects of Language and Translation.* London, Oxford and New York: Oxford University Press.

Steiner, T. (ed.) (1975) *English Translation Theory : 1650-1800*, Assen and Amsterdam : van Gorcum.

Stubbs, M. (1996) *Text and Corpus Analysis.* Oxford : Blackwell.

Taylor, C. (1990) *Aspects of Language and Translation : Approaches for Italian-English Translation.* Udine : Camponette.

Thompson, G. (1995) *Introducing Functional Grammar.* London : Arnold.

Tirkkonen-Condit, S. (ed.) (1991) *Empirical Research in Translation and Intercultural Studies.* Tübingen : Gunter Narr.

Toury, G. (1978/2000) 'The Nature And Role Of Norms In Literary Translation', in L. Venuti (ed.) (2000) *The Translation Studies Reader.* London and New York : Routledge, pp. 198-211.

Toury, G. (1980) *In Search of a Theory of Translation*, Tel Aviv : The Porter Institute.

Toury, G. (1985) 'A Rationale For Descriptive Translation Studies', in T. Hermans (ed.) (1985a), pp. 16-41.

Toury, G. (1991) 'What Are Descriptive Studies In Translation Likely To Yield Apart From Isolated Descriptions ?', in K. van Leuven-Zwart and T. Naaijkens (eds.), pp. 179-92.

Toury, G. (1995) *Descriptive Translation Studies – And Beyond.* Amsterdam and Philadelphia, PA : John Benjamins.

Trask, Alfred (1999) *Key Concepts in Language and Linguistics.* London: Routledge.

Tymoczko, M. (1999a) *Translation in a Post-Colonial Context : Early Irish Literature in English Translation.* Manchester : St Jerome.

Tymoczko, M. (1999b) 'Post-colonial Writing And Literary Translation', in S. Bassnett and H. Trivedi (eds) (1999), pp. 19-40.

Tynjanov, J. N. (1927) *Arkhaisty i Novatory*, Moscow : Akademia, translated (1978) by C. A. Luplow as 'On Literary Evolution', in Matejka and Pomorska (eds.), pp. 66-78.

Tytler, A. F. Lord Woodhouselee (1797, 2nd edition 1997) *Essay on the Principles of Translation.* Edinburgh : Cadell & Davies, extracted in D. Robinson (ed.) (1997b), pp. 208-12.

Venuti, L. (ed.) (1992) *Rethinking Translation : Discourse, Subjectivity, Ideology.* London and New York : Routledge.

Venuti, L. (1995) *The Translator's Invisibility : A History of Translation.* London and New York : Routledge.

Venuti, L. (1997) 'The American Tradition', in M. Baker (ed.) (1997a), pp. 305-15.

Venuti, L. (1998) *The Scandals of Translation : Towards an Ethics of Difference.* London and New York : Routledge.

Venuti, L. (ed.) (2000) *The Translation Studies Reader.* London and New York : Routledge.

Vermeer, H. J. (1989/2000) 'Skopos and Commission In Translational Action', in L. Venuti (ed.) (2000), pp. 221-32.

Vicira, E. (1997) 'New Registers In Translation For Latin America', in K. Malmkjaer and P. Bush (eds.) *Rimbaud's Rainbow : Literary Translation and Higher Education.* Amsterdam and Philadelphia, PA : John Benjamins, pp. 171-95.

Vicira, E. (1999) 'Liberating Calibans : Readings of Antropofagia and Haroldo de Campos' Poetics Of Trnascreation', in S. Bassnett and H. Trivedi (eds.), pp. 95-113.

Vinay, J.-P. and J. Darbelnet (1958, 2nd edition 1977) *Stylistique Comparée Du Français Et De L'Anglais : Méthode De Traduction.* Paris : Didier, translated and edited by J.C. Sager and M.-J. Hamel (1995) as *Comparative Stylistics of French and English: A Methodology for Translation*, Amsterdam and Philadelphia, PA : John Benjamins.

Viswanatha, V. and S. Simon (1999) 'Shifting Grounds of Exchange: B. m. Srikantaiah And Kannada Translation', in S. Bassnett and H. Trivedi (eds.), pp. 162-81.

Warren, R. (ed.) (1989) *The Art of Translation : Voices from the Field.* Boston : Northeastern University Press.

Wilss, W. (1977) *Übersetzungswissenschaft. Probleme und Methoden.* Stuttgart : E. Klett, translated (1982) as *The Science of Translation; Problems and Methods.* Tübingen : Gunter Narr.

Wilss, W. (1996) *Knowledge and Skills in Translation Behavior*, Amsterdam and Philadelphia, PA : John Benjamins.

Wordsworth, W. (1949) *Poetical Works.* Oxford.

Yeats, W. B. (1950) *The Complete Poems.* London.

مسرد لأهم مصطلحات نظرية الترجمة ومعانيها في سياق الكتاب فقط

(A)

accent الضغط على المقاطع : ٩٠

acceptable مقبولة : ٢٣٠

accountability معيار المساءلة : ٢٣٧

accuracy الدقة : ٣٠

acoustic signifier الدال الصوتي : ٤٧

ad hoc مخصصة للدرس : ٢٢٨

adaptation الاقتباس ، الاستلهام ، إعادة الصياغة ، التطويع : ٣٢

adaptive translation الترجمة بالتطويع : ١١٧

adequacy الكفاية : ١٣٧

adequacy of translation كفاية الترجمة : ١٠٤

aesthetic form الشكل الجمالي : ١٢٣

affectation التصنع ، التكلف : ١٠٣

alienating التغريب : ٣٦

alliteration السجع المبدئي : ٨١

appellative function وظيفة الدعوة : ١١٦

applied linguistics courses مناهج اللغويات التطبيقية : ١٣

approaches to translation مداخل إلى الترجمة : ٢٦

arbitrary تعسفية أو توقيفية : ٤٧

architranseme الخيط الأم : ٨٤ ، ١٠٥

area-restricted theories النظريات المحددة بالمجال : ١٨

articulation الربط : ١٠١

aspect الزمن : ١٧١

audiomedial texts النصوص السمعية الوسائطية : ١١٦

(B)

back transformation التحويل العكسي : ٦٠

back translation الترجمة العكسية : ٥٧ ، ٢١٣

binomials الأسماء المترابطة : ٢٣٤

borrowing الاقتراض : ٨٧

bottom-up من القاعدة إلى القمة : ١٧١

(C)

calque النقل بالمحاكاة : ٨٨

cannibalist school مذهب التهام الآخر : ٢٤

category shifts تغيرات الفئة : ٩٧

central system النظام الرئيسي : ٢٠٢

class shifts التغييرات في الطبقة : ٩٨

clausal linkage الروابط بين الجمل : ١٦٦

clause الجملة المفيدة البسيطة : ١٦٣

cleft sentences الجمل المشطورة : ١٨٧

code-units وحدات الشفرة اللغوية : ٤٨

cognitive sciences العلوم المعرفية : ٢٨٨

coherence التماسك ، الاتساق : ١٣٣

coherent وضوح المعنى : ١٣٤

cohesion التماسك : ١٣٤

cohesion markers أدوات التماسك :

cohesive elements عناصر الربط والتماسك : ١٢٩

commission التكليف بالترجمة : ١٤٧

commissioner مصدر التكليف : ١٢٧

committed translation project مشروع الترجمة الملتزمة : ٢٤٧

communicative توصيلية : ٢١٧

communicative act فعل التواصل : ١٢

communicative approach المدخل التوصيلي : ٩

communicative transaction المعاملات التوصيلية : ١٥٧

comparative model نموذج مقارن : ١٠٥

competence المقدرة : ٧٦

compensation تعويض : ٢٧٦

complex sentence الجملة المركبة : ٢٠٨

component مكوّن : ١٦٣

componential analysis تحليل عناصر الكلمة : ٥١

composition التكوين : ١٤٨

compound sentence الجملة المزدوجة : ٧٣ ، ٢٠٨

connotations ظلال المعاني : ١٠١

connotative equivalence تعادل ظلال المعنى : ٧٧

consecutive تتبعية : ١٨

consistency المحافظة على الاتساق : ١٣٠

consultative style أسلوب المشاورة : ١٦٨

content invariance ثبات المضمون : ٧٦

content or topic المضمون أو الموضوع : ١١٥

contrast التضاد ، التقابل : ١٠٣

contrastive analysis التحليل التقابلي : ١١

contrastive linguistics اللغويات التقابلية : ١٨

corporeality الخصائص المحسوسة (المجسدة) : ٢٨٣

correspondence المقابلة : ٧٥

covert المستترة : ٧١

covertly erroneous errors الأخطاء المستترة : ١٦٨

pattern نسق : ١٩٢
personal effusion أدب الخاطرة : ٧٠
personification التشخيص : ٨١
phatic function وظيفة إقامة الصلة : ١٢٦
philological translation الترجمة الفقهية : ١٤١
phonology مستوى الأصوات : ٩٥
pitch رفع الصوت : ٩٠
poetological خاص بالأسس الفنية للعمل : ٢٤١
polylogic المنطق المتعدد : ٢٧١
postcolonial translation theory
نظرية الترجمة في دراسات ما بعد الاستعمار : ٢٤
power relations علاقات القوة : ٢٥٠
practical criticism النقد التطبيقي : ١١
professional norms المعايير المهنية : ٢٣٧
pragmatic inference الاستنباط التداولي : ١٨٩
pragmatics التداولية : ١٢
presuppositions الافتراضات المسبقة : ١٤٨
probabilistic (قوانين) احتمالية : ٢٣٢
problem-restricted theories
النظريات المحددة بالمشاكل : ١٩
process of translation عملية الترجمة : ٥
process-oriented [موجهة إلى] دراسة العملية : ١٧
product or expectaency norms
معايير التوقع : ٢٣٧
product oriented موجه لدراسة الناتج : ١٦
prominence الإبراز : ١٠٣
prototypes أنماط أولية : ٢٨٨
punctuation علامات الترقين : ٢٧٢
punctuation الترقين : ١٣٠
pure نقي : ٢٧٥
purpose الغرض : ١٣١
psycholinguistics علم اللغويات السيكولوجية : ١٧

(Q)

qualitative impoverishment الفقر النوعي : ٢٧٢
quantitative impoverishment الفقر الكمي : ٢٧٢

(R)

rank الرتبة : ١٩
rank-restricted theories النظريات المحددة بالرتبة : ١٨
rationalization ترشيد : ٢٧٢
reader response criticism نقد استجابة القارئ : ٢٩٢ ، ١٤٢
reader كتاب نصوص أو كتاب تعليمي : ٩
reciprocity المعاملة بالمثل ، المبادلة : ٢٧٨
reduction الاختزال : ٦٠ ، ٢٥٨
reference الإحالة : ١٩
referential content المضمون الإحالي : ١١٦